الفصل الثامن

الإجـحـاف

obeikan.com

obeikan.com

أبدأ هذا الجزء بمقال جميل للمُرَبِّي الفاضل غضبان رومي رحمه الله وأسكنه عالم الأنوار لِمَا قدَّمه من خدمات جليلة لطائفة الصابئة المندائيين عبر بحوثه ومقالاته وترجماته حول المندائية، وعمله الدءوب في صفوف طائفته، والعمل التنظيمي والإداري في مؤسساتها، وكان له دورٌ فعَّال في إنشاء مجلس التولية؛ اللبنة الأولى في البناء الصحيح لمؤسسات الطائفة المندائية لاحقًا.

يقول الأستاذ الفاضل أبو يحيى:

كثر الحديث عن الصابئة وتنوعت المنشورات حول ديانتهم، واختلف الباحثون قديمًا وحديثًا حول أصلهم ونشأتهم ولغتهم وأبجديتهم وديانتهم، ولقد واصل العديد من العلماء دراسة تلك النواحي عنهم، فمنهم من وُفِّق بعد جُهدٍ مضنٍ ودراسة مستمرة، ومنهم من كانت حصيلة شباكه سمكات هزيلات.

كما خاض الموضوع علماء الكهنوت واللاهوت من مسيحيين وإسلام، منهم من اكتفى بما قاله السلف، ومنهم من استمر بدراسته وتبحر في تتبعه فأظهر حقائق لها قيمتها العلمية سواءً لأبناء الصابئة أو ضدهم.

ولمَّا كان أبناء هذه الطائفة ملزمين قبل غيرهم بالإطلاع على ما يُكتب وتصحيح المغلوط منه، دون تمييز أو لف ودوران، وذلك كي يعطوا المتتبعين الحقائق الصادقة بعد أن كانت هذه الحقائق وقفًا على علماء الدين منهم، والتزام هؤلاء بالسرية المتزمتة في الإباحة أو الكتابة عنها مهما كان نوعها أو كانت قيمتها، غير مبالين بما يقال أو يكتب عنهم... لذلك دفعني الواجب العلمي أن أكتب هذه الكلمة لمجلة التراث الشعبي خاصة، وهي بحث علمي عن قسم من سُكان العراق الأقدمين الذين برز منهم الشعراء والأدباء في المجتمع العراقي، لعلِّي في عملي هذا قمتُ بشيء من الواجب أو إضاءة بعض النواحي التي ما زال الظلام يكتنفها لغيري من الباحثين... ولم أقصد من ذلك غير الفائدة والاستفادة.

إن القرآن الكريم واضح حين عدَّهم كالنصارى واليهود، وكل قول يخالف ما جاء في القرآن لا يؤخذ به، لأنه قد يكون ناجمًا عن تمسك الصابئين بسرية دينهم وقلة بوحهم به، لكونهِم لا يقبلون أي فرد يريد اعتناقه حاليًا... ولا علم لنا بالأسباب الداعية لهذا التزمت، إذ من المعلوم أن يحيى عليه السلام قد قبل كثيرين من اليهود ومن غيرهم، وعمدهم وأدخلهم في الدين المندائي (الصابئي) لان في التعميد إعلان المتعمد توبته، ورسمهِ بماء الحياة، وعبادة الحي الرب القيوم (هيي ربي قدمايي).

وجاء في كتاب "الخراج" لأبي يوسف، ص ٧٠ قوله: (وقد اقترح أبو يوسف بأن يصير أمر الجزية في الأمصار الكبيرة إلى رجل من أهل الصلاح في مصر ويصير معه أعوان يجمعون إليه الأديان من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس).

وفي ص ١٤٥: (والجزية واجبة على جميع أهل الذمة من في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة. فالصابئون إذن من أهل الذمة، ولا يجوز لأي مشرك أن يكون ذميًا).

قال الدكتور جواد علي، المؤرخ والأستاذ في جامعة بغداد: (إن الصابئة، الصابئين، طائفة خاصة لها دين خاص مثل اليهود والمسيحيين)، وقال في رده على المفسرين: (ولكن الذي يقرأ من القرآن أن الصابئين جماعة كانت على دين خاص وأنها طائفة مثل اليهود والنصارى، أي أن الكلمة مصطلح لها مدلول مفهوم).

وقال الباحث الأستاذ عبد الرزاق الحسني في مقاله المنشور في مجلة العربي العدد ١١٢ عام ١٩٦٨ عن عقيدتهم: (الخالق جلَّ شأنه واحدٌ أزليٌ أبديٌ لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه من عوالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكوناتها، ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين به)،

وقال الأستاذ سليم طه التكريتي في كلمته المنشورة في جريدة النور ، العدد ٣٦٩ في ١٩٧٠/١/١: (وحتى الكتب التي وضعت عنهم "الصابئة" في العربية مع قِلتها فأنها لم تكن تخلو من أخطاء كبيرة فيما يخص نشأة هذه الطائفة وطقوسها وعاداتها وتقاليدها ، فحتى الآن لا يزال عدد من الكُتَّاب والمؤلفين على جهل كبير بحقائق معتقدات هذه الطائفة، وأصول ديانتها)...

ثم يعود فيقول: (فقد استطاع مُترجِما كتاب الصابئة المندائيون -ويعني غضبان رومي ، ونعيم بدوي رحمهما الله - أن يغوصا في أعماق الديانة المندائية وأن يبرزاها على حقيقتها كديانة توحيدية ، تؤمن بالله الواحد خالق الكون ، وبذلك فنّدا كل الأضاليل والأكاذيب التي ذكرت حتى الآن عن وثنية الصابئة المندائيين وعبادتهم للنجوم).

أما الباحثون الغربيون فقد اتفقوا جميعًا على أن الدين الصابئي دين توحيدي ولا حاجة بنا إلى ذكر أقوالهم لِمَا في ذلك من إطالة وإسهاب.

والفرد الصابئي متزمت جدًا في توحيده، فهو لا يأكل ولا يشرب ولا يعمل ولا ينام من دون أن يقول (اسم الحي واسم عارف الحياة منطوقان عليَّ) ، وإذا جلس صباحًا فأنه يقول (آكا هيي آكا ماري آكا منداهيي) وتعني (إلهي الحي وعارف الحياة إلهي الذي انبعث من ذاته).....

... المقال طويل ، ونكتفي بهذا القدر منه.

▪ تعقيب:

أتفق مع أستاذي غضبان رومي رحمه الله في كل ما ذهب إليه ، وأؤكِّد ما أكده في بقية مقاله القيم من أن الصابئة المندائيين يؤمنون بالعمل الصالح، وبالآخرة والجنة وجهنم ؛ كاعتقاد المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ، ويؤمنون أن هذه الدنيا

دار فناء والآخرة دار بقاء والإنسان بأعماله (**كلٌّ ما يُصنَع بالأيدي يفسد وكُلُّ حَيَ يمُوت... إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكؤون**)[1].

ولكن أختلف مع أستاذي الجليل في نقطتين:

– الأولى: فيما يخص قبول النبي "يهيا يهانا" –مبارك اسمه– بتعميد اليهود أو غيرهم وإدخالهم في الدين الصابئي المندائي... وهذه وجهة نظر أحترمها ولكني اعتقد أن النبي يهيا يهانا كان يعيش في فلسطين على ضفاف نهر الأردن وكان حوله عدد من الأقوام مثل الأسنيين، واليبوسيين، والحسح، والصدوقيين، والكنعانيين، والسامريين، وغيرهم، ومنهم الصابئة المندائيون الذين يعرفهم ويعرفونه، والذي تربَّى في وسطهم وضمن مجتمعهم، ولو كان نبي الله يهيا يعمِّد غير المندائيين فلماذا لم يستمر التعميد وهو خاتم أنبياء المندائيين، ولماذا لم يذكر النبي يهيا دعوة غير المندائيين إلى دخول الدين الصابئي المندائي في تعاليمه المحفوظة (كتاب دراشة يهيا)... وإذا كان من يقول إنه عمَّد السيد المسيح؛ فهناك إجابة لهذا السؤال: أولاً، هناك قناعة أن السيد المسيح كان صابئيًا مندائيًا عندما عمَّده (صبغه) ونهل الكثير من تعاليم النبي والمعلم يهيا يهانا. ثانيًا، لقد عَمَّدَ السيد المسيح بأمر من الحي العظيم ليكون صابئيًا مندائيًا، وهناك إشارات على ذلك في الكتب الدينية المندائية، وهذه وجهة نظر قابلة للنقاش.

– الاختلاف الثاني: حول المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني والذي أساء في كتابه لأبناء الطائفة ووصفهم بأنهم عبدة كواكب ونجوم، بدون أن يقدِّم الحجة والبرهان على ذلك، أو حصوله على المعلومات العلمية والدينية بعد معايشة ميدانية لهذه الطائفة وهم على مقربة منه، ولولا وقوف شيخنا الجليل الكنزبرا دخيل الشيخ عيدان بوجههِ وإجبارهِ بالحُجةِ أمام القضاء العراقي بزيف ادعاءاته وعلى تبديل آرائه المشبوهة التي ألحقت الضرر بأبناء الطائفة.

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

أما موضوع الجزية فهذا موضوع آخر يحتاج إلى مناقشة، فهناك من يعتبره دليلاً على التوحيدِ، باعتبار أن المسلمين اعتبروهم من أهلِ الذمةِ، بمعنى أن الصابئة واليهود والمسيحيين بذمة المسلمين وتحت حمايتهم، ومقابل هذه الحماية عليهم أن يدفعوا الجزية... ولكن بتطور الحياة توقفت الجزية لأنها تتعارض مع حقوق الإنسان التي اتفقت عليه وأقرته كافة الأمم وشعوب الأرض، حتى حقوق الإنسان تطورت مع الوقت ، وجاء زمن الحرية والديمقراطية والانتخابات الحرة النزيهة التي بها يختار الناس من يحكمهم بالعدل والمساواة، وأصبح كثيرٌ من شعوب الأرض تحكم نفسها بنفسها عبر برلمانات تكون هي صاحبة الكلمة وصاحبة القرار، وكما يقول الجواهري رحمه الله:

دالَ الزمانُ وبُدلتْ نُظُمٌ به ولكلِ عصرٍ دولةٌ ونِظام

ونجد حاليًا معظم الدول الإسلامية لها دساتير تضمن حقوق الناس وتعتبر الدين لله والوطن للجميع، والكل إخوة في وطنهم مهما اختلفت ديانتهم أو مذاهبهم أو لونهم أو قوميتهم... وفي العراق الحبيب كان الجميع يعيشون إخوة متساوين في الحقوق والواجبات، وبالرغم من أن الدين الإسلامي هو دين الدولة كما ينص الدستور ، ولكنه يضمن حقوق الأقليات الدينية ويرعاها ؛ باعتبار أن الدين الإسلامي دين تسامح ورحمة كما يذكر النص... ومع ذلك هناك متشددون متطرفون ومنهم عدد من فقهاء الدين لا يقرون هذا التسامح، والدليل ما فعلته داعش بالإخوة الإيزيديين أبناء الوطن المسالمين من أعمال نهب وسلب وقتل واغتصاب وبيع نسائهم في سوق النخاسة متذرعين بالدين ، عائدين للوراء ١٥٠٠ سنة بعد أن تطورت البشرية وأقرت الحقوق من قبل الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية في العالم.

علينا جميعًا كمواطنين أبناء وطن واحد، أو أبناء الإنسانية في أرجاء العالم، أن نحيا بسلام وأمان وإيمان بأن الله جلَّ وعلا ربنا جميعًا نعبده ونسّبحه، سواء كنا مسلمين أم مسيحيين أم صابئة مندائيين أم يهودًا، فكلنا نوحِّد الله ونقدِّسه ونقدّس

أنبياءه المرسلين، وما أنزل علينا من كتبه المقدسة وتعاليمه النورانية، لأن الفرقة والتعصب والتطرف الديني والمذهبي يلحق أضرارًا بليغة بالأوطان والمواطنين، وهذا العراق -مع الأسف- مثلاً لذلك؛ ملايين المواطنين مهجرين قسرًا يطلبون الأمان والحياة الكريمة التي وجدوها في دول الغرب بينما الشرق هو مهبط الأنبياء والرسالات ومنه جاءت إلى الغرب.

مازال بعضنا نحن الشرقيون وخاصة العرب؛ يعيش بعقلية ترجع لقرون خلت، بينما البشرية قطعت شوطًا بعيدًا في التطور في كافة الميادين، وعلينا مواكبة هذا التطور وسد الفجوة الكبيرة بيننا وبين تطور الأوربيين والدول المتقدمة اجتماعيًا وصناعيًا وثقافيًا وفي كل المجالات الأخرى، وأن نسمع صوت العقل والحكمة والموعظة الحسنة؛ صوت الحق والسلام والمحبة والإخوة الصادقة والمواطنة الحقيقية وحُبِّ الوطن ومحبة الناس كل الناس، لنضمن لأجيالنا المستقبل والحياة الكريمة المزدهرة، ونرفض دعوات التخلف والفتنة والفرقة على أسس قومية أو طائفية أو أثنية... كلنا عباد الله وكلنا أبناء وطن واحد وكلنا من آدم وآدم من تراب، المهم العمل الصالح والإيمان بالله الواحد الأحد والابتعاد عن كل ما حرَّمه الحي العظيم في كل الأديان والنواميس السماوية، ولهذا أجد من واجبي أن أكمل الرسالة التي بدأها أساتذتي والمعلمون الأوائل... ومن الله التوفيق.

- **الأستاذ / نعيم عربي ساجت :**

مُربِّي فاضل ، غنيٌ عن التعريف بإنتاجه الأدبي والمعرفي واهتمامه بالأدب والتراث العراقي والمندائي ، وقد قدَّم الكثير من المقالات في هذا المجال ، ومن ضمنها كتب مقالاً يدعو إلى المحبة والخير والجمال ، ويطلب من أبناء الصابئة المندائيين التمسك بروح المندائية ؛ روح الإيمان والمحبة والتوحيد ، والالتزام الكامل بوصايا الحي العظيم مسبح اسمه ، وضرورة التمسك بالقيم والأخلاق الحميدة والابتعاد عن الفرقة والتشتت ، ويدعو إلى طهارة النفس وطهارة الجسم كما توصي تعاليم الدين المندائي... وعنون الأستاذ نعيم مقاله بالعنوان التالي (إلى المحبة أيها المندائيون) ، وقد جاء فيها :

إلى المحبة أيها المندائيون

أرجو عفوكِ وغفرانكِ أيتها الشجرةُ العظيمة... يا من أوجدكِ الحيُّ العظيم تبارك اسمه من فيض قدرته ، وزرعك على هذه الأرض بقبسٍ من ذاته الربانية وأغناكِ بقطراتٍ من نبع حكمته... أرجو عفوكِ وغفرانكِ أيتها الشجرةُ العريقة ذات الجذور الراسخة الممتدة عميقاً ، عبر الزمن والتاريخ... يا شجرة عائلتي المندائية الكبيرة الرائعة ، يا من أشرقتِ حين كانت الدنيا يلفُّها الظلامُ الدامس ، ونزلتِ منذ أن نزل أبونا آدم (ع) من عالم النور إلى هذه الأرض ، فكانت رسالتك نفحة ندية معطرة بأريج المعرفة ، مضمخة بعبق النور الإلهي السني... فكنتِ أولى بذرات الخير التي بذرتها الذات الربانية المباركة في هذا العالم ، وأهداها سراج المعرفة ، فكان اسم (منداد هيي) المبارك عوناً لكِ لتكوني أول العارفين بعظمة الخالق جلَّ جلاله ، فتعمدتِ بسناه الباهر ومياهه الطاهرة...

أرجو عفوكِ وغفرانكِ لأني أقف اليوم صارخاً من الألم الحبيس في قلبي حزناً وعذابًا ، شاكيًا لكِ حال أبنائكِ... لأول مرة أناديكِ متوسلاً أن تسمعي مني آهة

يزفرها صدري ، وقلبي الذي يستمد نبض الحياة من حياتك ونسغ الصحة والعافية من قوتك وديمومتك وعزتك... يا شجرة الخير والجمال والمحبة... نعم أيتها الشجرة العظيمة إنني أشكو إليكِ حال أبنائك، فهم اليوم بحالة يُرثى لها من التمزق والتشرذم والابتعاد عن روح المندائية وجوهرها الأصيل ؛ المندائية التي تجلت فيها الوصايا الربانية التي أوصى بها الحي العظيم تبارك اسمه ، والتي أنارت بصائر أجدادنا الراحلين -طيَّب الحيُّ ثراهم -... إنني إذ أشكو إليكِ حال أبنائكِ اليوم أقفُ مبتهلاً إلى ربنا راجيًا أن يفتح بصائرهم ليروا النور الحق ويهتدوا إلى الطريق السوي في هذه الدياجير الحالكة التي صارت تغلِّف حياة البشر في هذا العصر الصاخب الملوث بالشرور المدمرة للنقاء الذي وضعته الروح القدسية الربانية في قلب المندائي الأصيل ليكون طاهر النفس ، طاهر الجسم، طاهر اللسان... جاء في كنزنا الثمين كتابنا العزيز (الكنزا ربا): (**أنا رسول النور، كل من قبل صوتي عينه من النور تملأ، وفمه بالتسبيح ولُبّه بالحكمة يُملأ**)

لقد سُلِبت منهم الفطرة السوية ، فصارت تتنازعهم المصالح المتضاربة ، فترى البعض منهم -مع الأسف- فظًا صلفًا ، أنانيًا ، نهمًا ، لا يهمه شيءٌ في الحياة غير السعي وراء تجميع الثروة وتضخيمها عن أي طريق وبأية وسيلة ، وهو عبدٌ للشهوات.

(**صوِّموا ألبابكم عن ظنون السوء والبغض والحقد والفرقة ولا تدعوها تحل بقلوبكم لأن الذي يمسك البغضاء ليس بمؤمن**)

فبعض النفوس قد أفسدها الطمع والأنانية ، وأمرضها الترف والثراء ، فتجاهل الأغنياء منهم ما يكابده إخوانهم الفقراء من حرمان وبؤس... لقد ابتعدوا كثيرًا عن جوهر المندائية الذي يدعو إلى المحبة والتعاطف ، ضاعت عن بصائرهم القيم النبيلة وعشعشت مكانها روح ظلامية شريرة أطفأت سراج العقل وسرقت منهم الحلم والرحمة ، فغدت النفوس مريضة ، شوهاء ، خرقاء ، يعلوها صدأ

الحقد والطمع والتعالي والتفاخر بالأنساب والنعرات العائلية... هذه الصفات كلها بغيضة في نظر الخالق تبارك اسمه، وتخالف وصاياه في أن تكون العلاقات بين البشر جميعًا قائمة على المحبة والمساواة والتسامح.

(نحن خلقناكم أيتها الغرسات التي غرسناها وأيها المختارون الذين اخترناهم، لا تزنوا، لا تسرقوا، ولا تكونوا، من عالم النمامين ويتسلط القوي على الضعيف، ولا تمتثلوا لأدعياء الغش والخداع).

إن كل الشرور تصدر عن الأنانية والطمع اللذين يعشعشان في النفوس السقيمة والعقول القاصرة كما تعشعش الحيات والعناكب السامة.

(رأس دينك لا تدنس كلماتك بالكذب وأعمالك بالأباطيل)

(رأس إيمانك أن تؤمن بملك النور الخالق مسبح اسمه وأن تتقوم بكل مبادئه النقية وتعمل بها)

(رأس حكمتك أن تحاكم نفسك)

(من لدنك أيها الحي ربي لتكن الرأفة والتوبة والعفو والرحمة لنفوس كل المندائيين الصالحين، ولنفسي أنا، بدعاء الرحمة هذا وغفران الخطايا) والحي مزكينا

يقول توماس المفكر اللاهوتي الألماني: النعيم ليس شيئًا فقط في العالم الآخر، بل علينا أن نبحث عنه في حياتنا الدنيا هذه. واجب المؤمنين أن يقيموا ملكوت الله على هذه الأرض.

فيا إخوتي المندائيين: لنجعل من أشجار حديقة حياتنا كلها خضراء بالمحبة والتعاطف الإنساني، فالله محبة، والدين محبة، والحياة محبة... فعالم الحب هو الباقي، وعالم البغضاء هو المنهزم الفاني.

فيا إخوتي: لندحر الأنانية، فهى تمثل بؤرة الشر في الكون، وغيمة الظلام الملوثة لنقاء النور، فهذه الأنانية في دواخلنا هي أفعى تفرخ كل الشرور... فلتندحر من حياتنا فلا يبقى من آثارها المدمرة شيء يذكر، كما تندحر الظلمة أمام النور... وفي عالم المحبة وحده يتألق النور.

▪ مبادرة وجادلهم بالتي هي أحسن:

بعد مقابلة رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم: الريش أمة ستار جبار حلو للمرجع الشيعي الأعلى في النجف الأشرف حجة الإسلام علي السيستاني... وطلب منه ضرورة الاعتراف بالصابئة المندائيين كدين موحَّد حماية لهم من المتطرفين، وتطبيقًا لما ورد في القرآن الكريم في سور البقرة والحج والمائدة، وتنفيذًا لوصايا علماء الدين والمؤرخين المنصفين... ولأنه لم يحصل على جواب قاطع، وإنما حصل على وعود بدراسة الموضوع؛ توجّب تفعيل الأمر بمبادرة لنقاش أخوي مستند للحجة والبرهان، ومجادلة المعنيين بالأمر للإقناع واتخاذ القرار الحق الذي تدعو إليه كل الأديان الموحدة وأنبياء الله المرسلين وكتبه المقدسة.

بسم الحي العظيم

إننا هنا نناديكم جميعا لنطلق نداءنا لتعضيد مبادرتنا (وجادلهم بالتي هي أحسن) التي أطلقناها من أجل ديمومة ورفعة ووجود الدين المندائي، كي يبقى ويستمر في أرض فرات زيوا وطن الآباء والأجداد، مما يستوجب العمل الجريء بعد رصِّ الصفوف وتوحيد كلمتنا كي ننتزع حقنا انتزاعًا بعد أن مرَّت سنون عجاف راح ضحيتها عشرات؛ بل مئات؛ المندائيين الذين سقطوا صرعى لا لذنبٍ اقترفوه بل لأنهم تمسكوا بهذه الأرض المقدسة التي تعمَّد أجدادهم وآباؤهم بمياهها وأحبتهم؛ سقطوا ضحية لصراعات دينية متطرفة ومفاهيم وضعت أصحابها خلفاء للحي العظيم تبارك اسمه، يكفِّرون البشر ويقتلونهم ويهينونهم حسب مقتضيات أطماعهم السياسية وتطرفهم الديني، وبممارستهم هذه أُجبِر المندائيون على أكبر تهجير قسري عبر التاريخ، ووضعتهم تحت خطر الانقراض والتشتت...

المشكلة تكمن بنا أولاً، ثم بالآخرين ثانيًا... إذ تكمن هذه المشكلة بأن طيبتنا المندائية وحسن نوايانا مع الآخرين سببت لنا إشكالات جعلت الآخرين يهمشوننا وينظرون لنا بنظرة استعلائية، وتمادوا إلى عدم الاعتراف بنا بأننا موحدين لأن مقياس الاحترام وكما يفهمونه هم بحجم القوة والتأثير التي يملكها الطرف المقابل... لذلك كله نحن كنا ولازلنا لا نملك حتى الاستراتيجية لرسم المسارات التي يجب أن نتحرك عليها أو كيفية الدفاع عن أنفسنا، وكذلك نفتقر إلى وعي وأمن ذاتي يؤمِّن أنفسنا وأموالنا ومستقبل أبنائنا بالرغم من هول ما تعرضنا إليه من نكبات... ونحن هنا لازلنا لا ندعو إلى عنف أو قوة لانتزاع حقوقنا واعتراف الآخرين بنا لأن ذلك يتقاطع مع مبادئ ديننا المندائي السمح وأخلاقنا، بل ندعو إلى العمل من أجل تثبيت العقيدة المندائية للذين نتعايش معهم منذ مئات السنين ولحد هذه اللحظة وهم مازالوا بين منصف ومجحف... والمجحفون بحقنا والمتطرفون يتهموننا ظُلمًا وعدوانًا بأننا غير موحدين ؛ لمرض في نفوسهم ، والتشكيك بكتابنا المقدس وبأنبيائنا وكيل التهم الباطلة الملفقة على ديننا من قبل بعض المؤرخين السذج أمثال : أبو يوسف القطيعي والحسني ، وهؤلاء لم يطلعوا على كتبنا المقدسة ولم يعيشوا وسطنا ليطلعوا على حقيقة إيماننا التوحيدي بالله وملائكته وأنبيائه وكتبه والحساب والعقاب واليوم الأخر ، وإنما بنوا مواقفهم المخزية والكاذبة كي يستمروا في معاملتنا بتعالي ويمنون علينا عندما يحيوننا أو يصافحوننا أو يأكلون من زادنا، أو حتى عندما يتمنون اغتصاب بناتنا بحجة أن الشريعة الإسلامية تحل لهم ذلك!!... فهم يمطون تعاليمهم الدينية حسب مصالحهم وتطرفهم المنحرف عن الدين القويم والقيم والأخلاق وحقوق الإنسان... للأسف هذه هي الحقيقة التي تعودنا على قبولها بالتهديد والترغيب والجبن أحيانًا للأسف الشديد.

ومن هذه الأسباب انطلقت مبادرتنا السلمية التي ستكون أخر السُبل التي نطرقها بعد أن صمَّ السياسيون ورجال الدين المسلمون ومرجعياتهم آذانهم غير آبهين بصراخنا ومطالبتنا كي يسمعوننا بأننا جذر التوحيد الأول، وأننا حملة التعاليم

الأولى وصحف آدم عليه السلام، وأننا نؤمن بالله وبالأنبياء والكتب والملائكة والحياة الأخرى، ونؤمن بنواميس وأخلاق البشر الصالحين... لكنهم مازالوا يتحججون بكلام كُتِب في بواطن كتب التاريخ القديمة والتي كتبتها أقلام مدسوسة غير نزيهة ولا أمينة تتهم بها المندائيين بشتى الاتهامات الظالمة المقصودة وتجعلهم وكما عاشوا مئات السنين تحت الظلم والجور والتهميش... ولا يستمعون اليوم إلى المندائيين وجهًا لوجه ولا يطلعون على كتابهم المقدس وسيرة ومواعظ أنبيائهم، كي يثبتوا لهم بالدليل القاطع أنهم ديانة كتابية موحدة تؤمن بالله والملائكة والأنبياء، وأن هناك حياة أخرى فيها ثواب وعقاب، وأن محللاتهم ومحرماتهم تتشابه كثيرًا مع المسلمين والأديان الموحدة الأخرى، وأن هناك قواسم مشتركة كثيرة وناموس الإنسانية، وليس كما كتب فلان ولا علان الذين اتهموا المندائية زورًا وبهتانًا منذ أربعة عشر قرنًا، لا لشيء بل لأنهم رفضوا أن يتحولوا إلى دين آخر، وصمدوا وصبروا واستمروا كل هذا الزمن، لأن إيمانهم بدينهم لا يعلو عليه شيء.

أخوتنا الأعزاء جميعًا:

نحن نتوسم بكم أخذ مبادرتنا بالجدية والاهتمام بعد أن طرحنا بعض أسماء السادة رجال الدين والأساتذة ممن نثق بأنهم سيكونون عند حسن ظن الطائفة بالبحث والتقصي للمحاور التي اقترحناها، وسيقدمون بحثهم في تلك المحاور بشكل يقنع القارئ أو المتلقي بصحته ويفحمه في أي نقاش منتظر، وهنا نحب أن نؤكد أن الأبواب مفتوحة للجميع بما يملكونه من معلومات حقيقية.

في نهاية رسالتنا هذه نقول لبعض الأخوة والأخوات المتحفظين على مبادرتنا هذه: نود أن نطمئنهم بأننا سئمنا زمن الخوف الذي ترك جروحًا عميقة في نفوس المندائيين، وجعلهم يتنازلون عن أبسط حقوقهم واحترامهم بما أفسح المجال أمام الآخرين للتمادي في إذلالنا، فإن كان بعضٌ من أهلنا قد قبل بهذا المصير، فإن جيلنا الجديد سيحاسبنا لأننا لم نحفظ له كرامته، خاصةً وأن أغلبه

يعيش الآن في دول علمته الاحترام والحرية وحقوق الإنسان والعيش مع الآخرين بسلام، ولكن ليس على حساب كرامته، فبالرغم من خنوعنا وطبيعتنا المسالمة السابقة والحالية، لكننا لم نسلم على أبنائنا وعلى أموالنا وعلى ديننا... والعاقل يفهم

نحييكم جميعًا، ونحيي المنصفين الشرفاء من الأديان الموحدة الأمناء الصادقين أصحاب الضمائر الحية الذين لهم مواقف مشرفة.

د. بشير عبد الواحد يوسف السيد/ نزار ياسر الحيدر

opeikan.com

▪ إجحاف عدد من الباحثين والمؤرخين :

طبعًا هناك عدد من الباحثين والمؤرخين قد أجحفوا بحق الصابئة المندائيين ، إمَّا بسبب جهلهم ، أو بسبب نقلهم معلومات غير دقيقة عن غيرهم دون تدقيق وتمحيص ، أو لأنهم حاقدون طائفيون يحاولون تشويه الصورة الحقيقية لعقيدتنا الدينية التي نهلتْ منها باقي الأديان.

أنا شخصيًا لا أحبُّ أن أكرِّر ما كتبه الخبثاءُ عن جهالةٍ أو عن عمد ، لأن التكرار يعلِّم الصغار ، ولا أريد أن أرسِّخ ما كتبوه في عقول أبنائنا وأجيالنا ، لأن الكلام السفيه يجب أن يُهمل ويُطوى ، لأن الله وهب الإنسان نعمة النسيان. ولكن إنصافا للتاريخ سأثبت هنا بعض من هؤلاء الباحثين الحاقدين للتعرف على أفكارهم وعلى تفاهة ما كتبوه ، وسوء نيتهم المبيتة ، ومنهم الإصطخري ، والشيرازي ، وأبو يوسف القطيعي ، وعبد الرزاق الحسني ؛ رغم تراجعه عن موقفه واعترافه بالخطأ ، لأن الرجوع للحق خيرٌ من التمادي بالباطل.

- أشيع القطيعي:

أما قصة أشيع القطيعي والملقب أبو يوسف ، أن الخليفة العباسي المأمون قد مرَّ بمدينة حران وهو على رأس جيش عرمرم لملاقاة الروم ، فاستقبله الناس ومنهم الحرانيون ، فشاهد لبسهم الأقبية ولحاهم طويلة ، فسألهم من أنتم؟ فلم يجيبوا !! ، فخيرّهم بين أمرين : إما أن يسلموا ، أو يتبعوا دينًا سماويًا ذكر في القرآن الكريم... فأشار عليهم أحد حكمائهم ، قال لهم : قولوا للمأمون عندما يعود من حربه : نحن الصابئون الذين ذكرنا القرآن الكريم في ثلاث سور... لكن الخليفة المأمون وافاه الأجل هناك.

إن من يتابع هذه الرواية يكتشف بسهولة أنها ملفقة ومدسوسة حينما أوردها في كتابه ، حيث أراد كاتبها – وعن سوء نية – الإساءة للصابئة المندائيين الذين

نالوا الشهرة في زمن العباسيين من مترجمين وأدباء وأطباء يشار لهم بالبنان، وهو سبب تعصبه، وكذلك ضعف معلوماته حول عقيدتهم الدينية وطقوسهم المرتبطة بهذه العقيدة، فهو مؤرخ غير موثوق... والأدلة كثيرة على كذب إدعائه:

١. لقد كان المأمون عالمًا وحافظًا للقرآن ومطلعًا، فلا تفوته معرفة الصابئة المندائيين في مدينة حران المشهورة في زمانه، وإن كثيرًا من العلماء والأدباء والكتبة والمترجمين كانوا يعملون في ديوان الخلافة وفي دار الحكمة من أهل حران، وإن أبا إسحاق الصابي كان رئيسًا لديوان الرسائل، وثابت بن قرة رئيس ديوان الحكمة ومن المقربين والمعروفين لدى المأمون، وعشرات من الكتبة والمترجمين، وكلهم من الصابئة المندائيين الحرانيين.

٢. أن إطلاق اللحى عند الصابئة المندائيين في ذلك الزمان أمر طبيعي، وكذلك لبس العمامة، وما زال رجال الدين والمؤمنين إلى يومنا هذا يطلقون شعورهم ولحاهم ويلبسون العمامة البيضاء، لأن تعاليم دينهم تقول إن الله الحي العظيم خلق الإنسان كاملاً من كل شيء.

٣. لقد عمل ثابت بن قرة عالمًا وفلكيًا وطبيبًا وفيلسوفًا ومترجمًا في القصر العباسي مع الخليفة المأمون، وكذلك آل قرة من العلماء والأدباء.

٤. لقد كذب القطيعي لأن صابئة حران كانوا يعيشون في مدينة حران منذ أزمان سحيقة سبقت المأمون وغيره من خلفاء بني العباس، ولم تكن المدينة دار حرب، لأن المأمون وغيره من الخلفاء المسلمين يعرفون أنهم كتابيون، وقد ذُكِروا في القرآن الكريم، وأنهم على خلق قويم، ولهذا كان يديرون الدواوين وأعمال الترجمة والتأليف، ولهم صداقات وطيدة مع الخلفاء والوزراء ذكرتها بطون الكتب، وقد سجّل التاريخ قصة الصداقة المتينة بين أبي إسحاق الصابي والشريف الرضي وأخيه الشريف المرتضى من آل البيت النبوي الشريف... وقد رثا الشريف الرضي أبو إسحاق بقصيدة عصماء مطلعها:

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الأعْوَادِ أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرّ فِي البَحرِ اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الأزْبَادِ
مَا كنتُ أعلمُ قبْلَ اليومِ أنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الأَطْوَادِ

كذلك رثا الشاعر العباسي ثابت بن قرة عند وفاتهِ:

أَلا مَا خَلا اللهَ كلُّ شيءٍ مائتُ ومَن هَاجَر يرتجي ومَن مَاتَ فَائتُ
نَعَينَا العُلُومَ الفَلسفيَّات كلها خَبَا نورُها إذ قِيل مَاتَ ثَابِتُ

٥. من يستعرض أسماء أهل مدينة حران، إما أسماء عربية أو صابئية مندائية مثل زهرون، وشيشلام، وغيرها، ولعل اسم أبي الفتح المندائي وأبي إسحاق الصابي هو دليل على ما نقول.

٦. عندما هاجر الصابئة المندائيون من فلسطين إلى حران بحدود سنة ٧٠م، وجدوا لهم فيها إخوة في الدين، فاستقبلوهم وساعدوهم، واستقروا عندهم ردحًا من الزمن قبل أن ينحدروا إلى الجنوب، ويسمون بصابئة البطائح، وتم تدوين هذه الهجرة في كتاب حران كويثا، وهو من نفائس كتب الصابئة المندائيين.

٧. من المستغرب في قصة القطيعي أن يترك الخليفة المأمون مدينة حران دون اتخاذ موقف عسكري أو شرعي منها، وهي حاضرة الدنيا في ذلك الزمان وملتقى طرق التجارة والحضارة بين بلاد النهرين والشام وبلاد الإفرنج، وكان الزمن زمن الفتوحات والغزوات لضم أراضي وشعوب إلى الدولة الإسلامية، فهل من المعقول إن يتركها المأمون في هكذا موقف؟؟؟... إن الحقيقة تكمن في معرفة الخليفة المأمون كل شيء عن مدينة حران، وأهلها، عن طريق معاونيه الذين يعملون معه من الصابئة المندائيين.

هناك أسباب أخرى تؤكد على خطأ ما ذهب إليه القطيعي، ولكنه نفث سِمَّه، وتلقفها من يريد الأذى لهذه الطائفة العريقة، واعتبروا القصة سندًا تاريخيًا لواقعة مزيفة.

- عبد الرزاق الحسني:

مؤرخ عراقي، كان من المفروض أن يكون قريبًا من الصابئة المندائيين الذين يعيشون في مدن وقرى تمتد من جنوب العراق إلى بغداد وديالى، وكان بمقدوره أن يتعايش معهم ويطلع على حقيقة دينهم التوحيدي وطقوسهم التي ترتبط بهذه العقيدة، ولم يكن الأمر عسيرًا عليه... ولكن بسبب تطرفه أو جهله باللغة الآرامية لم يستطع قراءة الكتب الدينية المندائية، وكان بإمكانه تعويض ذلك بالحوار مع رجال الدين الصابئة، ومشاهدة طقوسهم عن قُرب، ولكنه ادَّعى ظُلمًا وبهتانًا على الصابئة المندائيين أنهم عبدة كواكب ونجوم... فمن أين جاء بهذا التخريف ؟!! وكيف اختلق هذه الكذبة ؟!! إضافة لما ذكرنا أنه لم يطَّلع على الكتب الدينية ولم يحاور رجال الدين، فإن السبب يكمن في تفرد علماء الصابئة المندائيين في علوم الفلك والرصد ومراقبة النجوم، وكانت لهم شهرة واسعة وأسماء رنانة في ذلك الزمان، وهذا عِلمٌ يحسب لهم لا عليهم، وهذا لا يعني أن العلماء الفلكيين الذين يراقبون النجوم والأفلاك والمجرات هم عبدة كواكب ونجوم، فهل كل العلماء في هذا المجال الذين يعملون الآن على كوكب الأرض هم عبدة كواكب ونجوم حسب نظرية عبد الرزاق الحسني... لقد امتعض المندائيون من هذا الطرح المجحف بحقهم، وأقام رئيسهم الروحاني الكنزبرا "دخيل الشيخ عيدان" شكوى عليه في المحاكم العراقية... وقد استعانت المحكمة بالأب انستانس الكرملي مترجمًا محلفًا، وقرأ الكنزبرا دخيل نصوصًا من الكتاب المقدس (الكنزا ربا) باللغة الآرامية المندائية وترجمها الكرملي إلى اللغة العربية وهي بوث (آيات) تتحدث عن التوحيد بالحي الأزلي... فأدان القضاء عبد الرزاق الحسني، واتهمه بالتحريف والتزوير المتعمد والمقصود في عقيدة دينية توحيدية، وطلبوا منه تصحيح ما ذهب إليه خطأ، فاستجاب المؤرخ عبد الرزاق، وصحح في كتابه (الصابئة المندائيون: التاريخ والعقيدة والكتب المقدسة) ص ١٧: (فوفق ما جاء في كتبهم المقدسة يعتقدون بربٍّ عظيمٍ خالق الكائنات الروحية والمادية... وكذلك الاعتقاد أن النفس في الجسم تعود لخالقها في عالم الأنوار بعد موتها).

- اليهود:

ارتكب اليهود مجازر تاريخية بحق المندائيين في فلسطين، ويؤكد المؤرخون أن اليهود قتلوا ثلاثمائة وستين رجل دين مع خلق عظيم من المندائيين في مجزرة مروعة، مما اضطر البعض إلى التخفي في الكهوف والجبال، والبعض الآخر تَهَودوا خوفًا على حياتهم ظاهريًا ؛ بينما باطنيًا بقوا مندائيين فتمت تسميتهم باليهوطايي، أي الخطائين أو النازلين... وقسم آخر هاجر إلى مدينة حران، وقسم آخر استمر بالرحيل مهاجرًا إلى مدن مندلي وزرباطية، وصولاً إلى جنوب العراق وجنوب غرب إيران، فاستقبلهم إخوة لهم في الدين هناك، ومن المندائيين اليهوطايي تشكلت فرقة الأسينيين المسالمين، وهم في جوهرهم مندائيون، وفي ظاهرهم فرقة يهودية.

إن المشكلة التي نعاني منها هي ثقتنا بما يدوِّنه الباحثون الغربيون والمستشرقون لأنهم أدق في البحث والتقصي من غيرهم الذين ينقل بعضهم من البعض، ولكن الكثير من المؤسسات البحثية الأوربية والأمريكية لها ارتباطات مشبوهة وتبعية بالمؤسسات الدينية والمخابراتية اليهودية، وأن عددًا منهم تموله هذه المؤسسات كي لا يخالفوا ما وردَ من نصوص في التوراة... وعليه يجب الاعتماد على البحوث التي تصدر من الباحثين المندائيين من ذوي الاختصاص، وعلى آثار وتاريخ وموروث شعوب المنطقة وفهمها واستيعابها بدقة وحيادية، والتي ترتبط مع المندائية كدين ومجتمع وتراث.

- الشيخ زاد العبد الله:

رجل دين مسلم، يفسِّر الأمور على هواه، إذ يقول: مَنْ الصابئون؟ وهل يوجد في الأرض مثل هؤلاء؟ الصابئون جمع صابئ وهو الذي ترك دينه إلى دين آخر، وكانت العرب تسمي النبي محمد بالصابئ، لأنه ترك دين أجداده واتبع ديناً آخر، رغم أن الله عصم النبي محمد فلم يسجد لصنم قط، وكانت العرب تسمي النبي محمد بالصابئ...

يقول: قرأت في دائرة المعارف الإسلامية، أن الصابئة اسمٌ مأخوذٌ من اسم عبري "صبع" وهي طائفة يهودية مسيحية ويسميها النصارى أتباع يوحنا، لأنهم يتبعون يوحنا (يحيى بن زكريا)... وجامع دين الصابئة عبادة الكواكب، ولكن حاشى نبي الله يحيى بن زكريا عبادة الكواكب، وحاشى كل الأنبياء الذين سبقوه عيسى وموسى وإبراهيم ويوسف ويعقوب، فكل الأنبياء بعنوان التوحيد... والصابئة يعبدون الكواكب السيارة، وخاصة النجم القطبي، وهم يبنون الهياكل لهذه الكواكب ويزعمون أن أرواح هذه الكواكب ستنزل وتحل في هذه الهياكل، وهم يصومون في العام ثلاثين يومًا في السنة، ولكنهم يقسِّمون هذه الأيام على ثلاث مراحل في السنة... ومن معتقداتهم أن غسل الجنابة عندهم واجب، وغسل المرأة من الحيض واجب، والعزوبية حرام، ويجوز للرجل أن يتزوج ما شاء من النساء، ولا يحق له الزواج من دين آخر إطلاقًا، وكذلك المرأة لأنهم سيخرجون من الدين الصابئي ولا تقبل منهم التوبة... إن معظم علمائنا ومؤرخينا لا يعرفون عنهم شيئًا، ولهذا قسمٌ منهم ألحقَ الصابئة باليهود والنصارى من أهل الكتاب، ومنهم من ألحقهم بالمجوس والمشركين مستدلين بسورة الحج، لأن مذكور فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركين... ومن أهل العلم قال إنهم من أهل كتاب، ومنهم قال لا كتاب عندهم، وكما قال ابن تيمية طيب الله ثراه الذي جمع بين سورة البقرة وسورة الحج، إن الصابئة نوعان، نوع موحدون حنفاء كما تذكرهم سورة البقرة التي ورد ذكر أربعة ملل

فقط : المسلمون والنصارى واليهود والصابئة من آمن بالله وعمل صالحًا ، فالمسلمون والصابئة واليهود والنصارى موحدين ، وأن الصابئة من الموحدين على ملة إبراهيم... ولهذا فالفقيه ابن تيمية على حق في تفسيره ، بين ما وردَ في سورة البقرة وما وردَ في سورة الحج... وإن الصابئة إذا مات رجلٌ أو امرأة يغسلونه ويكفنوه.

▪ تعقيب:

في بداية مقاله يتكلم الشيخ زاد العبد الله عن الصابئة المندائيين وكأنه لا يعرف عنهم شيئًا ، ويتهمهم بأنهم عبدة كواكب ونجوم ، وأنهم يعبدون النجم القطبي ويقدسونه ، وهو بهذا يجافي الحقيقة ، فالدين الصابئي المندائي أقدم الأديان على وجه الخليقة ، والصابئة يعبدون الحي العظيم الله رب الناس ويقدسونه ، وهذا ما يؤكدهُ أنبياؤهم وكتابهم المقدس (الكنزا ربا) وما يؤمنون به ، وأن صلاتهم لله وحده ، ولكن وجهتهم نحو النجم القطبي للدلالة لا غير لأن قبلتهم جهة الشمال ، والنجم القطبي ثابت نحو جهة الشمال كالبوصلة في السماء ، وهذه الطرق من الاستدلال يستعملها باقي الأديان للاتجاه نحو الكعبة أو القدس وغيرها من أماكن العبادة أثناء تأدية الصلاة ، والطقوس الدينية ، في ذلك الزمن الذي تنعدم فيه الأجهزة الإلكترونية لتحديد الاتجاه.

أما عن الكواكب والنجوم فإن الصابئة ومنذ أزمان بعيدة برعوا في علم الفلك ، بالإضافة إلى العلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والكيمياء ، والصياغة ، وتصنيع العدد الزراعية وغيرها الكثير ، فهل يعقل أن كل من يبحث في علم الفلك هو من عبدة الكواكب والنجوم !! كلنا نتابع اليوم الأخبار التي تتعلق بالفضاء وغزو الكواكب وإرسال المركبات الفضائية إلى مدارات هذه الكواكب ، أو الهبوط فوق سطوحها مثل القمر والمريخ وغيرها ، ونرى مدى الاهتمام الكبير بعلوم الفلك والنجوم وتسابق الدول المتقدمة بهذه العلوم ، وبذلها للأموال

في سبيل ذلك، وبات الإنسان ملمًا بتأثير الكواكب والنجوم والكويكبات والنيازك على حياة الإنسان والمناخ والطبيعة على الأرض ، وتتم دراسة علوم الفلك والفضاء في أرقى الجامعات العالمية، وتنتشر على أرض المعمورة مئات من مراكز البحوث والمراصد الفلكية ، والذي يعمل فيها مئات من كبار العلماء لدراسة تأثير الكواكب والنجوم على الأرض وسبر أغوارها، والأمل في العثور عن الحياة في الكون الواسع... ويأتينا الشيخ زاد ليكفِّر من يدرس ويرصد الأفلاك بأنهم عبدة كواكب ونجوم، ولله في خلقه شؤون.

يقول الشيخ زاد إن العرب كانوا يسمون النبي محمد وأتباعه بالصابئين ، وإن المسيحيين يسمون الصابئة أتباع يوحنا، فهل هذه معلومة جديدة تفيد الباحثين ؟! من يدرس تاريخ الجزيرة العربية يعرف جيدًا أن في زمن الرسول محمد عليه الصلاة السلام كان يقيم في أرضها عدة طوائف وينتمون لعدة أديان ، منهم اليهود والنصارى وعبدة الأصنام والأوثان، ومنهم الصابئة الذين كان يتميزون بملابسهم البيضاء ، وكان يعتبرون كل شيء من صنع الإنسان غير مقدس ، وينفرون من الأصنام والتماثيل والأوتاد التي تتعبد بها باقي الطوائف ، وكانت في صلاتهم إلى الله حيث ترفع رؤوسهم نحو السماء ، وحين بدأ النبي محمد الدعوة إلى الإسلام ؛ لبس المسلمون الأوائل الملابس البيضاء ، وتركوا عبادة الأصنام والأوثان والتماثيل والأوتاد ، فأطلقوا عليهم تسمية الصابئين ، لتشبههم بالصابئة المندائيين.

أما الصوم فالصابئة لديهم صَومَان : الصوم الكبير صوم القلب والعقل والضمير عن كل إساءة والتمسك بالعمل الصالح والأخلاق الحميدة التي أوصانا بها الحي العظيم بواسطة أنبيائه الأجلاء وما أنزل عليهم من تعاليم... والصوم الصغير ، ومدته ستة وثلاثون يومًا ، موزعة على أيام السنة المندائية التي طولها ٣٦٠ يومًا ، لأن الخمسة أيام البيضاء (البرونايا) لا تعد ، حيث تمَّ فيها خلق العالم العلوي (الما دنهورا) عالم الأنوار (الجنة) وفيها انبعث الحي العظيم (الله) من

ذاته ، وهذه الأيام الستة والثلاثون ، لا يجوز فيها ذبح الطيور والحيوانات المحلل أكلها لدى المندائيين وفق ما ورد في كتابهم المقدس (الكنزا ربا).

أما عن تكفين الميت ودفنه... أظن أن الشيخ التبس عليه في هذا الشأن ، إن المندائيين يغسلون المحتضر قبل وفاته ، من أجل طهارة الجسد حتى تخرج النفس (النشماثة) من جسد طاهر ، والذي يتم تلبيسه بالكفن الأبيض (القماشي) مع جميع الإجراءات الطقسية لذلك ، لتشق النفس طريقها إلى عالم الأنوار.

أما الجنابة والحيض فهذا أمر تشترك في تعاليمه كل الأديان السماوية.

أما تفسير ابن تيميه شيخ الإسلام ، والذي يقول إن الصابئة نوعان : نوع تمَّ ذكره في سورة البقرة مع المسلمين واليهود والمسيحيين من آمن بالله وعمل صالحًا ، فهؤلاء من أهل الكتاب ، ونوع تم ذكرهم في سورة الحج مع المسلمين واليهود والمسيحيين والمجوس والمشركين ، ولم يذكر من آمن بالله وعمل صالحًا ، فهؤلاء ليس من أهل كتاب... والسؤال : أنهم ذكروا كما ذكر المسلمون والمسيحيون واليهود والمجوس والمشركون ، فلماذا الصابئة فقط يوضعون في خانة المجوس والمشركين ؟ ، فأما يوضع معهم المسلمون والمسيحيون واليهود ، وأما فصل الصابئة والمسلمين والمسيحيين واليهود عن المجوس والمشركين كما ورد في سورة البقرة... لأن السَّور والآيات تكمِّل بعضها البعض ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فقد نزلت آية قرآنية في بادئ الأمر عن الخمر تقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾[1]... ثم نزلت آية أخرى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنما الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[2] بمعنى تحريم الخمر بشكل عام ، فهل يصح أن نعود للآية الأولى ونقول : يمنع شرب الخمر عندما تقربوا الصلاة فقط؟!...

---

١ القرآن الكريم : سورة النساء، الآية ٤٣

٢ القرآن الكريم : سورة المائدة، الآية ٩٠

وإذا علمنا ان سورة البقرة أساسية في القرآن الكريم، بل هيَّ أطول سورة وردت فيها تعاليم كثيرة... فهي سورة شاملةٌ محيطة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شيء شَهِيدٌ ﴾[2]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

- الدكتور مصطفى محمود:

الصابئة المندائيون الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم:

في النُطق الهيروغليفي ننطق سابي أي صابي، وجمعها الصابئون، وتعني المهديون أتباع الحنفية الإدريسية، أي أتباع النبي إدريس (ع)، وأن كلمة حنفية وفعلها حنف؛ موجودة أيضًا في اللغة الهيروغليفية، وأن النبي إبراهيم نزلت عليه النبوة في مصر وعمره ثمانون سنة، ودرس الإدريسية في جامعة عون في عين شمس، وهو من أتباع نبي الله إدريس، فالحنفية التي نادى بها إبراهيم تتبع حنفية نبي الله إدريس وهو أصل تعاليم الحنفية... وكلمة حنيف تعني: من أسلم وجههُ لله تعالى، ودائمًا عند ذكرها معها صورة إنسان مؤمن يرفع يديه مسبحًا الله تعالى... والصابئة أتباع نبي الله إدريس الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إدريس إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[4]

---

١ القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية ٦٢

٢ القرآن الكريم : سورة الحج، الآية ١٧

٣ القرآن الكريم : سورة المائدة، الآية ٦٩

٤ القرآن الكريم : سورة مريم، الآية ٦٩

وأن الحنفية التي بشَّر بها النبي إدريس ولدت في مصر ومنها انتشرت... وكلمة حنف أو حنيف، كلمات هيروغليفية مصرية فرعونية.

▪ تعقيب:

إن نبي الله إبراهيم نزلت عليه النبوة في مدينة أور في بلاد ما بين النهرين، عندما كان شابًا يافعًا، وتصحيحًا لمعلومات د. مصطفى، فإنه لا توجد جامعة ولا مدرسة للتدريس في زمن النبي إبراهيم في مصر، ومن يقرأ السجلات التاريخية لتأسيس الجامعات والمدارس يعرف أن أقدم الجامعات هي جامعة القرويين في المغرب وقد تأسست في عام ٨٥٩م، وتليها جامعة الأزهر في مصر تأسست عام ٩٧٢م، وتليها المدرسة النظامية في العراق تأسست في عام ١٠٦٢م، ولا ننسى أعظم مدرسة في عصر الخلافة العباسية وهي المدرسة المستنصرية تأسست في عام ١٢٣٤م، وتخرج منها مئات العلماء في الطب والعلوم الشرعية والفقهية، وعلوم القرآن والأحاديث النبوية.

لم نسمع من قبل أن كلمة صابئين تعني المهديين، ولم نقرأها في أي وثيقة أو كتاب قديم... ولكننا نعرف أن الصابئة يسمون أنفسهم المندائيين، المعرفيين، أهل النور، أهل الكشطا، أهل الحق، الحياويين - أي أتباع النبي يحيى - الصابغة، الصبة، وهكذا.

▪ المستشرق ليدزبارسكي Lidzbarski Mark :

مستشرق ألماني ولد في ٧ / ١ / ١٨٦٨ من عائلة ألمانية في مدينة بوزنان في مقاطعة شليزين – ذات الطبيعة السكانية الألمانية العائدة لبولونيا... درس اللغات السامية في جامعة برلين، وتوج دراسته بالحصول على الدكتوراه في هذا المجال في العام ١٨٩٦، ثم على شهادة البروفسور في عام ١٩٠٧ في جامعة كرايفسفولد، وحصل على كرسي في جامعة كونتكن في عام ١٩١٧... كان ليدزبارسكي كاسرًا لكل الخطوط المعتادة في حقل اللغات الآرامية الجديدة، وبالذات تخصص اللغات السامية، ومنها حصرًا المندائية (أدب ولغة المندائيين) ومن كتبه في هذا المجال أصدر كتاب (يوحنا المندائيين) (دراشة يهيا)، مرتين في ١٩٠٥ و ١٩١٥، وأصدر في عام ١٩٢٠ (نصوص دينية مندائية) بجزأين، قام بترجمة كتاب (الكنزا ربا) ترجمة كاملة في عام ١٩٢٥ مستندًا على ثماني نسخ من الكنزا التي كانت موجودة في ألمانيا/ جامعة ميونخ، هولندا / جامعة لايدن، فرنسا/ جامعة باريس، بريطانيا/ جامعة أكسفورد. كذلك ترجم (سيدرا اد نشماثا) (كتاب الأرواح) في عام ١٩٢٠، وترجم كتاب (القلستا) في عام ١٩٢٦.

توفى هذا العالم الجليل في عام ١٩٢٩ تاركًا وراءه تراثًا ضخمًا، قدَّم من خلاله خدمة جليلة لدراسي الأدب والدين والتاريخ المندائي... اعتمدت كل من المسز دراور والبروفيسور الألماني ماتسوخ، على بحوثه ودراسته وبطاقاته الموجودة في جامعة هاله في إصدار قاموسهما المندائي – الإنجليزي الذي صدر في عام ١٩٦٢.

إن ما تركه العالم ليدز بارسكي من تراث علمي موجود في مكتبة جامعة مدينة هاله الألمانية.

(عن مجلة آفاق مندائية – سيرة حياة) بتصرف

▪ تعقيب:

كان العالم ليدز بارسكي مثالاً رائعًا في دراسة الوثائق ونقل المعلومات عنها بأمانة وإخلاص، وخير دليل على ذلك ترجمته الرائعة لكتاب (الكنزا ربا) من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة الألمانية، وأصبح كتابه مرجعًا مهمًا لكثير من الباحثين، ورغم إجادته لترجمة هذا الكتاب المقدس، لكنه ترك فراغات للكلمات التي لم يتمكن من صياغتها لغويًا، أو تركها على أصولها بدون ترجمة، بسبب عدم قدرته على استيعاب معاني هذه الكلمات أو رمزيتها في سياق الجملة، أو لكون بعضها من أصول بابلية أو فارسية تمَّ استخدامها في مراحل زمنية لاحقة... ومع هذا فترجمة هذا العالم من خيرة الترجمات، وهو من المعجبين بهذا الكتاب المقدس، إذ يقول: أي كُتابٌ عُظماء كتبوا هذا السفر العظيم، ناسيًا أو متناسيًا أن (الكنزا ربا) صحائف منزلة على أنبياء الله... أدم، وشيتل، وسام بن نوح، وإدريس، ويحيى بن زكريا (يهيا يوهانا)،

هذا العالم الجليل خَدمَ المندائية بما قدَّمه من جُهدٍ علمي رائع، ولهذا نريد أن نقول للذين أجحفوا بحق المندائيين... هكذا هم العلماء المجدون والمخلصون في عملهم، وليدز بارسكي نموذجًا للعالم المتفاني والباحث عن الحقيقة كمستشرق وعالم لغات، فمن أجل ترجمة كتاب (الكنزا ربا) قام بزيارة مراكز البحوث والمكتبات لعدة جامعات متنقلاً بين ألمانيا وهولندا وباريس وإنكلترا، باحثًا عن الصحائف الأصلية لهذا الكتاب، وترجم محتوياتها بكل صدق وأمانة، ولهذا يشار له بالبنان في جميع المحافل العلمية، لِمَا قدَّمه من خدمة للإنسانية، رغم وجود ملاحظات عليه من قبل بعض المختصين المندائيين.

■ **الأستاذ/ عادل دشر زامل :**

كان يشغل منصب رئيس مجلس شؤون الطائفة في الكوت، كتب مقالاً مقتضبًا عن ما أورَدَه المؤرخ العربي أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه مروج الذهب: (أن شخصًا من أرض الهند يدعي بوادسف خرج من أرض الهند إلى السند ثم سار إلى سجستان وبلاد زابلستان وصل السند وكرمان زعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وخلقه وهو من أظهر مذاهب الصابئة)، وأكَّد كاتب المقال المعلومة التي نقلها المسعودي بأن بوداسف (هو من أظهر مذاهب الصابئة)، ولم يسند المسعودي المعلومات التي ذكرها في كتابه هذا الذي يعتبر منافيًا لما ورد في الكتب السماوية، وخاصة القرآن الكريم للأسباب التالية:

١- ان الصابئة هم مذهب واحد، وليسوا عدة مذاهب كما ذكر المسعودي.

٢- تؤكد جميع المصادر التاريخية على منشأ الدين الصابئي أما في العراق أو في فلسطين، ولا تذكَر الأماكن التي ذكرها المسعودي.

٣- ان الكتاب المقدس (كنزا ربا) -مبارك اسمه- (صحف) هو الكتاب الأول للصابئة، ذكرت فيه صفات الخالق العظيم، والتوحيد والخلق والنشوء، وأن صحف آدم عليه السلام هي صحف منزلة وليست من كتابة أحد، وأن الإطلاع على الترجمة العربية لهذا الكتاب المقدس يقودنا إلى التطابق والتجانس بين فحوى نصوصه مع فحوى نصوص الكتب السماوية المقدسة الأخرى.

٤- لو فرضنا جدلاً صحة قول المسعودي، وأن الصابئة بعد ذلك اتبعوا النبي يحيى عليه السلام والتزموا بتعليماته، ألا يعد هذا كافيًا لاعتبارهم أصحاب دين سماوي ومن أتباع نبي من أنبياء الله ورُسله.

إن التأليف هو أدبٌ يعبِّر عن وجهة نظر المؤلف، وهذا الأدب يفقد قيمته كلما حمل في طياته ايماءات للتشويه التي ربما لا تثير الاهتمام من حولها إلا بمرور الزمن وتغير الظروف واتساع الإطلاع.

إن ورود ذكر الصابئة في القرآن الكريم لا يقبل الشك بأنهم أصحاب ديانة موحدة إلى جانب الديانات السماوية الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم.

■ **الدكتور / دهام مجيد العزاوي :**

كتب الدكتور دهام وهو أستاذ في كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد ، مقالاً بعنوان "آراء في الصابئة":

آراء في الصابئة

تحظي عملية تشخيص طبيعة ونوعية العلاقة بين الجماعات في المجتمع الوطني، بقدر كبير من الأهمية، حيث أن دراسة سلوك الجماعات تجاه بعضها الآخر بما تتضمنه من حالات انفتاح وتعاون ومودة، أو حالات تعصب وحقد وكراهية، أصبحت تحظى بأهمية قصوى في دراسات علم الاجتماع السياسي، لِمَا يترتب عليه من آثار إيجابية وسلبية في حياة الجماعات الوطنية بجوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولا شك أن دراسة الواقع الاجتماعي لطائفة الصابئة المندائية في العراق، من حيث كونهم من الجماعات الوطنية الأصيلة ذات الامتداد التاريخي المتجذر من أرض الرافدين وذات الأيدلوجية الدينية المنفتحة والمسالمة، لذا فإن الصابئة لا يعانون عقدة العيش المشترك مع الأغلبية المسلمة في إطار المجتمع الوطني، حيث لم يشهد تاريخ الصابئة بروز أية واقعة اجتماعية تدل على تعصبهم وعدائهم تجاه أبناء الوطن الآخرين، بل على العكس فإن ما يتميز به الصابئة من أُلفة وتسامح قد أبرز – ومنذ فترات بعيدة – حالة من الانفتاح والتعاون المشترك بينهم وبين الآخرين لمواجهة المخاطر التي تحيط بالوطن.

إن تحليلاً مبسطًا للعلاقات المنفتحة القائمة بين الصابئة وإخوانهم المسلمين، وسمو المكانة التي وضعها المسلمون لأبناء طائفة الصابئة، يمكن أن يعزى إلى عوامل عديدة... فالصابئة تاريخيًا عُرف عنهم أنهم أصحاب دين موحِّد، فهم من أتباع نبي الله يحيى عليه السلام، وبالتالي فهم أقرب مودة للإسلام، ومما

عزَّز من هذا التصور هو ورود ذكر الصابئة في ثلاث آيات من القرآن الكريم في سور البقرة والمائدة والحج، واصفًا إياهم بأنهم أهل إيمان وتوحيد.

لقد ساهم هذا التصور الإسلامي في أن عاش الصابئة تاريخيًا مندمجين ومتآخين مع إخوانهم المسلمين، حيث شهد تاريخ الإسلام بروز الكثير من أبناء الصابئة مبدعين ومنتجين، فكان لنتاجاتهم الأثر البيِّن في تطور دولة الإسلام في ميدان الطب والفلك والرياضيات... إلخ.

ولا شك أن مما ساهم في زيادة اللُحمة والاندماج بين الصابئة وإخوانهم المسلمين في إطار المجتمع العراقي هو اشتراك الجانبين في رابطة النسب المشترك، ووحدة الدم... فالصابئة هم عرب عاشوا في هذه الأرض منذ أقدم العصور، أصلهم العربي أسهم في وصول الكثير منهم إلى مراتب عليا في سلم الدولة العربية الإسلامية، لقد ساهم هذا العامل في دعم حالة التواصل والانفتاح مع المسلمين العرب إلى أقصى مدياتها.

واليوم حيث يعيش الصابئة في إطار المجتمع العراقي، تبدو عوامل بقاء حالة الانفتاح والتسامح المشترك القائمة بين الصابئة وإخوانهم المسلمين واضحة في سلوك الطرفين، ومما يساهم في ذلك هو انتشار الصابئة في كافة أرجاء وشرائح المجتمع العراقي، فضلاً عن أن قلة عددهم وعدم حملهم أيديولوجية دينية ذات طابع تبشيري أو تصادمي وتميزهم بصفات اجتماعية، وجدت قبولاً واسعًا لدى أبناء الوطن الآخرين، فضلاً عن أن حبهم للنظافة والوجود الدائم قُرب مصبَّات الأنهار وشغفهم بالعمل والإنتاج ولا سيما في الميدان المتعارف عليه عند العامة، وهو صياغة الذهب والفضة والأحجار الكريمة، واهتمامهم بكافة أنواع العلوم والمساهمة الواسعة التي أخذ يقدمها أبناء الطائفة الدينية، ورفعها إلى مكانة سامية في نظر أبناء الوطن الآخرين باعتبارها من الفئات الدينية التي لا تهدف إلا إلى التعايش السلمي والتعاوني في إطار المجتمع الوطني العراقي.

■ **د. رشيد الخيون :**

هذا العراقي الشهم، العلامة المبدع والأكاديمي المقتدر، ابن جنوب العراق، الوطني التقدمي، مؤلف الكثير من الكتب، والمرجع المهم... عاشر الصابئة المندائيين وعاش بينهم لأنه ابن الجبايش في عمق أهوار جنوب العراق من قبيلة بني أسد العربية، ولأنه صاحب ضمير حي، ولإطلاعه عن قُرب على كثير من الحقائق ودقائق الأمور؛ كتب ما يمليه عليه ضميره وإيمانه ووجدانه ومهنيته وحبه لوطنه وأبناء شعبه... فبورك فيه وفي ذريته.

كتب الدكتور رشيد الخيون مقالاً جاء فيه:

آراء فقهاء المسلمين في الصابئة المندائيين... وموقفهم التقي من الله والخير

هناك نداء موجه من صابئيين مندائيين، يشكون فيه ما يحل بأهلهم وبدينهم وبملتهم، في بعض مناطق العراق اليوم، من ضغوط يمارسها ضدهم رجال دين مسلمون مسيّسون، يجهلون تاريخ هذا الدين، وفقهه، وتعاليمه... يشهد التاريخ بتمرس الصابئة المندائيون على التعامل الحذر مع المحيط، والقدرة على الصبر تجاه المضايقات المستمرة، فحاولوا لدهور طويلة التعايش السلمي في المجتمع العراقي، مطلبهم الوحيد هو الاحتفاظ بدينهم وممارسة طقوسهم دون تظاهر قد يزعج الآخرين، وهذا ما يأملون أن يوفره لهم العراق الجديد.

تضامنًا مع النداء، ومع قدماء العراق، أحاول في هذا المقال الكشف عن آراء فقهاء المسلمين من المتقدمين والمتأخرين من أهل هذا الدين القديم الموحِّد، ولينظر فيها مَنْ يجهلهم، ويجهل رأي الإسلام فيهم. وهنا لا أحاول أن أبرر لوجود هذا الدين أو ذاك، فأي إنسان من حقه الحياة وممارسة طقوسه وعقيدته طالما ضمنها له دستور متحضر وإنساني، فالله خلق الدنيا متسعة للجميع، وكل فئة تصله وتتعرف عليه وتناجيه بطريقتها، والهيمنة والسيطرة مرفوضة في

القرآن الكريم قبل لوائح حقوق الآدميين، وليس هناك أفصح من الآية ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[1]

صرح معظم المفسرين الفقهاء بنسخ الإسلام للأديان الأخرى بما فيها الكتابية، حسب الآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، بينما حاول فقهاء آخرون تثبيت اعتراف الإسلام بالآخر وهذا ما حصل فعلاً. بدأ التصريح بنسخ أو إلغاء الآخر عمليًا في الجزيرة العربية بترحيل يهودها ومسيحيي نجران على يد الخليفة عمر بن الخطاب، لشأن سياسي وزمني، حتى تبقى خالصة للإسلام، وبلا شك أثَّر هذا الموقف سلبًا في العلاقة مع أهل تلك الأديان، لكن هذا لم يطبَّق خارج الحجاز، بيد أن من الصعوبة بمكان إلغاء النص القرآني الذي ضمن للكتابين وغيرهم الاحتفاظ بدياناتهم وفق شروط، استغلها عدد من الخلفاء بداية من عمر بن عبد العزيز وحتى خلفاء بني العباس وأمراء المغول بعد إسلامهم، ومن أتى بعدهم، ليضيقوا على أهل الذمة في لباسهم ودور عبادتهم وحياتهم الشخصية، ووراء هذه السياسات كان الإخباريون والفقهاء... وبهذا لم يعترف بعض الفقهاء المسلمين للصابئة المندائيين ما اعترف لهم به القرآن الكريم، كأهل دين وكتاب في ثلاث سور من سوره هي: البقرة، والمائدة والحج، تتكرر الآية بالصيغة نفسها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ (**هكذا وردت**) وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]، وصيغة أخرى أُضيف فيها المجوس والمشركون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شيء شَهِيدٌ﴾[4].

---

١ القرآن الكريم : سورة الغاشية ، الآية ٢٢

٢ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية ٥٥

٣ القرآن الكريم : سورة المائدة ، الآية ٦٩

٤ القرآن الكريم : سورة الحج، الآية ١٧

جاء في أسباب نزول الآية الأولى - وبالتالي يعبِّر سبب نزولها وتفسيرها عن نزول الآيتين الأخيرتين - : أنها "نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، لمَّا قدم سلمان على رسول الله (ص) جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم، وقال: يا رسول الله كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تُبعث نبيًا، فلما فرغ سلمان من ثنائه، أنزل الله: إن الذين آمنوا والذين هادوا..... وتلا قوله: ولا هم يحزنون"[١].

وروي عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وغيرهما: "نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي، وكان من أهل جندي سابور من أشرافهم". وهنا لا يقصد بديانة سلمان المسيحية أو اليهودية، فالكثير منهما دخل الإسلام قبل سلمان، وجاءت فيهما نصوص قرآنية كثيرة لم تحتاج إلى تدخل أحد، سلمان أو غيره، كما لا يقصد بها المجوسية، وإن كانت منتشرة في بلاد فارس، حيث انحدار سلمان، لأن أسباب النزول خاصة بالآية (٦٢) من سورة البقرة، والمجوس لم يذكروا إلا في سورة الحج (١٧). لذا الاحتمال الوارد أن سلمان الفارسي واسمه الحقيقي، حسب الطبري: (مايه بن بوذخشبان بن ده ديره) كان صابئيًا مندائيًا، فللدين المذكور وجود ببلاد فارس، يوم كان العراق وإيران تحت حكم واحد.

يروى عن عائشة كان للرسول مجلس مع سلمان الفارسي "ينفرد به في الليل حتى يكاد يغلبنا على رسول الله"[٢]. ربما كانت هذه العلاقة سببًا في ورود شيء من اعتقادات المندائيين في الإسلام، فهم أحناف بالمعنى المعروف للحنفية. ومعروف أن تسمية الإسلام ممتدة في أديان أخرى، حتى أن فقهاء مسلمين يعدون الأديان التي سبقت الإسلام مراحل لدين واحد. قال الفقيه السوداني المقتول محمود محمد طه "بالإسلام جاء جميع الأنبياء من لدن آدم وإلى محمد"[٣]

---

١ الواحدي ، أسباب النزول

٢ ابن عبد البر ، الاستيعاب

٣ الرسالة الثانية في الإسلام

روى الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في سياق ترجمة الإصطخري أن القاهر بالله العباسي استشار فيهم الفقيه والمحتسب المذكور: "أفتاه بقتلهم، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى، وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمعوا بينهم مالاً كثيرًا له قدر فكفَّ عنهم"[١]. ذُكرت فتوى القتل في مصادر إسلامية ترجمت لحياة الإصطخري منها "سير أعلام النبلاء" لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وعزف عن ذكرها آخرون مثل شمس الدين بن خِلّكان (ت٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان".

ومثلما يتوجه المسلمون صوب الكعبة، ويتوجه اليهود والمسيحيون صوب المشرق؛ يتوجه الصابئة المندائيون في صلاتهم صوب الشمال، فكوكب القطب الشمالي عندهم هو علامة اتجاه قبلة صلاتهم فقط.

كان صاحب فتوى القتل شافعي من أبرز فقهاء عصره، يُعرف بفقيه العراق، وتولى حسبة بغداد، فأحرق مكان الملاهي. وبعد حوالي قرنين من الزمان جاء في رسالة رئيس ديوان الجوالي، محمد بن يحيى بن فضلان (ت٦٣١هـ) الشافعي أيضًا، الخاصة بأهل الذمة إلى الناصر بالله العباسي (ت٦٢٢هـ)، فقرة تذكر بفتوى الإصطخري في الصابئة والحث على تطبيقها: "الصابئة قوم من عبدة الكواكب، يسكنون في البلاد الواسطية (بين الكوت والبصرة) لا ذمة لهم، وكان في قديم الزمان لهم ذمة، فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الإصطخري، من أصحاب الشافعي، في حقهم، فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لا تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلوا له خمسين ألف دينار، فأمسك عنهم، وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى"[٢].

السؤال، كيف عبد الصابئة الكواكب وكتابهم يقول:

---

١ تـاريخ بغداد

٢ الحوادث الجامعة

(باسم الحي العظيم ، أشرق نور الحي ، وتجلى منادهيي بأنواره ، فأضاء جميع الأكوان ، حطم ألوهية الكواكب ، وأزال أسيادها من مواقعهم)[1].

وكيف عبد الصابئة المندائيون الأصنام والأوثان وكتابهم يقول:
(من يقدِّم الضحايا والقرابين تعقد خطاه في جبل الظلام (جهنم) فلا يرى نور الله ، أما من آمن وأتقى فله من النور مرتقى حتى يبلغ بلد النور)[2].

وهم قبل أن تحرم على الإصطخري الخمور حرَّموها بالقول:
(وليعلموا أن الخمرة يوضع شاربها في قيود وأقفال ، وتثقل عليه السلاسل والأغلال)[3]

وحكم الإمام أبو حنيفة فيهم: "إنهم ليسوا بعبدة أوثان، وإنما يعظمون النجوم كما نعظِّم الكعبة" [4]... والغريب في الأمر أن هذا التعامل مع الصابئة؛ وإن كان يحمي دمائهم؛ إلا أنه لا يتناسب مع حكم القرآن فيهم؛ أسوة باليهود والنصارى في الآية (٦٢) من سورة البقرة.

إن أجاز الإصطخري والماوردي كشافعيين أخذ الجزية من المجوس، لما ورد عن الرسول بشهادة الصحابي عبد الرحمن بن عوف أنه أخذها من أهل البحرين وكانوا مجوسًا، فابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، وهو حنبلي المذهب، قال: "الصابئة أحسن حالاً من المجوس، فأخذ الجزية من المجوس تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الأَوْلى، فإن المجوس من أخبث الأمم دينًا ومذهبًا، ولا يتمسكون بكتاب ولا ينتمون إلى ملة، ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب"[5]. وهذا اعتراف ضمني من فقيه حنبلي كبير في مذهبه، وتلميذ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد المعروف بابن تيمية (ت٧٢٦هـ)، بكتب أو شبه كتاب للصابئة.

---

١ الكنزا ربا - اليمين

٢ كتاب الكنزا ربا

٣ كتاب الكنزا ربا

٤ الآلوسي ، تفسير روح المعاني

٥ أحكام أهل الذمة

من جانب آخر خالفت فتوى الإصطخري وخالف حكم الماوردي وتحريض ابن فضلان ضدهم ، والجميع كانوا شافعيين ، إمامهم الأول محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) حين أفتى : "الصابئون والسامرة مثلهم يؤخذ من جميعهم الجزية، ولا تؤخذ الجزية من أهل الأوثان، ولا ممن عبد ما استحسن من غير أهل الكتاب" [١]. ومَنْ تؤخذ منه الجزية يحرم دمه.

بعد عرض فقه القدماء حول الصابئة المندائيين نأتي على آراء الفقهاء المعاصرين حولهم... قال الشيرازي بحذر وتردد : "فيهم غموض وخلاف ، وربما قيل عبدة نجوم" [٢]. ويرى الطباطبائي في "الميزان" أن عقيدتهم مزيج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحرانية. ولعل صاحب الميزان أول المحدثين، من فقهاء المسلمين، ميز بين الصابئة الحرانيين والصابئة المندائيين، ويؤكد أسباب نزول الآية (٦٢) من سورة البقرة في ديانة سلمان الفارسي السابقة. ولا يأتي الطباطبائي، رغم بحثه المطول فيهم، بجديد على ما ورد في كتب الأقدمين.

ويعد محمد حسين فضل الله، عن مؤرخين وكتاب مهتمين، أن الصابئة فرقتان: المنديا أو نصارى يوحنا المعمدان وصابئة حران الوثنيين، ويذهب مستفيدًا من بحوث أخرى إلى أن "الصابئة الذين ذكرهم القرآن إلى جانب اليهود والنصارى من أهل الكتاب يعدون من المنديا ، ولا شك في أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري (ص ب أ) أي غطس، ثم سقط الغين، وهو يدل بلا ريب على المعمدانيين" [٣].

ولعل آية الله فضل الله ينفرد من بين علماء الدين والمفسرين بتحفظه على قبول نسخ الآيات التي ورد فيها اسم الصابئة بالآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً

---

١ كتاب الأم

٢ تفسير تقريب القرآن

٣ من وحي القرآن

فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] ، إذ قال : "تتحفظ على هذا الجواب ، لأن مدلول هذه الآية لا يتنافى مع مدلول تلك ، حتى نفرض نسخ الثانية للأولى ، لأن الظاهر إرادة الإسلام بمعناه المصطلح ، كما يلوح ذلك من صدرها ، وهو الالتقاء على قاعدة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح". وهذا ما تقره الأديان المشار إليها في الآية.

يقترب الشيخ محمد جواد مغنية من الصواب عندما قال في الصابئين :"قوم يقرون بالله وبالمعاد وببعض الأنبياء ، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر ، والصحة والمرض ، ومنهم طائفة في العراق الآن"[2]... وعلى خلاف مَنْ اشتق تسمية الصابئة من صبأ العبرانية أي غطس وتوضأ ، وجد مغنية أن التسمية مشتقة من"صبأت النجوم أي طلعت" ، ويعدهم بأقدم الأديان في التاريخ. يبدو لي أن مغنية اطلع على سلسلة المقالات التي حبرها الأب أنستاس الكرملي في مجلة "المشرق" في العام ١٩٠٠ –١٩٠١ ، وذهب فيها إلى اشتقاق تسميتهم من الضوء.

بداية من صاحب أكبر موسوعة فقهية "جواهر الكلام" النجفي ، من أعلام القرن التاسع عشر ، وانتهاء بالعلامة السيستاني ، المرجع الشيعي الحالي بالنجف ، لم نجد رأيًا محرضًا في التعامل ضد أهل هذا الدين ، بل أن آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي اعتبرهم من أهل الكتاب ، وقدم مرشد الدولة الإيرانية آية الله علي خامنئي بحثًا مفصلاً فيهم عدَّهم من أهل الكتاب ومن الأديان الموحِّدة.

كان أكثر احتكاك المندائيين بالمذهب الشيعي بجنوب العراق مقارنة بالأديان والمذاهب الأخرى ، وكانوا سببًا في حياة المنطقة الاقتصادية ، فهم لفترة طويلة ظلوا منتجي وسائل الإنتاج ، من أدوات الصيد والزراعة والنقل ، فلابد أن يحدث احتكاك وتعالجه فتاوى الفقهاء ، ونزيد الذين يجهلون هذه الصلة علمًا أن

---

١ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية ٥٥

٢ التفسير الكاشف

إعادة إعمار أو إصلاح قبب العتبات المقدسة المذهبة يتم عادة على أيادي الصابئة المندائيين، فهم أهل حرفة الصياغة الأصليين.

قال آية الله أبو القاسم الخوئي "الصابئي كان من أهل الكتاب كما هو الظاهر"[1]. جاء ذلك في أمر رجل صابئي مندائي أشهر إسلامه معتنقًا المذهب الجعفري، وطالبته زوجته الصابئية المندائية بالنفقة في محكمة من محاكم بغداد الشرعية.

وطرح آية الله علي الخامنئي جملة أمور بشأنهم، فلهم بإيران طائفة كبيرة كانت جزءًا من سكان العراق قبل قطع الأهواز عنها، لهذا نظر مرشد الدولة الإيرانية في أمرهم عن قرب، باحثًا في كتبهم المترجمة إلى الفارسية والعربية، وربما كان أول فقيه يبتعد عن النصوص الشرعية، وليطلع على كتبهم ويتابع ممارستهم الدينية عن كثب، فقال: "نتيجة البحث في النقطة الأولى: إن الأقوى والأظهر بحسب الأدلة أن الصابئين يعدّون من أهل الكتاب"[2].

ولأنه نظر في واقع هذا الدين، لا فيما كُتب وقيل، نفى خامنئي أن يكون الصابئة ديانة متفرعة من الأديان الأخرى بل نظر إليها كديانة مستقلة. قال: "هل الصابئة يعدّون من شعب بعض الأديان الثلاثة: اليهود والنصارى والمجوس، أو إنهم نحلة أخرى غير هؤلاء؟ والجواب على ذلك: قد علم من بعض ما ذكرنا في توضيح النقطة الأولى، فلا دليل على ما قيل، وقد مضى ما نقلناه من كلمات بعض الفقهاء، من أنهم شعبة من اليهود أو أنهم مجوسيون وأمثال ذلك مما نقله في الجواهر عن غير واحد من الفقهاء كالشافعي، وابن حنبل، والسدي، ومالك وغيرهم، بل لعل مقتضى ما ذكرنا الجزم بخلافه".

قدم الخامنئي في كلمته التالية نقدًا غير مباشر للفقهاء الذين لم ينظروا في أمر هذا الدين وهو حيٌّ بينهم، قال: "الحق الذي ينبغي الاعتراف به هو أننا لا نعرف من المعارف والأحكام الدينية لهذه النحلة التاريخية، والتي أصبح

---

١ كتاب الصابئة

٢ الصابئة حكمهم الشرعي

المنتمون إليها موجودين بين أيدينا وفي عقر بلادنا، شيئًا كثيرًا تسكن النفس بملاحظته إلى معرفة أصحابها، والباحث في هذا الموضوع يجد في حقل البحث الموضوعي فيه فراغًا كبيرًا لم يسدّ مع الأسف".

وبعد الإطلاع على ما نشر من "درفش" (كلمة فارسية تعني العَلَم وإحدى صحف الصابئة، قابلت فيما بعد محررها المندائي الحلالي سالم جحيلي من صابئة الأهواز) قال الخامنئي: "فمن جملة عقائدهم التي يدّعونها ويصرون عليها؛ التوحيد". ويستشهد آية الله الخامنئي من بوثة (آية) التوحيد النص المندائي التالي **(يقدِّم إلهي منك كل شيء، يا عظيم يا سبحان، يا حكيم يا عظيم، يا الله المتعال الكريم، علا قدرتك على كل شيء، يا من ليس له شبيه، ولا نظير، يا راحم المؤمنين، يا منجي المؤمنين، يا عزيز يا حكيم، يا من ليس له شريك في قدرته، اسبح باسمك)**[1].

كل ما أفصح به آية الله علي الخامنئي في أمر الصابئة كان صحيحًا، لكنه ربما لم يسمع منهم تأويل علاقتهم بالماء الحي وتعريفهم لعالم النور، وأي دين يخلو مما لدى الصابئة من العلاقة بالماء والضياء؟ فهم إذ يجعلون للماء منزلة في طقوسهم، كوسيلة للعبادة، لا يسلمون على الأنهار وإنما يذكرون الحي القديم وهم وسط النهر. وقد لا ينفصل اهتمام آية الله خامنئي بالصابئة المندائيين عن مهامه كمرشد لدولة يقطنها المسلم والمسيحي واليهودي والمندائي والزرادشتي والبهائي، وهو بذلك تفوق على سلفه أية الخميني في معاملة أهل الكتاب والأديان الأخرى، فالزرادشتيون بإيران يظهرون في المجالس الرسمية بثيابهم البيضاء الناصعة، مع أنهم على دين منسوخ بالإسلام.

كان هذا التجاهل والجهل قديمًا بأمر الصابئة، وعانى المندائيون ما عانوا، رغم ذكرهم في القرآن، والصداقة الروحية، التي كان يضرب فيها المثل، بين جامع "نهج البلاغة" ونقيب الطالبين وتلميذ الشيخ المفيد والمرجع الشيعي المشهور الشريف محمد حسين الرضي (ت٤٠٦هـ) وبين الصابئي أبي إسحاق إبراهيم

---

١ كتاب الكنزا ربا

بن هلال (ت٣٨٤هـ)، التي أخبارهما ملأت صفحات التاريخ وأخبار الأدب، ورسائلهما الوجدانية استغرقت كتابًا صدر بعنوان "رسائل الصابئ والشريف الرضي".

كانت أشهر قصائد الشريف الرضي في رثاء إبراهيم الصابئ، التي استغرقت ثمانين بيتًا، ومطلعها المشهور:

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الأعْوَادِ أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي
جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الأزْبَادِ
ما كنتُ أعلمُ قبْل اليومِ أنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الأَطْوَادِ

فأين عاطفة الشريف الرضي، ووجدانه تجاه مَنْ ظل محتفظًا بدينه الصابئي من فقهاء العصر، وثقة الخلفاء والأمراء بالطبيب الصابئ، وهم أهل دين، الماء عندهم بعد الله وقبل النور؟ هذا وليس لدي معطيات تسمح ببحث العلاقة بين الرجلين، الرضي والصابئ، خارج إطارها الصداقي الإنساني إلى إطار فكري، فهناك إشارات وتلميحات في شعر الرضي قد تفيد في وجود منحى عرفاني (أغنوصي) لديه، والصابئة بالأساس هم عرفانيون، لكن ذلك همٌّ آخر لا مجال للدخول فيه الآن... غير أن ذكرى العلاقة بين الشريف الرضي والشيخ الصابئي ظلت حية حتى عصرنا الحالي... أخبرني السيد محمد بحر العلوم عن آصرة الصداقة بين والده السيد علي بحر العلوم والشيخ الصابئي أبي بشير عنيسي بالعمارة فكان علي بحر العلوم يذهب إلى هناك لوجود أراضٍ موقفة له وكانت تربطه بعنيسي صداقة وطيدة، فبعض الأصدقاء سأله: "كيف تكون لك صداقة وطيدة بشيخ صابئي؟ فردَّ عليه:

بيني وبين أبي بشير صداقةٌ تبقى مدى الأيامِ والأحقابِ
إني لأرجو الودَّ يبقى بيننا كودادِ سيدنا الرضي والصابي

بعد بيان آراء الفقهاء والعلماء المسلمين في شأن الدين المندائي، والعلائق بين شيوخ وسادة مسلمين وشيوخ صابئة قديمًا وحديثًا نود المرور على رسالة استلمتُها عبر البريد موقعة باسم الشيخ ميثم العقيلي عن المؤسسة الإعلامية للسيد الشهيد الصدر بالبصرة، بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣، جاء فيها أن الصابئة يمارسون أعمال الدجل والشعوذة والزنا والتفريق بين المرء وأهله...

قبل اتهام ديانة كاملة بمثل هذه الممارسات علينا التذكر جيدًا ما يُتهم فيه الخصوم المذاهب الإسلامية الأخرى، وأخص بالذكر مذهبنا الشيعي... فمَنْ ينسى تشويهات جريدة "الثورة" بقلم صحافي النظام السابق عبد الجبار محسن، ربيع ١٩٩١ ضد الشيعة في جنوب العراق، وأهل الأهوار عامة، كان المقال تحت عنوان "التعصب الشيعي، فساد أخلاق أهل الأهوار"، وجاء في المتن: "من المعروف أن الكثير من الذين أعدموا بقرارات من محكمة الثورة جرَّاء الزنا بالمحارم هم من بين هذا الصنف من الناس"... ومَنْ ينسى ما نشرته جريدة عدي صدام حسين "بابل" من تشويهات وافتراءات ضد الشيعة؟ لقد وردت في صفحة حوارات موضوع يبرئ هند بنت عتبة وزوجة أبي سفيان من دم الحمزة عم النبي، وموضوع آخر يشوه عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر، وفي طقوس عاشوراء... وكان أخر هذه التشويهات ضد الشيعة ما جاء على لسان صحيفة "العرب" الصادرة بلندن، وهي من بقية تمويل النظام الزائل، حاولت تحسين صورة صدام حسين وعهده المظلم بأنه رفع راية الإسلام عاليًا وبنى المساجد وقضى على الدعارة وأماكن الفسق، كتبت الصحيفة بالحرف الواحد: "اشتهرت العراق بتعدد أماكن اللهو فيها منذ الستينيات، وخاصة في المدن الجنوبية بحكم انفتاح الشيعة فيها، وقد حصل في مجلس صدام حسين حديث عما يحصل في هذه الأماكن من جرائم خلقية حتى أصبحت مرتعًا للفساد والإفساد"[١]... فهل علم كاتب المقال ببواطن إفساد نظام

---

١ شهادة التاريخ: عقد من حياة صدام حسين في ميزان الإسلام، جريدة العرب العالمية، العدد ٦٨١٣ التاريخ: ١٨ كانون الأول ٢٠٠٣

صدام حسين وبواطن المذهب الشيعي ومعاملاته؟!. فلماذا يقع صاحب الرسالة في التوهم نفسه ويرى في المندائيين جماعة مفسدة دون أن يقرأ كتابهم وتشددهم ضد الشعوذة والزنا ، ووداعتهم ومعاشرتهم الطيبة لأبناء المذهب الشيعي ومواطنيهم من العراقيين عامة ، ولو حصل أن مندائيًا واحدًا أو مجموعة أفسدت فهل يعني هذا أن الدين المندائي راضي بما يفعلون ، وهل أن أتباع الأديان والمذاهب الأخرى كافة يلتزمون بتعاليم أديانهم ومذاهبهم؟

لكشف الحقيقة نأتي بتعاليم المندائيين ضد الشعوذة والزنا ، وكل ما يضر المجتمع ويغضب الله. ورد في الكتاب المندائي المقدس (الكنزا ربا) ما يفيد النهي عن الشعوذة والتنجيم:

(لا تستشيروا العرافين والمنجمين والساحرين والكاذبين ، في أموركم مخافة أن يرمي بكم أسوة بهؤلاء إلى الظلمات)... والظلمات تعني جهنم أو الجحيم.

وجاء في النهي عن الربا:

(لا تغالوا بفرض الفائدة والربا الفاحش خشية أن يقع عليكم الحكم بالنفي إلى الظلمات الدامسة)

وفي النهي عن الزنا وإشاعته جاء في (الكنزا ربا):

(لا تعشقوا نساء الآخرين ولا تقترفوا الزنا ، لا تغنوا غناء السكير ولا ترقصوا رقص الغجر ، أحذروا أن يستحوذ على قلوبكم الشيطان المملوء بأحابيل السحر والخداع والغواية ، ذلك أنه يستطيع أن يقلب نوايا الصالحين المحمودة إلى عكسها ويجعل قلوب المؤمنين تتعثر وتتحول)

هناك تعاليم أخرى تحرص على مساعدة الفقير وابن السبيل وأعطى حق الأجير والالتزام بوحدانية الله، ومنها

(لا تسبحوا للشمس والقمر الذين ينيران العالم)

(لا تعبدوا الشمس التي اسمها شامش)

ويؤكد الدين المندائي على حب الخير والعمل به
(لا تفعلوا شيئًا ضد الغير ما ليس تحبونه لأنفسكم).

هذا شيء يسير من تعاليم المندائية، فهم أحق بالإنصاف لا بالإجحاف.

وبشكل عام فالصابئة المندائيون دينهم دين محبة وسلام وتآخي ، دين الإيمان بالله الواحد ، ودين عمل المعروف وخدمة الناس ، يوصي بالصدق والأمانة ، والنهي عن القتل والسرقة والزنا والربا ، ويقدِّم الإيمان وعمل المعروف ويعتبرهما أساسيين للتقرب من الحي العظيم وتنفيذ وصاياه وتعاليمه.

والصابئة المندائيون يؤمنون بأنبياء الله المرسلين وبكتبه المرسلة، ويسعون إلى العيش بسلام مع الجميع.

إيمانهم بالحي عظيمٌ بكل المقاييس ، ويؤكدون على الإيمان المطلق بالحي العظيم لأنه يقوِّم الإنسان ويسعده ويبعث الفرح والبهجة في نفسه، وأن الإيمان العميق وعمل المعروف والصدق والأمانة وخدمة الناس والابتعاد عن المحرمات أكثر ثوابًا عند الله من ممارسة بعض الطقوس... أو ما فائدة الصوم والصلاة لرجل غير صادق وغير أمين ولا يعمل المعروف.

obeikan.com

■ **د. رشيد الخيون :**

ويكتب لنا أيضًا الكاتب المبدع العلامة د. رشيد الخيون عن الصابئة المندائيين الذين يعيشون في جنوب إيران على أنهار الكارون والكرخة والدز، ومعاناتهم من حكم الملالي والتطرف الديني... علمًا أن أعداد الصابئة المندائيين في العراق يفوق أعدادهم في إيران عدة مرات.

- إيران: المندائيون في النزع الأخير

تقاسم العراق وإيران وجود أتباع الدِّيانة المندائية. أصبح القسم الأكبر داخل إيران بعد ضم الأحواز وما حولها (١٩٢٥) فالبيئة متشابهة، ويفضل المندائيون الإقامة على شواطئ الأنهار، لحاجة طقوسهم للماء الحيّ... صبروا على إيذاء المحيط؛ خصوصًا المتشددين في الأزمان كافة، وتكفي الإشارة إلى فتوى محتسب بغداد الإصطخري (ت٣٢٨هـ)، بطلب مِن القاهر بالله (ت٣٣٩هـ): «أفتاه بقتلهم، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنَّصارى. وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمعوا بينهم مالاً كثيرًا»"[١].

مع أن كتابهم يقول: (**باسم الحي العظيم، أشرق نور الحي، وتجلى منادهيي بأنواره، فأضاء جميع الأكوان، حطم ألوهية الكواكب، وأزال أسيادها من مواقعهم**)[٢]

ومَن لم ينظر في ديانتهم يفتي ما يشاء فيهم بلا عِلم، وقد وقع العديد مِن الفقهاء في أخذهم بظاهر توجههم صوب القطب الشمالي في صلاتهم، وهنا يُوضح الإمام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ): «إنهم ليسوا بعبدة أوثان، وإنما يعظمون النُّجوم كما نعظم الكعبة»"[٣].

---

١ البغدادي، تاريخ مدينة السلام

٢ الكنزا ربا - اليمين

٣ الآلوسي، تفسير روح المعاني

بعد الثَّورة الإيرانية لم يعترف بهم الدستور ولا الدوائر الرسمية، فأخذوا يعيشون حياة أشبه بالسِّرية في مناسباتهم، ويتحيّنون الفرص للهجرة مِن إيران، بالتوجه إلى أميركا وأستراليا، ومَن لم تطاوعه نفسه على ترك جذوره يضطر لإشهار إسلامه، كي يستريح مِن قسوة المعاملة. ولم يبق منهم سوى ألفين أو ثلاثة آلاف، وكانوا نحو (٣٠) ألفاً... ومن عشائرهم التي لم يبق منها سوى القليل: آل زهرون، الجحيلية، الجيزانية، الدهيسية، والخميسية، عشائر ممتدة ومتداخلة الأنساب بين العراق وإيران.

لا يُوظَف أبناء المندائيين، ولا يدخلون الجامعات، ففي استمارة القبول أربع خانات: مسلم، زرادشتي، يهودي، مسيحي. فإذا تجرأ أحدهم وسجل في إحدى الخانات، قد يواجه حدّ الرِدة (القتل)، ولهذا عندما يكمل المندائي الابتدائية والمتوسطة يخرج للعمل بحِرفة أبيه كالحدادة.

يشعرون بقلق على فتياتهم، ومنهنّ من يُخطفن ويضطر الأهل للموافقة والسُّكوت لأن خطف المندائية ليست عليه تبعات قانونية، وإذا أشهرت إسلامها تحت القوة تصبح محرمة على أهلها، وقد تُسأل الأم عن ابنتها المخطوفة فلا تفصح بغير أنها غرقت مثلاً، فليس هناك قانون يُنصف غير المشمولين في الدستور، حسب المادة (١٢): «الإيرانيون الزَّرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات المعترف بها». مع أنهم أهل الدِّيار الأُصلاء، وكيف الحال إذا كان المجتمع ضدهم أيضًا، ومعلوم أن «النَّاس على دين ملوكهم».

فبحكم الدستور والموقف الاجتماعي تتم طقوس الزواج والوفاة بالخفاء، لا وجود لمندي (معبد)، ولا نادٍ اجتماعي أو ثقافي خاص بهم، بينما في عهد الشَّاه كانوا يدرسون في الجامعات، ويتوظفون في الدَّوائر، ومنهم الضباط والأطباء، والقانون يحميهم أسوة ببقية الإيرانيين، أما الآن فلم يبق لهم سوى الحِدادة وحِرف يتعالى عليها الآخرون.

يرتبط هذا الموقف مِن المندائية، برسالة الخميني «تحرير الوسيلة»: «تؤخذ الجزية مِن اليهود والنَّصارى مِن أهل الكتاب، وممِن لهم شبه كتاب، وهم المجوس... فلا يُقبل مِن غير الطَّوائف الثَّلاث إلا الإسلام أو القتل». أورد الخميني في أهل الكتاب ما يُطابق ما أورده ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) فيهم (قابل أحكام أهل الذِّمة بين «تحرير الوسيلة» و«مسألة في الكنائس»).

قال الولي الفقيه خامنئي في رسالة «الصابئة حكمهم الشَّرعي وحقيقتهم الدِّينية» (١٩٩٩): «إننا لا نعرف مِن المعارف والأحكام الدِّينية لهذه النَّحلة التَّاريخية، والتي أصبح المنتمون إليها موجودين بين أيدينا وفي عِقر بلادنا، شيئًا كثيرًا تسكن النَّفس بملاحظته إلى معرفة أصحابها». وبالمحصلة فقد توصل إلى: «جملة عقائدهم التي يدعونها ويصرون عليها التَّوحيد».

ومع هذا الاعتراف، لم يتغير شيء في معاملتهم. ذكر لي بعضهم أن رسالة خامنئي غدت حُجةً بيد المندائيين يحتجون بها في طلب وظيفة أو غيرها، لكنها لم تخفف مِن معاناتهم.

كان هذا رأي الخميني فيهم، مع أن كبار فقهاء الإمامية يستقبلونهم، ولبعض شيوخهم صداقات مع أعيان النَّجف، كالسَّيد علي بحر العلوم (ت١٩٦٠) والمندائي عنيسي، وعندما لامه البعض أجاب:

بيني وبين أبي بشير صداقةٌ تبقى مدى الأيامِ والأحقابِ
إني لأرجو الودَّ يبقى بيننا كودادِ سيدنا الرضي والصابي

يقصد ما بين الشّريف الرَّضي (ت٤٠٦هـ) والكاتب الصَّابئي أبي هلال (ت٣٨٤هـ). وكان شيوخ المندائيين يزورون المرجع الخوئي (ت١٩٩٢) بالكوفة (الخوئي، قبس من تفسير القرآن)، ما يؤكد الاعتراف بوجودهم وعلى دينهم، وليس كما تشدد ضدهم الخميني، ليكن له رأيه كفقيه، لكنه أصبح زعيم دولة عليه رعاية الجميع.

هنا تأتي الخشية مِن الدَّولة الدِّينية ، فالمندائيون تحت عَلم «الجمهورية الإسلامية» في النَّزع الأخير ، ما يتطلب مِن المنظمات الدَّولية حماية قوم ما زالوا ينطقون الآرامية، والسَّلام شعيرة مِن شعائرهم، ويعتقدون أن مِن أقطابهم نوحًا وسامًا ويحيى.

obeikan.com

الإجحاف بحق الصابئة المندائيين في إيران

تعيش على ضفاف أنهار الكارون والكرخة والدز مجموعة كبيرة من أبناء الصابئة المندائيين في منطقة يسميها العراقيون "عرب ستان"، وغيَّر الإيرانيون اسمها لاحقًا فسموها "خوز ستان"، وكانت هذه المنطقة تابعة لولاية البصرة العراقية لغاية الحرب العالمية الأولى، لكن الإنجليز المحتلين بمؤامرة دنيئة اقتطعوها من العراق وسلموها لإيران بعد أن تخلصوا من شيخ خزعل وشيخ مزعل العراقيين.

إن العشائر العراقية التي تعيش في مدن عربستان مثل المحمرة، الناصرية، الأهوار، البسيتين، عبدان وشوشتر، وغيرها، هيَّ امتداد للعشائر العراقية التي تعيش جنوب العراق... كذلك العوائل المندائية الكبيرة التي تقطن هناك هي امتداد للعوائل المندائية التي تسكن العراق مثل الخميسية، والبو زهرون، والخفاجية، والكلمشية، والجحيلية، والكيلانية، وغيرها من العوائل.

ويذكر لنا المربي الفاضل والناشط المندائي الغيور "سالم طرفي العسكري" أن أعدادًا كبيرة من أبناء الطائفة الذين كانوا يسكنون على ضفاف نهر الأُردن في فلسطين نزحوا من فلسطين بسبب ازدياد أعدادهم وبسبب الحروب مع اليهود إلى جنوب العراق، ومنها إلى جنوب إيران.

كان الصابئة المندائيون حرفيين يجيدون صناعة أدوات الزراعة والصيد وصناعة القوارب وصياغة الحلي الذهبية والفضية بمهارة عالية. كانوا يعيشون في مدينة شوشتر التي يمر بها نهر الدز الذي يصطبغ (يتعمد) به المندائيون ويؤدون طقوسهم الدينية على ضفافه... ويذكر لنا الأستاذ سالم طرفي أنه كانت على ضفة هذا النهر الجاري صخرة كبيرة مازالت ليومنا هذا موجودة يتجمع عندها المندائيون بملابسهم البيضاء يؤدون شعائرهم الدينية، شاهدهم مجموعة متطرفة من جماعة القاجار، فطوقوا المدينة بالسلاح وجمعوا جميع أبناء

الصابئة المندائيين بقوة السلاح دون مقاومة تذكر لأنهم لا يؤمنون بالقتال وسفك الدماء وفق تعاليم دينهم، وعزلوا الرجال والشيوخ والأولاد الذكور لغاية خمسة عشر عامًا وقادوهم عنوة إلى هذه الصخرة العظيمة وذبحوهم عن بكرة أبيهم وكأن المجرمين يذبحون قطيعًا من الأغنام بحيث تحول ماء نهر الدز إلى اللون الأحمر لكثرة الدماء الغزيرة التي سفكت، ولا تزال الصخرة ليومنا هذا لونها أحمر قاني يميل للسواد بسبب الدماء التي غطتها... وبعد ما نفذ المجرمون المتطرفون الأوغاد جريمتهم البشعة ؛ سرقوا أموالهم وممتلكاتهم واغتصبوا بناتهم ونساءهم وأخذوهم سبايا... هذه حادثة حقيقية موثقة يتناقلها أهل مدينة شوشتر عبر التاريخ...

وقريبًا زار الباحث الدكتور صباح خليل مال لله برفقة الأستاذ سالم طرفي ووقفا على هذه الصخرة المشئومة وهما يتصوران بشاعة المشهد وحقارة المتطرفين وجرائمهم بحق الإنسانية وهم يدعون الإيمان بالله كذبًا وبهتانًا...

إنها حادثة مؤلمة تدمي القلب وتهز مشاعر الضمير الإنساني لأن الإنسان أخو الإنسان بالدِّين أو بالخلقة لأن الجميع خلقهم الواحد الأحد.

بعد هذا الحادث المفجع الأليم الذي ما زال محفورًا بالذاكرة، هاجرت أعداد كبيرة من الصابئة المندائيين من إيران إلى العراق ودول العالم المتقدم، وحاليًا توجد جالية مندائية كبيرة في أستراليا ومركز ديني كبير ومراكز ثقافية واجتماعية.

وللأمانة يذكر لنا الأستاذ سالم طرفي العسكري أن التطرّف والتفرقة موجودان في المناطق المتخلفة اجتماعيًا وثقافيًا وخاصة في أطراف مدن جنوب إيران، أما الوسط والشمال فلا توجد مثل هذه الممارسات المقيتة، حيث يعيش أبناء الديانات المسلمة والزرادشتية واليهودية والمندائية والمسيحية والبهائية مواطنين متعايشين بسلام ووئام وللجميع حرية المعتقد...

في زمن شاه إيران المهم أن يكون المواطن الإيراني بعيدًا عن السياسة وله حق العمل وكسب الرزق كيفما يريد ، وكانت وسائل الترفيه الاجتماعي متاحة للجميع وخاصة في المدن الكبيرة ، ولكن في أطراف مدن الجنوب عليك أن تحتمي بعشيرة قوية مثل بني كعب ، السواعد ، بني مالك ، بني طرف ، وغيرهم مقابل ثمن كنوع من الجزية التي عفا عليها الزمن لأنها تتعارض مع حقوق الإنسان ومع القوانين الدولية والدساتير وقرارات الأمم المتحدة لأن الإنسان حرٌ له حق الاختيار والانتخاب والعيش الكريم بحرية وسلام وأمان.

obeikan.com

دراسة للمؤسسة الدينية في إيران عن الصابئة المندائيين

من الضروري الإطلاع على هذه الدراسة لمعرفة كيف تفكِّر للمؤسسة الدينية في إيران. وتدور هذه الدراسة للسيد خامنئي ، حول تحديد نظرة الشريعة الإسلامية تجاه الصابئة، وهل هم من أهل الكتاب أم لا ؟ وهل دينهم موحِّد ؟.

يقول السيد خامنئي:

من أجل الوصول إلى حقيقة الأشياء علينا أن ننتبه إلى ما يلي:

أ. إن موضوع الصابئة لم ينقَّح من قِبل فقهائنا ، لا بالفحص الخارجي ، ولا بالاستماع منهم إلى عقائدهم أو فهمها من كتبهم، ولا بالمقارنة عما قيل عنهم.

ب. عدم كفاية ما قيل عنهم في كتب المِلل والنحل.

ج. هل من اجتهد بحقهم؛ اعتمد الأصول العلمية ؟

د. يجب زيادة التتبع والتنقيب لمعرفة الموضوع وإلقاء الضوء على الزوايا المعتمة فيه.

وقد تعمَّق خامنئي في هذه القضية وناقشها من خلال محورين:

المحور الأول: البحث الكبروي ، و المحور الثاني: البحث الصغروي

- الجزء الأول: المحور الكبروي

ويتضمن أربعة أمور يناقشها السيد علي خامنئي، وهي:

١. هل المراد بـــ(الكتاب) في باب الجزية كتاب خاص؟ أم يعم جميع الكتب المشرعة دون غيرها؟ أم يشمل مطلق الكتاب السماوي، سواء المشرع وغيره؟

ويجيب السيد خامنئي:

إن (الكتاب) في باب الجزية لا ينحصر في الكتابين ، الإنجيل والتوراة فقط ، كما لا ينحصر في الكتب المشرعة -أي أنه يشمل الكتب غير المشرّعة أيضًا مثل كتاب المجوس - بل لو فُرض ثبوت تبعية قوم لكتاب يحيى أو داود أو

إدريس مثلاً، فهؤلاء من الذين أوتوا الكتاب، فتُحقن دماؤهم، ويقرّون على دينهم، وتُؤخذ منهم الجزية... والجزية هي بمنزلة العوض الذي يؤديه الذمي في مقابل حقن دمه وحُرمة نفسه وماله.
ويوضح خامنئي أن السبب في إطلاق لفظ (أهل لكتاب) على اليهود والنصارى هو كون هاتين الفرقتين موجودتان دون غيرهما في الجزيرة العربية التي نزل فيها القرآن وبدأت وانطلقت منها الدعوة الإسلامية. وأن الصابئة على حياة النبي محمد (ص) كانوا يقطنون ميسان والحرنان (حرَّان)، وكلا المكانين قد فُتحا بعد وفاته.

٢- لو شُكَّ في كون الصابئة أهل كتاب، فهل يجري في حقهم حكم من له "شُبهة كتاب" أم لا ؟

ويذكر السيد خامنئي فيما يتعلق بهذه النقطة:
فكلمة (كتاب) التي جاءت في آية الجزية تشمل حتى كتاب المجوس، وذلك بإجماع الأمة. وبما أن (الكتاب) شمل كتاب المجوس؛ إذن المعنى يشمل جميع الكتب المشرَّعة وغير المشرَّعة، حيث أن كتاب المجوس ليس من الكتب المشرَّعة ونبيهم ليس من الأنبياء أولي العزم. ويقول النبي محمد (ص) إن المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه، وعلى هذا اعتبرهم المسلمون أنهم من أهل الكتاب.

٣- لو شُكَّ في عقائد الصابئة من جهة التوحيد والشرك وأمثالهما، فهل يجوز التمسك بدعواهم في ذلك، فيكون ما يقولونه عن أنفسهم وعقائدهم حُجة على غيرهم؟

يجيب السيد خامنئي : إن قبول قول أهل الملل في عقائدهم أمر عقلائي لا يتخلف عنه العقلاء عادة، والسر في ذلك أن من يعتقد بشيء إنما يعتقد به من جهة أنه يراه حقًا وصدقًا، فلا يعقل أن يقول أهل ملّة - بأجمعهم وفي مرٍّ

الأزمان - عن ملتهم التي يتبعونها غير ما يعلمون منها، فقولهم حجة على غيرهم في ما يقولون عن نحلتهم بحسب هذا البناء العقلائي.

ويضيف:

وعلى هذا، فالتمسك بدعوى الصابئة في بيان عقائدهم وما ينتحلونه من المعارف والأحكام؛ أمر عقلائي موافق لبناء العقلاء، في أمثال ذلك، فلو فُرض أنهم يدَّعون الإيمان بالله واليوم الآخر والإتباع لنبي من أنبياء الله المعروفين لدينا، والعمل بكتاب من الكتب السماوية والتي يفرض نزولها من عند الله، فمقتضى القاعدة العقلانية التي لم يردع عنها الشارع هو الأخذ بكلامهم والتبني لدعواهم بغير وسوسة وريب في ذلك.

٤- لو بقي الشك في أمرهم قائمًا، فما هو مقتضى القاعدة في ذلك ؟ وهل هناك أصل لفظي أو عملي يُعمل بمقتضاه؟

يجيب السيد خامنئي: فبناءً على كون الشُبهة في باب عنوان «من أوتي الكتاب» وشموله للصابئة من باب "الشبهة المصداقية"، تكون النتيجة أن عمومات قتال "الكفار" لا تشمل الصابئة... هذا كله في الأصول اللفظية.

أما في الأصل العملي فنرى: أنَّ حقن الدماء بأنه مختص بدماء المسلمين؛ هو أمرٌ مردود، إذا أنه لا ينحصر في الإسلام، بل يشمل الكتابي المُعاهد وأمثاله أيضًا، من أي طريق كان ومن أي منشأ.

- الجزء الثاني: المحور الصغروي

ويتضمن أربعة أمور يناقشها خامنئي أيضًا، وهي:

١- هل هناك ما يمكن الاستشهاد به على أن الصابئة أهل كتاب؟

يجيب السيد علي خامنئي: يمكن الاستدلال على أنهم أهل كتاب، بوجوه، منها:

أ- الآيات القرآنية الثلاث التي ذُكر فيها اسم الصابئين، وهي: المائدة/٦٩، البقرة/٦٢، الحج/١٧، حيث يُستفاد من الآيتين ٦٢، ٦٩ في ما يلي:

- أن عقائدهم مشتملة على الإيمان بالله واليوم الآخر؛ وإلا لم يكن وجهٌ لذكر ذلك عنهم.

- أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وقرن ذلك بالعمل الصالح، فهو من أهل النجاة، وهذا لا يكون إلا في صورة صحة الدين الصابئي وكونه نازلاً من قِبَل الله تعالى.

- أن الأديان الثلاثة مستقلة بعضها عن بعض، على ما هو الظاهر المتبادر من تعدادها مردفًا ومقترنًا بعضها مع بعض.

- أما آية الحج/١٧، فالحاصل أن لها ظهور تام في أن الصابئين في عِداد اليهود والنصارى والمجوس من جهة كونهم أهل دين وكتاب سماوي.

٢- هل يُعدُّ الصابئة من شُعَب الأديان الثلاثة (اليهود والنصارى والمجوس)؟

يقول خامنئي: إن كلاً من الفرق الأربعة (اليهود، النصارى، الصابئة، المجوس) مستقلٌ بنفسه؛ بمعنى عدم كونه داخلاً أو جزءًا من فرقة أخرى.

ويضيف خامنئي: فلا دليل على أن الصابئة يعدّون من شُعب بعض الأديان الثلاثة، بل إنهم دين مستقل بذاته، علمًا بأن اليهود والمجوس لا يعدّون الصابئة منهم، كما أن الصابئة لا يعدّون أنفسهم من اليهود أو المجوس، ولا يعتقدون بنبوة موسى (ع) وغيره من أنبياء بني إسرائيل، غير النبي يحيى (ع).

٣- هل العقائد المنسوبة للصابئة تمنع انعقاد الظن بكونها إلهية ؟

يقول خامنئي: الاستدلال بما يقولونه من عقائد، وكون ذلك حُجة على غيرهم، وبذلك لا يبقى مجال لإنكار صحة هذا الدين في أصله، وإنه منسوب إلى أحد أنبياء الله... فالمضامين المنقولة عن كُتب الصابئة، ومنها كتابهم (الكنزا ربا)

ومعناه (الكنز الكبير)، فإنها مشتملة على عقائد لا تُعهد إلا من الأديان الحقيقية الإلهية ، كعقيدة التوحيد والمعاد ، وتسمية الحق المتعال بالأسماء الحسنى والصفات العليا، ونسبة كل شيء إليه وإلى إرادته، وما إلى ذلك.

٤- هل يشتمل اسمهم على شي ء ينافي كونهم ذوي دين سماوي؟

يقول السيد خامنئي في هذا المجال:

أما التعريف اللغوي والتاريخي للصابئين، فقد عرَّف الاسم باتجاهين:
أ- ذكر البعض أن اسم الصابئين مشتق من (صبا) بمعنى (خرج)، ويقال لهم الصابئين لخروجهم من دين إلى دين... ووفق هذا التعريف، ربما يتبادر إلى الذهن أن هذا لا يتلاءم مع الانتساب إلى أصل إلهي ونبي وكتاب سماوي.

ب- أما الوجه الثاني، هو ما ذكره بعض الفضلاء والمحققين، وهو أن كلمة (صابئي) هي من أصل آرامي بمعنى "المغتسل" ، وقد سُمّوا بها لاهتمامهم بالغُسل بالماء، بحيث أنه أحد أركان أحكامهم الشرعية، ولذا يسمون في عُرف أهل الملل، بالصابئة المغتسلة.
ويضيف خامنئي هنا: إن اللجوء إلى تعريف (اسم الملة) يعتبر من الاعتبارات المبنية على الحدس الظني، مما لا وزن لها في استنباط الحكم الشرعي، وإن هذه الوجوه الظنية لا تغني من الحق شيئًا.

- **رشيد مطر الهاشمي:**

يقول السيد رشيد:
إن هذه الملة يكتمون ديانتهم كل الكتمان، ويضنون بها حتى على أتباعها وأهلها، وأن الصابئي المندائي لا يعرف شيئًا عن هذا الدين، وهو محصور في رجال دينهم الذين لا يبيحون سرًّا من أسرار هذه الديانة، وإن سألتهم عن دينهم أخطأوا الجواب وتلعثموا وضاعت عليهم الحقيقة... وقالوا إن أصلهم من مصر وهاجروا إلى فارس فحصلت هناك مجزرة راح ضحيتها خلقٌ كبيرٌ، فاضطروا للهرب إلى بلاد ما بين النهرين، فعاشوا في أمان، وما زال عدد منهم في ناصرية إيران... أمَّا لغتهم فهي السريانية.

- **تعقيب:**

ديانة الصابئة المندائيين غير تبشيرية، وأبناء الطائفة لم يدخلوا في جدال وتجاذب مع الأديان الأخرى، من أجل الكسب، وكان رجال الدين والمؤمنون منهم متبحرين في الدين المندائي، وحافظين لكتبهم المقدسة، ومطبقين لتعاليم الحي الأزلي وأنبيائهم المرسلين، ونظرًا لحاجة المجتمع العراقي وباقي الدول للتعرف على الدين والطائفة المندائية، وتراثهم، وكذلك لجم أصوات الشر وأقلام السوء التي تشوه أصالة هذا الدين وجذوره التوحيدية؛ بدأ مثقفو الطائفة حملة تعريفية بهذه الديانة منذ ثمانينات القرن الماضي عن طريق ترجمة الكتب الدينية التي كُتبت باللغة الآرامية المندائية منذ قديم الزمان إلى اللغات الحية الأخرى؛ مثل العربية والإنجليزية والسويدية، وغيرها، وتم توزيع هذه الكتب والكتيبات والمجلات التخصصية والكراسات، على المؤسسات والجامعات والمراكز الثقافية، وقام بعض رجال الدين والمثقفين المختصين في اللاهوت المندائي بإلقاء المحاضرات في كثير من الجامعات والمراكز الثقافية والجمعيات

بهدف التعريف بالديانة المندائية وعقيدتها التوحيدية والطقوس التي يؤديها أبناء الطائفة.

أما فيما يخص الهجرة من مصر إلى فارس، ومن ثم إلى العراق؛ فهذا أحد الاحتمالات، وأن وجودهم حاليًا في ناصرية إيران على نهر الكارون، والكرخة في الأهوار في منطقة عربستان أمر طبيعي، لأن هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى كانت جزءًا من العراق، وتسكنها عشائر عربية لها امتداد في العراق؛ وما زالت؛ ولكن إيران ضمت هذه الأراضي بالقوة بمساعدة الإنجليز المحتلين، وما زال عدد كبير من الصابئة يعيشون هناك.

obeikan.com

■ **د. رشيد الخيون :**

آراء إسلامية في العقيدة المندائية

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً * وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾[1]

يزخر الفقه والتاريخ الإسلاميين بمسائل ومرويات كثيرة حول الصابئيين المندائيين، كان المصدر الأول لهذا الاهتمام القرآن الكريم، وسوره الثلاث: البقرة، والمائدة، والحج. ثم حضورهم بحاضرات العراق العباسي مثل: واسط والبصرة وبغداد. يضاف إلى ذلك دورهم في الحياة الثقافية أيام العباسيين... ولا زال لقب الصابئي المندائي أو ابن منده معروفاً في كتب تراجم الرجال والفقه والقضاء الإسلامية، من هؤلاء: أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المندائي (ت٦٠٥هـ) المعروف بمسند أهل العراق وبالمُعدّل، وكان والده قاضيًا... وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧٠هـ) ومنده لقب جده الأعلى، ومنهم الحافظ أبو عبد الله بن منده (ت٣٩٥هـ) الملقب بجوال الدنيا لكثرة سفره، والمحدث عبد الوهاب بن الحافظ (ت٤٧٥هـ) وغيرهم، كل هؤلاء تدل ألقابهم أنهم كانوا مندائيين، قبل إسلامهم أو إسلام آبائهم.

وإن طغت تسمية الصابئة على هؤلاء القوم إلا أن اسمهم المندائي هو الأصل، وهو نسبة إلى منداهي الملاك الأول أو رمز المعرفة أو الحياة الأولى، وبهذا عرف بيت عبادتهم بـ"المندي"، أي بيت المعرفة، وأي معرفة؛ معرفة الله وكشف عوالم الكون، وبهذا ربما تعود أُصول العرفانية أو الأغنوصية إلى هذا الدين.

---

١ القرآن الكريم : سورة مريم ، الآيات ١٢-١٥

وإذا علمنا أن الشيخ معروف الكرخي كان صابئيًا علمنا التأثيرات العرفانية في التصوف الإسلامي. قال الخطيب البغدادي: "أخبرنا محمد بن أحمد بن روق قال: سمعتُ أبا بكر محمد بن الحسن المقرئ المعروف بالنقاش، وسئل عن معروف الكرخي، فقال: سمعتُ إدريس بن عبد الكريم يقول: هو معروف بن الفيزران وبيني وبينه قرابة، وكان أبوه صابئًا من أهل نهر بان من قُرى واسط"[1]. وقال ابن تغري: "كان أبواه من أعمال واسط من الصابئة"[2].

اتخذ المندائيون الصمتَ سبيلاً قويمًا في الحفاظ على كيانهم الديني، ولغتهم المندائية عبر دهور طويلة، خدمهم غموض لغتهم الدينية، التي لا يفقهها مواطنوهم من الأديان الأخرى، يتهامسون بها للرد على سخرية جاهل ينال من عقيدتهم، أو معتد قصد ديارهم لفرض ما لا يريدون وما لا يطيقون، فكثيرًا ما يحدث الاعتداء عليهم لقلتهم ولشبهات عقائدية تدور حولهم، أقلها أنهم يعبدون الكواكب والنجوم، أو يزهقون أرواح المحتضرين منهم... هذا ما شاع عنهم بجنوبي العراق.

والحقيقة أن من شعائرهم غسل المحتضر وإكساءه الكسوة الدينية البيضاء المعروفة بالرستة، اعتقادًا منهم أن ذلك يمُكِّن روحه من الصعود إلى مشوني كشطا (المكان السامي أي الجنة) بسلام... وبرَّر بعض الفقهاء نجاستهم لأنهم مشركون، وحُكم هؤلاء حسب الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[3]، يقال هذا على المندائيين رغم إفراطهم في النظافة والطهر... وأباح البعض الآخر قتلهم، رغم وداعتهم وميلهم للسلم، فلرقتهم يعتذرون ويستغفرون أثر ذباحة الطير والحيوان.

---

١ تاريخ بغداد ١٣ ص ٢٠٠

٢ النجوم الزاهرة ٢ ص ١٢٦

٣ القرآن الكريم : سورة التوبة ، الآية ٢٨

خرق الشيخ دخيل صمت المندائيين عن تجاوزات الآخرين فيما يخص الشأن الديني، يوم تقدم لمقاضاة المؤرخ عبد الرزاق الحسني بسبب ما جاء في كتابه "الصابئون في ماضيهم وحاضرهم". ففي ١١ كانون الثاني١٩٣١، فتح الشيخ كتاب (الكنزا ربا) وقرأ أمام هيئة المحكمة ببغداد، باللسان المندائي (الآرامي الشرقي) وكان الأب أنستاس الكرملي يترجم إلى العربية، وقد اقتنعت المحكمة أن المندائيين ليسوا عبدة كواكب ونجوم بل يعبدون الحي الأزلي، قرأ الشيخ بوثات (آيات) من الكتاب الأول، تسبيح التوحيد. تحقق ذلك بتعاطف من قبل متصرف بغداد آنذاك أمين الخالص والحاكم الأول لمحكمة الجزاء شهاب الدين الكيلاني مع قضية المندائيين.

وحصل أن اعتذر الحسني من الشيخ ووعده أن لا يعيد نشر الكتاب إلا بعد أخذ ملاحظات وتوصيات الشيخ، لكنه طبعه عدة طبعات، وحتى السبعينيات كتب في مجلة "التراث الشعبي" مقالاً بعنوان "إذا مات الصبي"[١]، واضعًا فيه ما يدور بين العامة حول المندائيين، من أنهم يخنقون المحتضر، بينما الصحيح هم يلبسونه الثياب الدينية وهي الرستة، ويطهرون بدنه قبل الوفاة. والعامة التي لم تكشف لها طقوس الدين المندائي لم تحسب حساب خطورة اعتقادها بمواطنيها المندائيين، فما أشاعته عنهم هو القتل بعينه، والسؤال إذا كان المندائيون يقتلون أو يخنقون المحتضر فكيف لا يتعرضون للعقوبة الجنائية، وكيف جرى المؤرخ الحسني خلف هذا الإدعاء الباطل؟ ومعلوم أن قتل الرحمة لم يجز إلا في بعض الدول الأوروبية وبعد نقاشات وصراعات حامية في البرلمانات، وهذا لا يجاز إلا بطلب المريض الشخصي، وفي حالة معاناته من قسوة الألم مع اليأس التام من شفائه، فأين ومتى مارسه المندائيون، وهم كما أسلفنا يعتذرون عن ذبح الحيوان والطير!.

---

١ مجلة التراث الشعبي، العدد ١١، ١٩٧٤

وخلاف ما قدَّمه الحسني من اعتذار للمندائيين بعد المحكمة المذكورة؛ كتب في مجلة "الهلال" المصرية (أيار ١٩٣٢) قائلاً : "فتلقينا من ضجيج الصابئة وإنكارهم ما جرَّنا إلى المرافعات ومحاكمات طال أمدها، ولكنها انتهت بفشل المدعين لعدم وجود مأخذ على ما كتبنا ونشرنا" [١]. لكن الحسني بعد أكثر من عشرين عامًا من تاريخ مقاضاته كتب إلى الشيخ دخيل يقول: "إكرامًا لخاطركم وحبًا بدوام حسن العلاقة بيني وبينكم لا سيما بعد أن اتضح بأني لا أريد إلا خدمة التاريخ وتحري الحقيقة" (٢٠ تشرين الأول ١٩٥٧). وكانت وزارة المعارف، في عهد الوزير خليل كنة قد ردت طلب عبد الرزاق الحسني، الذي عرض فيه شراء (٢٠٥) نسخة من هذا الكتاب، وجاء في الرفض: "لعدم الإفادة منه في مؤسساتنا الثقافية"، لكن الطلب نفذ في عهد الوزير منير القاضي.

إن صحت العبارة، المندائيون أثر من آثار التاريخ الحيَّة، فوجودهم يذكر بأنبياء ورسل، حاولت الأديان المتعاقبة نسخ شرائعهم، ولم يبق منهم غير صحف نوح وإبراهيم، والصابئة إن ذكروا في الكتب المقدسة فلم يذكروا بأكثر من تلميح واستشهاد وعبرة من الماضي. فقول المندائيين إنهم أقدم ديانة سماوية على وجه الأرض، وإن كتبهم هي صحف سادة البشر الأولين، كآدم وشيت وإدريس ونوح، يرفعهم إلى مصاف بدايات الأديان والشرائع الموحدة في التاريخ، وأن الكل نحل من منحلهم، لذا من الصعب أن يُعرف للصابئة المندائية مؤسسًا، وهذه الخاصية، التي ميزتهم عن اليهودية والمجوسية والمسيحية والمانوية والإسلام وغيرها من الديانات العالميةِ، أشارت إلى قدمهم وروحانيتهم الصافية، وكأنهم يوافقون أبا الفتحِ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني حينَ قالَ: "إنما مدارُ مذهبِهم على التعصبِ للروحانيينَ" [٢]. ويبدو أن غرض الشهرستاني من نقل، أو إبداع، الحوار بين الصابئة والحنفاء هو ميل الصابئة إلى الرُسل من الكائنات

---

١ رومي : الصابئة، ص ٤٦ و١١٢ وسباهي ، الصابئة ، ١٧٦

٢ الشهرستاني : المِلل والنحل ٢ ، ص ٥

النورانية، مثل هيبل زيوا(جبرائيل)، فالبشر لخطاياهم وما يتعلق بأبدانهم من فساد، لا يصلحونَ للوساطةِ بينَ السماء والأرض...

قالَ الشهرستاني في مذهب الصابئة: "إن للعالمِ صانعًا، فاطرًا، حكيمًا، مقدسًا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربينَ لديهِ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا، وفعلاً، وحالة"[1].

بيد أن ما أتى عليه الشهرستاني، من عدم اعتراف الصابئة بأنبياء من البشر، يفنده ما ورد في كتبهم من الصحف التي نزلت على آدم، والكتاب الذي نزل على أحد النوصرائيين، إدريس (دنانوخت)، ويصدقه، في الوقت نفسه، أنهم لم يسموا أحدًا من البشر بالنبي أو الرسول، فالكل عندهم كانوا نوصرائيين، من آدم إلى يحيى بن زكريا. فالكتابات الصابئية المندائية أشارت "إلى الاعتقاد بأن المعرفة أو العلم الرباني -منداهيي- إنما يؤتيه اللهُ عباده المختارين الصادقينَ (بهيرا زدقا)، إما وحيًا وإما إلهامًا، وذلك هو صوت الحي الأقدم (شوت هيا قدمايي) أو فيضًا سماويًا وكشفًا وهو التجلي، أو بواسطةِ رسلٍ أثيرين نورانيين"[2]

أشار المندائيون -ربما لاهتماماتهم الفلكية- إلى وجود بشر خارج كوكب الأرض، فالكواكب السماوية عندهم -ما دون عالم النور- اتخذت سكنًا للبشر والكائنات النورية، وكتبهم الدينية تُرشد إلى عوالم "يسكنها بشر مثلُنا، وتركز بالدرجة الأولى على عالمِ العهدِ مشوني كشطا، وتذكرُ أيضًا أن البشرَ في هذا العالمِ لا يختلفونَ عنا كثيرًا، وعلى هذا الأساسِ فقد أمر هيي ربي قدمايي، الحي الأزلي، بنقلِ بناتِ آدم من هذا العالم (اره اد تبيل)، الأرض، ويجلب زوجات من عالم مشوني كشطا لأولاده"[3]

---

١ الشهرستاني: المِلل والنحل ١ ص٩، ٤٤

٢ الصابئة في ماضيهم وحاضرهم ص١٠

٣ الصابئة في ماضيهم وحاضرهم ٧-٨ الهامش

ويصفُ غضبان رومي، وهو واحدٌ من بين أبرز المثقفين المندائيين، مستقبل العلاقة بين إنسان الأرض وإنسان الكواكب الأخرى، حسب تصورات ديانته، بالقول: "من ذريتهن تكوَّن الإنسان الحالي، الذي أخذ يزحف من عالمنا هذا نحو الكواكب الأخرى، وليس ببعيد أن يصل في آخر المطاف إلى عالم مشوني كشطا، وينزل ضيفًا على أخواله هناك، مستقبلاً من أبناء عماته"[1].

كان آدم أبًا للبشر وحواء أمهم، لكن البشرية -حسب الكتب المندائية- فنيت مرات بكوارث سببها عالمُ الظلام المنحوس وما فيه من شر انتقل إلى الآدميين عبر مادة الطين التي منها جُبل جسد آدم ، وفي كل فناء يبقى رجل وامرأة يتجدد منهما الجنس البشري. "فبعد شيت قضي على هذا العالمِ بالحرب، ولم يبق منه إلا رجل وامرأتُه، هما رام ورود، وبعد عشرات الألوف من السنين فني العالم بالنار، ولم يبق منه إلا شوربي وزوجته شرهيبل، وبعد عشرات الآلاف من السنين جاء الطوفان، ولم ينج منه إلا نوح وزوجته (انهريتا) وابنه سام"[2].

وحسْب أغلب الأديان، ومنها المندائية، إن هذه الكوارث ضرورية لغسلِ الأرض من خطايا البشر، وبهذا قال شاعر البشر أبو العلاء المعري، حسب تسمية معروف عبد الغني الرصافي له، وكأنه قرأ الكنزا ربا وتبحر فيها:

والأرضُ للطوفـــانِ مشـــتاقةٌ لعلهـــا مـــن درنٍ تُغســـلُ
قد كثر الشـرُّ علـى ظهرهـا وأتهـم المُرسِـلُ والمُرسَـلُ

إن اعتقاد المندائيين بوجود بشر يعيشون على الكواكب العليا يقود إلى علاقة ما بنظرية أفلاطون: "المُثل" أو "النماذج"، وبالتالي إلى صلة ما بالفكر اليوناني بشكلٍ عام. ولا ندري، هل كان هذا التوافقُ توارد خواطر أم بتأثيرات فلسفية مباشرة. في هذا المجال قد يكون للحرانيين في نقلهِا دورٌ ما، ولا يستبعد أيضًا

---

١ رومي: الصابئة، ص١٨٠

٢ رومي: الصابئة، ص١٨٨

في أن يكونَ الأمر امتدادًا سومريًا وبابليًا، حيث القول بوجود مجتمع الآلهة، ومكانُه العالم العلوي، وخُلق البشر على هيئتهِ ونظامه. جاء في النصوص المندائية على لسان المتوفى: "أذهب إلى شبيهي، وشبيهي يأتي إليّ، يتذكرني ويحتضنني، كما لو أنني خارج من السجن ".

تناول الفقهاء والمؤرخون المسلمون -شيعة وسنَّة- الدين المندائي، واختلفوا حوله في أن يكون أصحابه من أهل الكتاب أو شبه الكتاب، واختلفوا أيضًا في جواز أخذ الجزية وبالتالي الاعتراف به كديانة لها حق حماية المسلمين والأمن بينهم. إلا أن أكثر المتشددين ضدهم هم فقهاء الشافعية، بينما كان للفقهاء الحنفيين والشيعية فتاوى وآراء إيجابية منهم، اعتمادا على ما ورد في القرآن الكريم بخصوص الصابئة، وما ورد في الكتب الصابئية، حسب قراءة آية الله علي خامنئي لها.

كذلك كانت لرجال الدين الشيعية صلات صداقة ومودة على غرار صداقة العلم الشيعي البارز الشريف الرضي والعلم الصابئي البارز إبراهيم الصابئي. يتناول هذا الكراس معاملة الفقه الإسلامي وروآيات التاريخ في أمر قوم لا زالوا يحتفظون باللغة الآرامية ويرون أنفسهم أنهم أتباع آدم أبي البشر.

وبالتالي المندائيون أهل دين سماوي، توجهوا إلى غاية السموات بعقولهم وأفئدتهم، وبفكرة السفن الكونية وبحارتها الكائنات النورية، ولم يجعلوا الكواكب آلهة بل هي عندهم أمكنة لكائنات النور والظلام، والله لديهم متعالٍ عرشه يطوف فوق بحار النور النقية. ومثلما للأديان الأخرى معاريجها لهم معراجهم وجنتهم ونارهم.

غير أن كل هذا كان مخفيًا على المحيطين، لم يعرفوا منهم غير أنهم يعبدون الكواكب كامتداد لصابئة حران، أو يسجدون إلى كائن صاغ حروف اسمه الآخرون، عن جهل، من العبارة المندائية المقدسة "بشميهون اد هي ربي"، وتعني "باسم الحي ربي"، مثلها مثل عبارة المسلمين "بسم الله الرحمن الرحيم".

وإذ جعل المسلمون الرحمة صفة الله الأولى، يطلبونها منه في مستهل كل عمل، جعل المندائيون الحياة صفة دائمة يذكرونها في مستهل كل عمل وحركة، فالحياة الأزلية، حسب كتابهم، هي الفارق الأكبر بين الله والبشر.

obeikan.com

- **الأستاذ/ سالم غصاب :**

هذا الرجل المندائي الغيور على دينه وأبناء طائفته ووطنه العراق ، سالم غصاب -رحمه الله-، المؤمن، التقي، الورع... يؤكد بقوة مستشهدًا بنصوص ربانية، بوحدانية الصابئة المندائيين، ولنا شهود، فالماء الجاري شاهدنا، والبهثا (الخبز المقدس) والممبوها (الماء المقدس) شهودنا، والإيمان والحق شهودنا، والمندي الذي يجمعنا، وما نعطيه من صدقات للفقراء شهودنا، وأنبياؤنا وكتبنا المقدسة ؛ وفي مقدمتهم الكنز العظيم ؛ شهودنا ، وإيماننا العميق وصومنا وصلاتنا وتعميدنا وتوحيدنا للحي العظيم شهودنا، وصدقنا وأمانتنا ومحبتنا لكل الناس شهودنا ، وحبنا للسلام والوئام والتآخي ، وعمل المعروف والالتزام بوصايا الحي العظيم وتمجيده وتعظيمه وتسبيحه شهودنا، الله الحي العظيم أبدَّيُ ليس له بدايةٌ وسرمدي ليس له نهاية (ما كان لأنه ما كان ولا يكون لأنه لا يكون)...

- التوحيد في النصوص المندائية

يؤمن الصابئة المندائيون بوجود إله واحد أزلي (هيي قدمايي) انبعث من ذاته (إله ادمن نافشي افرش) خالق الكون، وبأمره خُلقت الكائنات الحية... إن كل نص من النصوص المندائية يبدأ بذكر الخالق (**بشم اد هيي ربي**)، وينتهي بعبارة (**هيي زاكن**) "الحي المزكى"... ومن يتتبع النصوص المندائية يجد أن التوحيد هو العمود الفقري للديانة الصابئية المندائية والأساس الذي تقوم عليه أفكارها وفلسفتها، فها هي افتتاحية الكتاب المقدس "كنزا ربا" "الكنز العظيم" مكرسة بأكملها تقريبًا لوحدانية الحي العظيم وإظهار قدرته الشاملة، وهذا جزء منها:

(بسم الحي العظيم... أسبحك ربي بقلب طاهر ، رب العوالم كلها ، مسبح ومبارك ومعظم ، ذو الوقار والجلال ، الله الرب العلي سبحانه ملك النور السامي ، ذو الحول

الشامل الذي لا حدود لقدرته ، النور البهي والضياء الساطع الذي لا ينضب ، الرءوف التواب ، الغفور الرحيم ، مخلص كل المؤمنين ، وناصر كل الطيبين...)

فالحي العظيم (حياة لا يداخلها موت) (**هيا إد موتا ليتبا**)، وهو الغبطة التي لا يأتيها غمٌّ وألم (**بسما هو إد زهيرا ومرار ليتبي**)، وهو اللطيف الذي بكلمته وبأمره خُلقت جميع المخلوقات.

كما أكدت النصوص المندائية على وجوب الإيمان بالله وكتابه والتسبيح له : (**وأ حبوا اسم الله وكتابه وكلامه وهبوه تسبيحًا. مولاكم ملك النور العلي الذي انبعث من ذاته**).

كما يجب على المندائي أن يستجيب لما أمره به الله في كل وقت وفي أي مكان: (**أمرناكم أن اسمعوا صوت الله في قيامكم وقعودكم ، وذهابكم ومجيئكم ، وفي ضجعتكم وراحتكم وفي جميع الأعمال التي تعملون**).

إن الخالق العظيم أوجد الإنسان على هذه الأرض من أجل أن يبنيها ويعمرها وينشر السلام في ربوعها، وعندما تكمل "النفس" فترة بقائها في الجسد الفاني يأتي من يحرِّرها لتلحق بالملكوت الأعظم الذي جاءت منه.

إن الصابئي المندائي يتوجه إلى الحي العظيم بقلب تغمره المحبة والنقاء، وهو ينبذ الأصنام والأوثان والعبادات الباطلة، فهو ينكر عبادة الشمس والقمر والنار لأنها زائلة، نجد ذلك في ترتيلة التعميد حيث يرفض الأب شيتل عبادة غير الحي الأزلي ولا يقبلها شهودًا. جاء ذلك في كتاب "النياني" وهو مجموعة من الصلوات والتراتيل:

(**بسم الحي العظيم... نهضت من الماء الجاري ، ولقيت جمعًا من الناس يحيطون بأبينا شيت "شيتل" قائلين له : بحياتك يا أبانا شيتل، هلا جئت وصبغتنا "عمدتنا" في الماء الجاري ؟... حسنًا ، إن جئت لأعمدكم في الماء الجاري. فمن سيكون شاهدكم؟... الشمس المشرقة ستكون شاهدنا... ليست الشمس مطلبي ولا تهواها نفسي فالشمس التي تتحدثون عنها باطلة زائفة والساجدون لها سينتهون إلى الزوال**).

ويتكرر ذلك مع القمر والنار... وأخيرًا يقول الجمع من الناس :

(الماء الجاري وضفتاه ستكون شهودنا ، لقمة الخبز المقدس وجرعة الماء المقدس والإيمان والحق ستكون شهودنا ، الأحد الذي نحفظه صادقين سيكون شاهدنا ، هذا البيت الذي يجمعنا للعبادة هو شاهدنا ، الصدقات التي نقدمها هي شهودنا ، أبونا ورئيسنا وعمدنا سيكون شاهدنا... فيجيب أبونا شيتل : "هذا هو مطلبي ، وهذا ما تصبو إليه نفسي. وحين تصعد نفوسنا إلى دار البقاء ، فستأتي هذه الشهود ، وتكون شهود حق).

هكذا تؤكد النصوص المندائية على وحدانية الخالق وعدم الإشراك به.

opeikan.com

■ **الزمخشري** (١٠٧٥-١١٤٤) :

وقال الزمشخري: (والصابئة من الفعل العربي صبا، أي من خرج من دينه واتبَّع ديناً آخر. والصابئة قوم تركوا دين اليهود والنصارى، وعبدوا الملائكة).

وقال أيضًا في تفسيره لسورة الحج: (إن الأديان الخمسة، واحدٌ منها للرحمن، والباقي للشيطان، وجعل الصابئين مع ملة النصارى، لأنهم نحلة منهم... وقيل يفصل بينهم، بمعنى يقضي بينهم، أي بين الكافرين والمؤمنين).

وقال: (ذكر الكرماني كلامًا نفيسًا عن الآيات القرآنية الثلاث اللواتي ذُكر فيهن اسم الصابئة، حيث قولهُ تعالى في سورة البقرة (أن الذين أمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين)... وكذلك في سورة الحج (والصابئين والنصارى) وذكروا في سورة المائدة (والصابئون والنصارى)... وتعليله ذلك أن النصارى مقدمون على الصابئة بالرتبة، لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في سورة البقرة، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان، لأنهم سبقوهم، فقدمهم في سورة الحج، وراعى في سورة المائدة بين المعنيين، فقدمهم في اللفظ وأخرَّهم في التقدير.

وباختصار وفق ما قاله الكرماني، أن الصابئين يُقدَّمون على النصارى من الناحية التاريخية الزمانية، لأنهم كانوا قبلهم، والنصارى كأهل كتاب هم أفضل من الصابئين في مكانتهم ورتبتهم، لأن الصابئين أشد كفرًا من النصارى، ولذلك يقدِّم النصارى من هذه الناحية وفق تفسيره للأمور، وأن الآية التي وردت في سورة البقرة قدمت النصارى في الذكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]... أما سورة الحج فقد راعت الناحية الزمانية والتاريخية، فقدمت الصابئين على النصارى في الذكر:

---

١ القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية ٦٢

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]. أما سورة المائدة جاء قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2] فراعى الناحيتين معًا، حيث قدَّم الصابئين من حيث اللفظ فذُكروا أولاً وإن كانوا قد أُخروا من حيث التقدير ، لأنه حين رُفِعت الصابئون صارت مبتدأ خبرهُ محذوف تقديره: كذلك ، وكأنه قال : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابئون كذلك ، وبذلك يكون قد راعى الناحية الزمانية ، فقدَّم الصابئين في ذكرهم في اللفظ، وراعى ناحية الرُتبة، فأخَّرهم في المعنى.

▪ تعقيب:

كما تلاحظون فإن الزمخشري ومعه الكرماني يفسِّرون الآيات البينات كما يشتهون ، ووضعوا رُتبًا ودرجات للأديان الموحِّدة بالحي العظيم الله ، وتناسوا أن الكل عباد الله ، والأديان السماوية الموحدة جميعها تؤمن بأن الله ربها وخالقها، وكل الموحدين عند الله سواسية مثل أسنان المشط... فهذا لا يعني أن أول الأديان هو أفضل الأديان لأنه سبقَ الآخرين بالإيمان... كثيرٌ من اللغويين يتلاعبون بالألفاظ ويقدِّمون ويؤخرون ، ويفسرون على هواهم ومزاجهم... المهم أن يجدوا تخريجة للموضوع... وحاشى الله جلَّ جلاله أن يفضِّل قسمًا من عباده على قسم آخر ، ويقدِّم هؤلاء ويؤخر هؤلاء ، فهو ربّ الكل ملك النور السامي.

---

١ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

٢ القرآن الكريم : سورة المائدة، الآية ٦٩

كذلك يذهب الزمخشري بقوله المجحف أنهم تركوا اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة، فأن كانوا كما فسرها فأنهم سبقوا النصارى، ولهذا ورد ذكرهم قبل النصارى في سورة المائدة والحج، فكيف نعلل قول الزمخشري أنهم تركوا وعبدوا الملائكة.

الصابئة المندائيون في حقيقة الأمر يعبدون الله الحي العظيم الأزلي، وكل كتبهم المقدسة تدعو إلى عبادة رب الأكوان الله، وكل الطقوس الدينية الخاصة بالبراخا (الصلاة) تؤكد على ذلك... وكذلك هم يجلون الملائكة والأثيريين الذين يسبحون ويعظمون الله جل جلاله، أليس الملاك جبرائيل ملاكاً مرسلاً من الله إلى أنبيائه، نقل لهم الرسائل السماوية والأوامر الإلهية، وهذا الملاك الرسول موضع إجلال لمكانته عند رب العالمين.

إن الصابئة المندائيين لا يقدّسون الأولياء ورجال الدين مهما علت مكانتهم، وليس لديهم أضرحة ومقامات يزورونها ويتباركون أو يتشفعون بها، ولكنهم يتشفعون إلى الله الحي الأزلي ويتوسلون له بالدعاء والصلوات وحده لا شريك له.

على العالم المفسِّر والباحث أن يكون منصفاً محايدًا مجردًا من عواطف الانتماء إلى فئة أو طائفة أو دين، يحب كل عباد الله المؤمنين، وكل أنبياء الله المرسلين وكتبهم المنزلة التي تدعو إلى التوحيد وتؤمن بالعمل الصالح واليوم الأخر... وأن الله يفصل بين الناس يوم القيامة، وليس الزمخشري أو الكرماني.

■ **الدكتور/ سلمان شمسه :**

الدكتور المرحوم سلمان شمسه، من أعيان محافظة النجف في العراق، وله عدة مؤلفات، كتب ما يلي:

هناك عددٌ من رجال الدين تصدر منهم فتاوى، الغاية منها ليس لتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي مثلاً في العراق حاليًا ، وإنما لتأجيج النعرات والحزازيات بين أبناء الشعب العراقي، ومن أخطر ما صدر لحد الآن فتوى من محافظة البصرة، تتضمن طعوناً في ديانة قديمة قِدم العراق ذاته هي (المندائية) كشريحة آمنة مسالمة من أبناء الشعب العراقي... هؤلاء هم الصابئة المندائيون الذين عاشوا منذُ آلاف السنين على أرض العراق قريبًا من الأنهار والأهوار لارتباطهم الوثيق بالماء الجاري في طقوسهم الدينية.

والصابئة المندائيون طائفة دينية مسالمة ، ولا يأتي منهم أذى لغيرهم... وبالرغم أنهم تعرضوا خلال تاريخهم الطويل لمحاولات الإبادة والقتل، فأنهم لم تبدر منهم بوادر الأذى لغيرهم ، بل لديهم القدرة على الاندماج مع الآخرين بدرجة مدهشة حقًا ، وهم بصفة عامة أذكياء ومثابرون ، والصابئة المندائيون من أهل الكتاب لورود اسمهم في القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات.

ويقول الدكتور سلمان شمسه رحمه الله:

إن هذه الفتاوى غير مسؤولة وتحاول زرع الفتن الدينية والطائفية بين أبناء الشعب الواحد.

▪ الإصطخري:

أخطر ما واجهه الصابئة المندائيين هو فتوى الإصطخري، وهذا الفقيه قد أفتى بقتل الصابئة المندائيين وإبادتهم، بالرغم من ذكرهم في القرآن الكريم مع إخوتهم المسلمين واليهود والمسيحيين، باعتبارهم من الأديان الموحدة التي تؤمن بالله والعمل الصالح واليوم الأخر، وهذا ما أثبتته كلمة اللجنة العليا المشرفة على ترجمة كتاب (الكنزا ربا)، وما اثبتهُ رئيس الطائفة المندائيين في تقديمه للكتاب المقدس:

(إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون، فانظروا إلى ماذا تستندون)[1]

لقد تناخى الغيارى من أبناء هذه الطائفة لإنجاز ترجمة كتابنا المقدس (كنزا ربا) من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، لتكون كلمة الحي العظيم في قلوب وضمائر المندائيين، وليطلع على هذا السفر الخالد -ولأول مرة باللغة العربية- كل المؤمنين بالله وكتبه ورسله واليوم الأخر والعمل الصالح، ليتبينوا أن هذه الصحف الأولى هي غرس التوحيد الأول، والتي أنزلها الله على آدم وذريته والأنبياء من بعده عليهم السلام أجمعين، ولتكون شاهدًا على أن الصابئة المندائيين هم قوم موحدون محبون للسلام والألفة والتعايش مع الجميع، ويؤمنون بالأنبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه منذ بدء الخليقة، والحي الأزلي يزكي عمل الخير والأخيار.

ندوِّن شيئًا من تقديم رئيس طائفة الصابئة المندائيين الريش أمة ستار جبار حلو:

(هذا سر الكتاب، والتفسير الأول، والتعليم الحي الأول، الذي كان منذُ الأزل)

(طوبى للموحدين المؤمنين العارفين بالحي الأزلي الذين نهلوا من فيض ضيائه فأنار قلوبهم واطمأنت سرائرهم وتمسكوا بعدهم على عبادته وطاعته)[2]

---

١ كنزا ربا اليمين - الوصايا

٢ كنزا ربا اليمين - الوصايا

مبارك هذا العمل الجليل فأقرأوه، وتأملوا معانيه، وأمعنوا النظر في قول الحي الأزلي، واجعلوه هاديًا لكم، وطبقوه في حياتكم، لتكسبوا رضا الحي العظيم، ولتكونوا من أبناء عالم الأنوار)...

نعود إلى الفقيه الإصطخري الذي لم يكلِّف نفسه الإطلاع على كتابهم المقدس (الكنز العظيم) ولا على سيرة أنبيائهم : آدم ، وشيتل، وسام، وإدريس، ويحيى بن زكريا - مباركة أسماؤهم -... وهو لم يطلع على ما قاله الرسول الكريم وخاتم الأنبياء محمد (ص) في نبي الرحمة والسلام يهيا يهانا: (كل ابن أنثى وله يوم القيامة حساب إلا يحيى بن زكريا لأنه لم يقترف ذنبًا)... وقال فيه السيد المسيح عليه السلام (لم تلد النساء مثل يوحنا المعمدان).

من يقرأ كتاب تعاليم يحيى (دراشة أد يهيا) يرى عظمة وسمو هذا النبي الجليل وتأثير تعاليمه على من تبعه من الصابئة المندائيين.

الإصطخري، لم يقرأ من كتب الصابئة شيئًا، ولم يختلط مع أبناء الصابئة ويعيش معهم، لتكون المعلومات التي تصدر عنه بصدق وأمانة، ولهذا أكتفي في الرد عليه بما كتبه العلامة الدكتور رشيد الخيون، ابن أهوار العراق، العربي الأصيل الذي عاش وسط الصابئة المندائيين، وعاشرهم عن قرب، وعرف دقائق الأمور بكل صدق وأمانة، ولهذا ردَّ بقوةٍ وحزمٍ وإنصافٍ على كل من أجحف بحقهم وزوَّر الحقيقة؛ إما عن جهلٍ وضلالة، وإما عن حقدٍ وتطرف.

■ **ابن ميمون** (١١٥٣-١٢٠٥) :

رجل يهودي حاقد، أجحف كثيرًا بحق الصابئة المندائيين ودينهم، وينسب لهم من التهم والأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، ونسب لهم أمورًا لا علاقة لهم بها البتة، ويدَّعي كذبًا وزورًا أنهم أقاموا أصنامًا من الذهب للشمس وأصنامًا من الفضة للقمر... فيا ترى أين هذه الأصنام؟، وهل تبخرت؟!! ولماذا لم يذكرها غيره؟!! وما علاقة الصابئة بقصة آدم وحواء والتفاحة والحية؟!!... إنها قصة وردت في التوراة، ولا وجود لها في كتاب (الكنزا ربا)، أو كتاب تعاليم نبينا يحيى بن زكريا.

وكذلك زعم ابن ميمون أن الصابئة يقولون في كتاب الكنزا ربا، أن آدم خُلِق من ذكر وأنثى، وأنه مولود، ودعا لعبادة القمر... وإلى أخر هذه الافتراءات والأكاذيب المقصودة.

obeikan.com

■ **فخري الدين الرازي** (١١٥٠-١١١٠) :

ذكر فخر الدين في كتابه ما يلي :

أمَّا قوله تعالى : ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ فهو صبأ إذ خرج من دينه إلى دين آخر ، كذلك كان العرب يسمون النبي محمد (ص) صابئًا لأنه أظهر دينًا بخلاف لأديانهم ، وللمفسرين في تفسير مذهبهم أقوال : أحدها أنهم طائفة من المجوس واليهود ، لا تُأكل ذبائحهم ، ولا تُنكح نسائهم.

وثانيها : هم قومٌ يعبدون الملائكة ويصلون إلى الشمس.

وثالثها : وهو الأقرب ، أنهم يعبدون الكواكب.

ثم لهم قولان :

الأول ، أن خالق العالم هو الله سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب ، واتخذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم.

والثاني : أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب ، وهي المدبِّرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض ، فيجب على البشر تعظيمها ، لأنها هي الآلهة المدبِّرة لهذا العالم ، ثم أنه سبحانه بيَّن في هذه الفرق الأربعة ، أنهم إذا آمنوا بالله فلهم الثواب في الآخرة.

أمَّا قوله تعالى : ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فليس المراد العندية المكانية ، فإن ذلك محال في حق الله تعالى ، ولا الحفظ كالودائع ، بل المراد أن أجرهم متيقن جارٍ مجرى الحاصل عند ربهم.

وأما قوله تعالى : ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقيل : أراد زوال الخوف والحزن عنهم في الدنيا ، ومنهم من قال في الآخرة في حال الثواب ، وهذا أصحّ لأن قوله : ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عامٌ في النفي ، وكذلك : ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذه الصفة لا تحصل في الدنيا وخصوصًا في المكلفين لأنهم في كل وقت لا ينفكون من خوفٍ وحزن ، إما في أسباب الدنيا وإما في أمور

الآخرة، فكأنه سبحانه وعدهم في الآخرة بالأجر، ثم بيَّن أن من صفة ذلك الأجر أن يكون خاليًا من الخوف والحزن.

وإن ورود كلمة الصابئة في القرآن بالرفع مرة ﴿الصَّابِؤونَ﴾ وبالنصب أخرى ﴿الصَّابِئِينَ﴾ لفائدة تقتضي ذلك، لأنه لمَّا كان المتكلم أحكم الحاكمين فلا بد لهذه التغييرات من حِكم وفوائد، فإن أدركنا تلك الحِكم فقد فزنا بالكمال، وإن عجزنا أحلنا القصور على عقولنا لا على كلام الحكيم، والله أعلم...

▪ تعقيب:

الرازي نقل عن بعض الذين سبقوه، ولهذا تجده يتخبط، فمرةً يقول إنهم يعبدون الشمس، ومرةً يعبدون الله... وينسب كلمة صبأ إلى اللغة العربية، بينما الحقيقة أن كلمة صابئة جاءت من الفعل الآرامي صبا أي تعمد أو غطس في الماء الجاري ؛ ماء النهر (اليردنا) ومصدرها مصبتا. والصابئون تعني: الصابغون، أي المتعمدون بالماء... أما كلمة مندائيون، فتعني: المعرفيون، بمعنى الذين عرفوا الحي العظيم ؛ الله سبحانه وتعالى، بالعقل والمعرفة، أي العارفون بوجود الله.

وهناك الكثير من الشخصيات التاريخية الشهيرة في جميع العلوم والمعارف - ومنها علوم الفقه والشريعة الإسلامية - من أصول صابئية مندائية، ونذكر مثلاً سلمان الفارسي، واسمه الحقيقي (مايه بن بوذ خشبان بن ديره)، وأبو حنيفة النعمان (٦٩٩-٧٦٧)، واسمه (ثابت بن النعمان بن زوطي بن ماه)، ومعروف بن فيروز الكرخي، ومرقده في جانب الكرخ... وغيرهم الكثير وكان دورهم مؤثرًا في نهضة الإسلام، ولم نسمع أو نقرأ أنهم أساءوا إلى الدين الصابئي المندائي أو اتهموه بما ينسب لهم من بعض الأدعياء، بأنهم عبدة كواكب ونجوم، وأنهم غير موحدين.

لقد مرَّ على الصابئة المندائيين أجيالٌ عاشوا فيها في عمق أهوار جنوب العراق وعربستان إيران، بعيدًا عن المدن ومراكز الحضارات، ولأسباب معروفة، ومن هذه الأسباب: هربًا من ملاحقة المتشددين، والحفاظ على الطائفة والدين الصابئي بعد كثرة الحروب والغزوات وإبادة الآلاف منهم في زمانهم... وهذا الاعتكاف أضرَّ بهم من ناحية جهل الآخرين بدينهم وثقافتهم وعاداتهم وطقوسهم الدينية، ولكن من ناحية أخرى حافظ عليهم وعلى دينهم وكتبهم المقدسة، وهذه المرحلة من التكتم والانزواء قد انتهت ؛ بالرغم من وجود المنغصات واستمرار الحروب في منطقة سكانهم الممتدة لآلاف السنين، فقد انفتح الصابئة المندائيون على الآخرين، وتُرجمت كتبهم الدينية إلى عدة لغات، ومن ضمنها اللغة العربية، وأصبحت في متناول الباحثين والمطلعين.

إنه من الملفت للنظر أن هناك عددًا من الباحثين والكُتَّاب يعيشون مع ، أو بالقرب من الصابئة المندائيين، ولكنهم حرَّفوا الحقائق فيما يخص طقوسهم وعباداتهم، وواحدة من الأكاذيب والافتراءات التي تداولها هؤلاء ؛ أن الصابئة يقتلون المحتضرين من ديانتهم، وهي فرية وكذبة أطلقها هؤلاء للنيل من العقيدة المندائية البيضاء، فالصابئة المندائيون يهيئون جميع الإجراءات اللازمة وجميع الطقوس الدينية للمحتضر، فهم يعتبرون طهارته ولبسه الملابس البيضاء (قماشي) قبل الوفاة واجبًا ضروريًا لتخرج نفسه طاهرة نقية من جسد طاهر وملابس تشبه النور في بياضها، فعندما يحتضر المرء ويتأكد بالدليل القاطع من احتضاره، ويؤكد الأطباء أنه لا أمل في شفائه، يطمشونه (يغسلونه) بماء طاهر جاري، ويلبسونه القماشي (ملابس بيضاء طاهرة)، ويتم حراسته إلى أن يأخذ الله أمانته وتعرج النشماثا (النفس) إلى بارئها، ثم يقوم رجال الدين ومساعدوهم بمراسيم الدفن أصوليًا، وقراءة البُوث الدينية، بعدها تُقام مراسيم الثواب والصدقة، ويتم ذكر المتوفى في كل المناسبات الدينية المقدسة، بعمل الثواب والصدقات، وطعان الغفران (اللوفاني).

من واجب الكُتَّاب والباحثين نقل الحقائق بأمانة، لأن التاريخ لا يرحم، وسوف يأتي يومٌ تتكشف الأمور على حقيقتها، وسوف يُدان من شوَّه التاريخ وأساء إلى الطوائف والأديان... نحن نبحث عن الحقيقة أينما وُجدت، وها هي الباحثة الإنكليزية الليدي دراور مثلٌ على صدق الباحثين وجدية عملهم، حيث عاشت هذه السيدة مع الصابئة المندائيين لعشرات السنين، تتنقل بين المدن والقرى والأهوار، وصورت وكتبت الحقيقة عن دينهم ومعتقداتهم وطقوسهم بأمانة وإخلاص... كان على الباحثين الذين كتبوا عن الصابئة معلومات لا أساس لها من الصحة وزيفوا وشوهوا الصورة الناصعة البياض لهذه الطائفة ؛ أن يبذلوا الجهد في التقصي والمشاهدة وقراءة كتبهم الدينية، ليكونوا على بينة مما يكتبون، وكانوا قادرين بيسر سهولة أن يصلوا إلى هذه الحقائق، فالصابئة المندائيون أثرٌ من آثار التاريخ البشري، أحياءٌ يرزقون ولهم مجالسهم ومناديهم المفتوحة، ويمارسون طقوسهم أمام العلن، وهم من كرماء الناس، لأنهم يحبون كل الناس وكل الأديان وكل الأنبياء.

لو نبحث عن المشتركات بين الحنفاء والصابئة لوجدنا تقاربًا كبيرًا بينهم في الشعائر والطقوس، حتى ذكر البعض أنهم مثل الكاثوليك والأرثوذكس، وأن الفعل حنَّف يعني صبأ.

الصابئة المندائيون رغم تعدد أنبيائهم، ولكنهم يؤمنون أن يكون المرسل ملاكًا وليس بشرًا مثلهم، وكانوا يسمون النبي يحيى بن زكريا (يهيا يوهانا) - مبارك اسمه - بالواعظ أو المعلم أو الشيخ، وعند عروجه إلى عالم الأنوار ذكر أنه النبي يهانا، ولكن الكتب الدينية المندائية تذكر الأنبياء والرسل : آدم وشيتل (شيت) وإدريس ونوح وسام ويحيى - مباركة أسماؤهم - بآيات التقديس، وأنهم أنبياء مرسلون من الحي العظيم، يجب إتباعهم وطاعتهم... كذلك يذكر اسم (بهرام ربا)... ومنهم من يقول هذا ملاك، ومنهم من يقول هذا إبراهيم الخليل.

لقد مرَّ عالمنا هذا منذ زمن آدم بعدة كوارث: الأولى ؛ بالنار والحريق، ولم يبقَ إلا الرجل رام ورود... وكارثة ثانية ؛ بالحرب والسيف، ولم يبقَ إلا الرجل شورباي وشرهبيل... وكارثة أخرى ؛ بالفيضان (الطوفان العظيم)، ولم يبقَ إلا نوح وابنه سام وزوجته نهوريتا ؛ الذين نحن جميعًا ذريتهم.

obeikan.com

▪ **محمد سيد طنطاوي:**

قال في تفسيره للآية ٦٢ من سورة البقرة: إنها تحدثنا عن أربع فرق من البشر، وأن الفرقة الرابعة هي فرقة الصابئين جمع صابئ، وهو الخارج من دين إلى دين، وهم قوم يعبدون الكواكب أو الملائكة، ويزعمون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم... وذكر القرآن الصائبة في هذا المقام وهم من أبعد الأمم ضلالاً، لينبه على أن الإيمان منهم على النحو الذي قرره الدين الحق، فمن لم تبلغه منهم دعوة الإسلام، وكان ينتمى إلى دين صحيح في أصله بحيث يؤمن بالله واليوم الآخر ويقدِّم العمل الصالح على الوجه الذي يرشده إليه دينه، فله أجره على ذلك عند ربه، أما الذين بلغتهم الذين بلغتهم دعوة الإسلام من تلك الفرق ولكنهم لم يقبلوها؛ فإنهم لا يكونون ناجين من عذاب الله مهما ادعوا بأنهم يؤمنون بغيرها، لأن الشريعة الإسلامية قد نسخت ما قبلها.

▪ **تعقيب:**

هذا هو الإجحاف بعينه، وهذا التعصب الأعمى بعينه، فكلمة صابئي لا علاقة لها بكلمة صبا العربية، وإنما بكلمة صبا الآرامية، وتعني الطهارة بالماء الجاري، أي الغطس بالماء الجاري، تعمد أو اصطبغ فيه.

أما قوله إنهم يدعون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم ، فهذا القول غير صحيح، وهذا إدعاء يهودي لا علاقة للصابئة المندائيين به، ونبيهم شيتل - مبارك اسمه - لم يتزوج، ولم يكن له أبناء، حسب ما ذكر في كتبهم الدينية.

إن سورة البقرة أنصفتهم، وذكرت أنهم أسوة بالمسلمين واليهود والنصارى... وإن تعصب سيد طنطاوي دفعه إلى تكفير غير المسلمين، وهو بذلك يجانب الحق ويخالف ما ورد في ثلاث سور مباركة من القرآن الكريم. إن العالم الفقيه

المفسِّر عليه أن يكون محايدًا وغير متعصب عندما يشرح للناس مضمون السور القرآنية وهي أمانة بعنقه، ويحاسبه الله حين يمارس الغلو وتغييب الحقيقة بما ذكره الله في محكم كتابه، وأن يكون الفقيه محبًا للناس وخاصة الموحدين بالله ويطلع على كتبهم ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم قبل أن يبدي رأيه في طائفة أو فرقة أو دين... إن أسلوب تكفير الآخرين عن طريق الخداع والتضليل في تفسير ما يراه مناسبًا لفكره المنحاز والمجحف في مصير أمة أو طائفة ؛ هي جذر التوحيد الأول.

opeikan.com

▪ هيئة الإفتاء والدعوة والإرشاد :

من جُملة ما كتبته الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية وتعليقها على كلمة التي وردت في الآية الكريمة من سورة البقرة:

كشفت البحوث الأخيرة عن وجود بقايا صغيرة لطائفة دينية يقدر تعدادها بحوالي ٢٠٠٠ نسمة في الجزء الجنوبي من العراق قُرب البصرة، يدعون بالعربية (صُبي) وجمعها (صُبة) ويدعون أيضًا صابئة، وناصورائيين، أو مندائيين، أو مسيحيي القديس يوحنا... يرتدون الأبيض، ويعتقدون بكثرة الاغتسال بالماء، كتابهم (الكنزا) مكتوب باللهجة الآرامية، لديهم نظريات (الظلام والنور) كالزرادشتية، يستعملون الاسم يردنا (الأردُن) لأي نهر... يعيشون بسلام وتآلف وانسجام مع جيرانهم المسلمين، إنهم يشبهون الصابئين المذكورين بالقرآن، لكن لربما ليسوا أنفسهم (ليسوا متطابقين معهم)، الصابئة الزائفون في حران الذين جذبوا انتباه الخليفة المأمون عام ٨٣٠م بشعورهم الطويلة وزيهم الغريب، لربما اتخذوا اسم الصابئة لذكره في القرآن، من أجل التمتع بمزايا أهل الكتاب.

كانوا عبدة نجوم سوريين مع ميول فكرية إغريقية، كاليهود الذين تعاصروا مع المسيح.

كان هناك شعبٌ آخر يُدعى (الصابئين) الذين لعبوا دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة العربية القديمة، وقد عُرفوا من خلال كتاباتهم الألفبائية المتصاهرة مع اللغة الفينيقية والبابلية، لقد كانت لهم مملكة مزدهرةٌ في اليمن تقع في منطقة الجنوب العربي في حوالي ٨٠٠ – ٧٠٠ قبل الميلاد، رغم أن أصلهم لربما كان من في الشمال العربي. عبدوا الكواكب والنجوم (القمر والشمس والزهرة) ومن المحتمل أن مملكة سبأ ترتبط بهم. لقد خضعوا إلى الحبشة في حوالي ٣٥٠م، وإلى إيران في حوالي ٥٧٩م، عاصمتهم كانت بالقرب من صنعاء،

ولقد كانت لهم مباني جميلة من الحجر التي يلاحظ فيها القوس المدبب... نلاحظ مما ورد في أعلاه، أصبح العدد أكثر من ديانة صابئية واحدة، وأن الصابئة المندائيين يشبهون الذين ذكرهم القرآن الكريم، ولربما ليسوا أنفسهم، أو ليس متطابقين معهم. نعم قد لا يتطابق الشخص المعاصر مع مثيله الذي عاش قبل ١٥٠٠ سنة مهما كان دينه.

▪ تعقيب:

هذه الهيئة المسؤولة عن الإفتاء والدعوة والإرشاد في مجمع الملك فهد بن عبد العزيز، المسؤولة عن طباعة المصحف الشريف، كان المفروض بهذه الهيئة المهمة أن ترسل منها مبعوثين مختصين إلى العراق لدراسة أمر هذه الطائفة الدينية، ومعايشتهم والإطلاع على كتبهم الدينية عن قُرب، وتوجيه الأسئلة المتعلقة بتاريخهم ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم، وفهم الأمور بدقة... لقد كتبت الهيئة الدراسة في عهد الملك الراحل فهد، وهو عهد قريب جدًا، تتوفر فيه المواصلات البحرية والجوية والبرية، وخاصة أن العراق قريب، وخاصة جنوب العراق القريب من منطقة الحجاز، مع توفر الإمكانات المادية لهذه الهيئة وهي برعاية ملكية... فلماذا كل هذه الاحتمالات في هذا البحث وهذه الربما الكثيرة؟!.

بدايةً، وقعت الهيئة في الخطأ عندما قالت إن عدد الصابئة ٢٠٠٠ نسمة، بينما الحقيقة أن عدد الصابئة المندائيين يقدَّر بحوالي ١٠٠,٠٠٠ ألف نسمة منتشرين في البصرة، والعمارة، والأهواز، والمحمرة، والبسيتين وناصرية إيران، وناصرية العراق، وبغداد، وغيرها من المدن. وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية على ضفاف دجلة والفرات، وشط العرب، والكارون، والكرخة، علانيةً وفي وضح النهار... وهم صحيح يرتدون البياض (الرستة)، ولكن أثناء إجراء الطقوس الدينية، وخاصة الصباغة (التعميد) ولكنهم يلبسون كما يلبس الناس في مناطقهم ومدنهم.

الصابئة المندائيون لا يعبدون الشمس والقمر والزهرة، كما تدَّعي هذه الهيئة، وإنما يقولون أن لها تأثيرًا على الإنسان والطبيعة، وهذه حقيقة علمية، وإذا هم اتجهوا في صلاتهم نحو الشمال واستدلوا على الشمال بواسطة النجم القطبي الثابت بالنسبة للأرض، استدلالاً لعدم وجود بوصلة أو معالم على ذلك، لأنهم يؤمنون أن عالم الأنوار (بيت هيي) بيت الله في الشمال العلوي القصي.

إن طائفة الصابئة المندائيين طائفة واحدة لم تنقسم يومًا إلى أقسام ومذاهب، وربها الحي العظيم؛ الله الواحد القيوم، وكتابها الكنز العظيم (كنزا ربا) كتاب واحد... ولهم عدة أنبياء، أولهم آدم وأخرهم يحيى بن زكريا... وهم أمة واحدة تدين بدين واحد فقط... وهم نفس الناس قديمًا وحديثًا يحملون أرث أجدادهم، ولم يغيروا شيئًا في دينهم وتقاليدهم وطقوسهم منذ آلاف السنين رغم جميع المحن التي مروا بها... وهم يفضلون العيش بالقرب من المياه الجارية التي يسمونها "يردنا" التي تعني المياه الجارية العذبة الطاهرة، وللأنهار طبعًا أسماؤها، وإن اسم نهر الأردن جاء من أصل الكلمة الآرامية المندائية يردنا.

وحاليًا توزعوا على عدد كبير من الدول، طلبًا للأمان والعيش الكريم، بعد سلسلة من الحروب والمآسي التي طالت بلدهم العراق، وحالات التضييق والإجحاف في إيران، ولا زال عددٌ كبيرٌ منهم يعيش في مناطقهم، ومنهم الأطباء والأساتذة، والصاغة، والموظفون، والكسبة، والذين يمارسون المهن الحرة... ولهم جمعياتهم الثقافية والاجتماعية، ويمارسون طقوسهم وعبادتهم في المنادي (المعابد) المنتشرة في جميع الدول... ويلعب رجال دينهم دورًا مهمًا في الحفاظ على هذه الطائفة الدينية العريقة؛ خمرة الأديان وجذر التوحيد الأول... وقد برزت في الآونة الأخيرة المؤسسات والتنظيمات المندائية التي تهتم بشؤونهم وتعزز مكانتهم في أوساط المجتمعات الجديدة، وازدهرت الحركة الثقافية والأدبية، وبرز عدد من العلماء والأدباء والمؤلفين في شتى المجالات؛ مثلما ازدهرت في العصر العباسي.

▪ متى أُقرَّت أعياد المندائيين بصورة رسمية :

في عام ١٩٣٦، وفي عهد حكومة "حكمت سليمان"، أجيزت الأعياد المندائية، وقد سعى في استحصال ذلك المرحوم شيخ "عبد الله سام"، فثبتت لأول مرة، واستبشر المندائيون لذلك، وصار من حق الموظفين منهم التمتع بالعطلات ومشاركة ذويهم الأفراح... وقد ثبت القانون أعياد الصابئة كما يلي:

أولاً: ٧-٨ آب، يومان للعيد الكبير.

ثانيًا: ٢٣ تشرين الثاني، يوم واحد للعيد الصغير.

ثالثًا: ٥-٦ نيسان، يومان لعيد البنجة (الخليقة).

رابعًا: يوم واحد، لعيد دهفا اد يمانا عيد ميلاد النبي يحيى.

وعندما جاءت حكومة "أرشد العمري" عام ١٩٤٦ ألغيت هذه الأعياد دون إبداء الأسباب، وهكذا حُرِم المندائيون من هذا الحق، وصار الموظفون والطلاب يأخذون الإجازات للمشاركة في الطقوس الدينية وتلك الأفراح.

وبعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ أعيد حق المندائيين في التمتع بعطلاتهم والاعتراف بأعيادهم.

وفي عام ١٩٧٢ بادر المندائيون بتقديم طلب للسلطة بإعادة حقهم والتمتع بأعيادهم، فصدر قانون العطلات الرسمية رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٢ والمنشور في جريدة الوقائع العراقية السنة الخامسة عشر العدد ٢١٤٨، ولكنه ثبت للأعياد أيامًا معينة وكما يلي:

١. العيد الكبير: في ٢٩-٣٠ تموز

٢. العيد الصغير: في ١٣ تشرين الثاني

٣: عيد البنجة: ٢٦-٢٧ آذار

٤. عيد ميلاد النبي يحيى (ع): في ٣٠ آيار

ولمَّا كانت السنة المندائية تساوي ٣٦٥ يومًا فقط (لا توجد بها سنة كبيسة)، فكانت الأعياد تتقدم يومًا واحدًا كل أربع سنوات، ومن هنا يحصل الاختلاف في التواريخ المحددة، فالتمس المندائيون في حينه من مجلس قيادة الثورة عدم تحديد تواريخ معينة لأيام العيد، وقد استجابت الحكومة لهذا الالتماس، وأجرى السيد وزير العدل تعديلاً خاصًا بذلك القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٣ جاء فيه:

(باسم الشعب

مجلس قيادة الثورة

استنادًا إلى أحكام الفقرة (أ) من مادة ٤٢ من الدستور المؤقت وبناء على اقتراح رئيس الجمهورية.

قرَّر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٢ - ٤ - ١٩٧٣.

إصدار القانون الآتي:

- مادة ١

تحذف الفقرة ج من مادة ٢ من قانون العطلات الرسمية رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٢ ويحل محلها:

١- يومان للعيد الكبير.

٢- يوم واحد للعيد الصغير.

٣- يومان لعيد الخليقة (البنجة)

٤- يوم واحد لمولد النبي يحيى (عيد دهفا اد يمانا)

- مادة ٢

ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويتولى الوزراء تنفيذ أحكامه.

▪ تعقيب عن الأعياد:

حقيقة للصابئة المندائيين أعياد كثيرة، أهمها:

- **العيد الكبير :** ويسمى عندهم عيد (دهوا ربا) ويسميه عامة الناس (عيد الكرصة)، ومدته ثلاثة أيام، يعتكف فيه أبناء الطائفة في بيوتهم بعد أن يجهزوا المأكل والمشرب لمدة ٣٦ ساعة، يقضونها في قراءة الكتب الدينية، واستذكار حكايات الأهل والأجداد، والدعاء إلى الحي العظيم بالأمن والسلام وتجدد الحياة... وبعدها يخرجون للتزاور والاحتفال بأيام العيد.

- **العيد الصغير :** ويسمى عيد الازدهار، ويسميه المندائيون (دهوا هنينا)، ومدته يومان، وهو بمناسبة عروج الملاك المبجل "هيبل زيوا" - مبارك اسمه - بعد أن جُبلت الأرض على يديه، وتفجرت المياه الجارية العذبة فيها، وخلق جميع الكائنات الحية بأمر الحي الأزلي، وبصعوده ابتهجت عوالم النور... ويأتي العيد الصغير بعد ١٨ يومًا من مناسبة رأس الشهر المندائي، وهو مناسبة أبو الفل (هبوط الملاك هيبل زيوا للأرض بأمر الحي الأزلي للسيطرة عليها وجريان الماء الحي فيها وجعلها مهيأة لعيش آدم وزوجه حواء وذريتهما) وقد اعتاد أبناء الطائفة أن يتناولوا فطورهم في صباح يوم العيد (تمن ولبن رائب) مع التمر، وهما رمزان للنبات والحيوان، أي رمز لخيرات الأرض وعطائها، وجعلها صالحة للحياة.

- **عيد الخليقة :** (البنجة)، أو الأيام الخمسة البيضاء، ويسميه المندائيون (البرونايا)، حيث يحتفل أبناء طائفة الصابئة المندائيين بهذه المناسبة المقدسة التي تستمر لمدة خمسة أيام، وفيها خلق الحي العظيم عوالم النور (الجنة)، حيث تجري خلال هذه الأيام طقوس الصباغة (التعميد) وغيرها من المراسيم الدينية على ضفاف الأنهار، وتعد هذه الأيام الخمسة من الأيام المهمة في السنة المندائية التي تتألف من ٣٦٠ يومًا إضافة إلى خمسة أيام هي مناسبة البرونايا والتي تفرد عن الحساب لخصوصيتها، ووفقًا للنصوص المندائية فإنه يمكن إجراء المراسيم الدينية في النهار والليل لأنها أيام مباركة لا يفصلها ظلام.

- **عيد دهفة ديمانة:** يحتفل الصابئة بيوم التعميد الذهبي (الدهفة ديمانة) الذي يعد ثاني أهم الأعياد الدينية الأربعة في الديانة المندائية، حيث يجري تعميد جماعي لأبناء الطائفة ؛ ولا سيما الأطفال من عمر ٣٠ يومًا، الذين يعدُّ تعميدهم لأول مرة في مثل هذا اليوم، واحدًا من أهم طقوس الدخول بالديانة المندائية، فالطفل الذي يجري تعميده لأول مرة في الدهفة ديمانة، ويُمنح الاسم الديني (الملواشة) بصبح مؤهلاً للدخول بالديانة المندائية... ويعتقد المندائيون أن يوم الدهفة ديمانة أو عيد التعميد الذهبي هو اليوم الذي تعمَّد فيه الملاك هيبل زيوا (جبرائيل الرسول)، في عالم الأنوار عند عودته من عالم الظلام، وهو اليوم الذي تعمَّد فيه (آدم) على يد الملاك هيبل زيوا، وكذلك هو اليوم الذي تعمَّد فيه الأنبياء: شيتل، سام، إدريس، وأخرهم النبي يحيى بن زكريا عندما كان عمره ٣٠ يومًا.

- **عيد شوشيان:** ويسمى عيد السلام، أو ذكرى خلق الأثيري يوشامن: ويأتي بعد العيد الكبير (دهوا ربا) بستة أيام، وهو يوم بركة وخير وفرح، حيث يعتقد الصابئة أن هذا اليوم تتويجٌ لاكتمال الخلق الذي أمرَ الحي العظيم به آدم كسيا، والذي بدأ بولادته هو حيث كوَّن له عالمًا وذرية... ويعلِّق الصابئة المندائيون أكاليل من شجرة الصفصاف على أبواب البيوت تبركًا بهذه المناسبة، حيث يقوم رجال الدين بجدل هذه الأكاليل ويقرأون عليها صلاةً خاصة، ويقوم الصابئة في ليلة ٦ - ٧ من الشهر المندائي بالصلاة والدعاء إلى إلهيي ربي قدماي، ويسمونها ليلة القدر، أو ليلة الأماني الطيبة.

- وهناك مناسبات أخرى يحتفل بها الصابئة، مثل **ذكرى أبو الهريس**: حيث يحتفل الصابئة في منتصف شهر كانون الأول تقريبًا بذكرى أليمة، ويسمى يوم أبو الهريس، تذكيرًا وترحمًا على ضحاياهم من الصابئة المندائيين الذين قُتلوا على يد اليهود في فلسطين سنة ٧٠ ميلاديًا، حيث تمَّ إبادة ٣٦٥ من الترميذا ورجال الدين من أتباع النبي يحيى بن زكريا، وآلاف من أتباع هذا الدين،

وهُجِّر منهم الآلاف إلى مدينة حران... وكذلك يحتفل الصابئة بهذه المناسبة بالذين غرقوا في الطوفان العظيم، حيث قام النبي نوح وابنه سام بعمل الهريس كطعام (لوفاني) من الحبوب المتبقية في السفينة وعددها سبعة أنواع، ترحمًا على أرواح الذين غرقوا.

– وكذلك مناسبة **دك أبو الفل**: وهي مناسبة دينية طقسية، حيث يقوم الصابئة بمزج التمر مع السمسم الأبيض المقلي، ودمجهما حتى يسحقا ليصبح مثل العجينة، وتصنع منه كرات صغيرة تسمى (الفل)، وتأكل بعد يوم من عملها كطعام غفران الخطايا (لوفاني) على المتوفين... والمناسبة كذلك ترمز إلى الطعام الروحاني المقدس، والقوة التي يعطيها للأنفس... ويعتقد الصابئة أن مناسبة دك أبو الفل هي تخليد رمزي لذكرى رحلة الملاك هيبل زيوا وهبوطه على عوالم الظلام، ورجوعه منها.

قبل القرار الرسمي من الحكومة العراقية لم يتمتع أبناء الطائفة بأعيادهم بإجازات وعُطل رسمية مِنْ قبل الدولة العراقية، لكن بجهود الخيرين ومتابعتهم وتعاطف الشخصيات الوطنية في سُدة الحكم ؛ تمَّ منحهم عطلات رسمية لأعيادهم ومناسباتهم الدينية، وباركوها وهنأوهم في وسائل الإعلام كافة، وقاموا بزيارتهم في مقراتهم ومناديهم للتهنئة... وبهذا زال شيءٌ من الإجحاف بحقوقهم المشروعة كشريحة مهمة وأصيلة من شرائح المجتمع العراقي المحبّ للخير... وهناك احتفالات تقام في جمعياتهم ونواديهم الثقافية والاجتماعية يحضرها المسؤولون والأصدقاء من أبناء الشعب على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم.

■ **الأستاذ/ حكمت شناوة السليم :**

هذا مثقف مندائي متنور له مساهماته وفعالياته وآراؤه ومقالاته الهادفة الصادقة الأمينة... إنه الأستاذ "حكمت شناوة السليم" ، اسمٌ على مسمَّى ، رجل واسع الإطلاع، قدَّم خدمات جليلة لأبناء الطائفة في وطنه العراق ، وحاليًا في غربته في ألمانيا... وهو من الناشطين التقدميين... وأنا شخصيًا أقدِّر حكمته ورويته في العمل الطوعي ، وأقدِّر هدوءه وحبه لكل الناس ، كما أقدِّر قدرته على الموازنة بين فكره التقدمي وإيمانه وخدماته لدينه وأبناء طائفته ودفاعه المستميت عنه، وأحترم قلمه في كل ما يكتب من صدق ودقة وأمانة...

وهذا مقالٌ له في الفلك والتنجيم:

- الفلك علمٌ، والتنجيم وهمٌ وخرافة

اهتم الإنسان منذ القِدم بحركات النجوم والكواكب، واستعملها البابليون في كشف مستقبل البلدان والملوك ، وتوصلوا إلى معلومات دقيقة تحدِّد ظهور واختفاء الكواكب ، وهذه المعلومات لا يمكن أن يكون للتنجيم علاقة بها ، بل إنها معلومات فلكية حقيقية لم يأتِ فيها ذكر مستقبل البلدان وحُكَّامها ، بل للظواهر الطبيعية... كذلك توصلوا إلى معرفة الأبراج وحدودها وأسموها ، والأبراج في حقيقتها ما هي إلا إحداثيات سماوية يستطيع من خلالها الفلكيون أن يحدِّدوا أماكن الظواهر الفلكية بشكل دقيق ، وعليه فإن أهميتها لا تقل عن أهمية خطوط الطول والعرض على الكرة الأرضية... والظواهر الفلكية تحدد أماكنها في السماء بموجب الأبراج ، وما دام لتلك الظواهر تأثيرات إيجابية أو سلبية على البلدان ، وذلك لعلاقتها بالتقلبات الجوية ، لهذا السبب اُستخدمت الأبراج للتنجيم ، وبادر الكهنة لتعميق هذه الممارسات على عامة الناس مما أدَّى ذلك - بمرور الزمن - إلى اعتقاد الناس بأن السبب المؤثر في التقلبات الجوية هي الأبراج ،

وقد عكس المنجمون تلك التأثيرات على الناس فأوهموهم بذلك ، وتوسعت قاعدتها وأصبحت مهنة مرغوبة وجالبة للمال وأشياء أخرى.

وقد توصل العلماء العرب إلى حقيقتين مهمتين هما:

١- أن التنجيم لا يزيد عن كونه مجموعة من الخرافات والأوهام التي ليس لها أي أساس علمي ، وعملوا على إبطال هذه الخرافات ، ورجعوا بالتنجيم إلى أساسه العلمي ألا وهو علم الفلك.

٢- أن الفلك علم يبحث في مسارات الكواكب، ومداراتها، وأبعادها عن بعضها البعض ، وميلان محاورها ، وهذا كله بحث علمي يعتمد على الرصد بالآلات والرياضيات البحتة ، ولكن التنجيم خرافة يحاول المشتغلون به ربط تحركات الكواكب بما يحدث للإنسان من أحداث سعيدة أو تعيسة ، ومحاولة استشارة النجوم والوصول إلى التنبؤ بالغيب.

وقد برع الصائبة المندائيون في هذا المضمار ، وشغفوا به ، وأجادوا فيه ، حتى أنهم ظُلِموا من المحيطين بهم بأنهم عبدة كواكب ونجوم لاهتمامهم بعلم الفلك ، وقد جاءت عدة نصوص في كتابهم المقدس (الكنزا ربا) تصف السحرة والمنجمين وهى:

- **(لا تأكلوا ولا تشربوا من هياكل الكواكب والأبراج فكلها دنسٌ ومكر)**
- **(لا تسبَحوا الكواكب والأبراج ، ولا تسبَحوا للشمس والقمر المنورين هذا العالم ، فأنه هو الذي وهبها النور)**
- **(لا تزاولوا السحر ، ولا تقصدوا السحرة والمنجمين المتلفعين بالظلام)**

وقد نبغ منهم علماء في مجال الفلك ومنهم (البتاني) و(ثابت بن قرة)، فالبتاني له أهمية وفضل في علم الفلك عند العرب مثل بطليموس عند اليونان ، وهو صاحب كتاب (الزيج الصباي)، وقد عمل في مرصدي أنطاكية والرقة ، وقد ترجمت مؤلفاته الفلكية إلى اللاتينية ، وقد حسب السنة الشمسية ، إلا أنه اخطأ فيها بمقدار دقيقتين و٢٢ ثانية.

وللبتاني وابن قرة مواقع مسجلة باسميهما على سطح القمر ، أقرها الاتحاد الفلكي الدولي...

وأخيرًا فعالمنا المندائي ثابت بن قرة يقول:
الخرافات توجد في أربعة أشياء: عجائب البر والبحر، وحديث السحر، وحديث الجن... والعقلاء يقولون: كذب المنجمون ولو صدفوا.

▪ تعقيب:

يعلم الجميع – وخاصة المثقفون من الناس – أن هناك فرقًا كبيرًا بين التنجيم وعلم الفلك... فالتنجيم شعوذة وخرافة (كذب المنجمون ولو صدفوا)، وطبعًا هم غير صادقين، ولكن أحيانًا الصدفة تلعب دورًا في ذلك... أما علم الفلك فهو علم قائم بذاته، وهو من العلوم القديمة، وقد تطور مع الزمن وأصبح من العلوم الأكاديمية المهمة، حيث تطورت دراسات علم الفلك تطورًا هائلاً، بواسطة التلسكوبات العملاقة، وبواسطة مركبات الفضاء والمسبارات التي تجوب الكون والبحوث والتطور التكنولوجي في غزو الفضاء لاستكشاف مجموعتنا الشمسية، والنزول على بعض الكواكب مثل المريخ والقمر، والدقة العالية في تصوير النجوم والكواكب على بعد مئات من السنوات الضوئية، وكشف أسرار مجرتنا – مجرة التبانة –، والتوسع في دراسة المجرات، وكيف يتم تكوين مجرات جديدة، وكيف يتمدد الكون ويتوسع... ولكن تبقى مشكلة تعيق الإنسان في السفر واستكشاف الكون؛ وهي عامل السرعة الذي يعاني منه الإنسان، لأن الكواكب والنجوم تبعد عن مجموعتنا الشمسية آلاف السنين الضوئية، والإنسان مازال يقيس السرعة بسرعة الصوت.

ولهذا نقول ونؤكد أن هناك فرقًا بين التنجيم وعلم الفلك، ومن الجرأة على العلم الخلط بين تفاهة التنجيم وعمق علم الفلك ، فعملية التنجيم المعروفة بـــ(أسترولوجي) هى ربط مواقع النجوم وحركتها بسلوك وأعمال ومصير

الإنسان... ويعتقد المنجم أن النجوم وحركتها تؤثر في حياة وموت الناس، وفي تصرفاتهم الشخصية.

العلماء والفقهاء لا يقرون علم التنجيم ولا يحترمونه، لأن المنجم يمكن أن يتقن هذا الفن خلال بضعة شهور... أما علم الفلك إلى وقتنا الحالي لم تسبر أغواره، لأنه علم واسع وعميق يقوم على أساس المسح والرصد ودراسة قوانين حركات ومدارات الاجرام السماوية.

وعلم الفلك له فروع متعددة تشمل علم الرياضيات والفيزياء، وعلم نشوء الكون والكونيات ، والفيزياء الفضائية ، وعلم البصريات ، وعلم الأرصاد الجوية ، والذي برع فيه عالمنا الفذ الأستاذ الدكتور عبد الجبار عبد الله الذي اكتشف عدة نظريات في هذا المجال، وكذلك علم الاتصالات الفضائية والأجهزة الإلكترونية الحديثة ، وتقنية الأقمار الصناعية ، ودراسة ديناميكا الهواء والديناميكية الحرارية ، وميكانيكية السوائل والتمدد الحراري والديناميكية الجوية والمسح الفضائي والتحليل الإحصائي ، والاستنبات الفضائي ، وتكنولوجيا صناعة المركبات والتلسكوبات الفضائية... وهذا يتطلب من العالم المقتدر دراسة عشرات السنين ليلمّ بجزء من علم الفلك.

إذن إطلاق كلمة منجم على عالم الفلك جريمة لا تغتفر بحق العلم والتطور والاستكشاف... ولذلك نجد أن هناك ظلمًا واقعًا على علماء الصابئة المندائيين مثل البتاني وثابت بن قرة وآخرين باتهامهم بالمنجمين، وهم علماء أفذاذ أناروا دروب العلم واكتشاف الفضاء الرحب ، وهم حالة متقدمة من علماء الصابئة المندائيين أمثال د. عبد الجبار عبد الله السام، ود. عبد العظيم ورد السبتي.

وهناك – مع الأسف – من علماء الدين من يربط بين التنجيم وعلم الفلك ، ويتهمون جزافًا علماء الفلك بالمنجمين... قد يظهر عالم الفلك لدراسة الأبراج لكي يتعرف على النجوم لكثرتها ومعرفة مواقعها وأوقات ظهورها.

والمندائيون دينهم ينهاهم عن تمجيد الكواكب والنجوم **(لا تمجدوا الشمس والقمر، هو الله الذي أمر ، فكان لهما وللكواكب هذا الضياء ، لكي ينيروا به الظلماء ، فإذا نادى الحي العظيم سقطت كلها في قرار بهيم)**[1].

يعتقد كثير من المنجمين أن تحركات ومواقع الأجرام السماوية تؤثر مباشرة على الحياة فوق كوكب الأرض، أو أنها تتطابق مع الحياة الإنسانية، وغيرها من الأمور الدنيوية، وتفيد بالتنبؤ بالمستقبل وتفسير الماضي والحاضر، ولكن العلماء والفقهاء يعتبرون التنجيم من العلوم الزائفة أو من الخرافات.

في البدايات لم يكن هناك تمييز واضح بين التنجيم وعلم الفلك، ولكن مع تطور علوم الفلك؛ وخاصة في العصر الحديث؛ انفصل تمامًا التنجيم عن علم الفلك، ولهذا يسمى الذي يعمل في التنجيم "منجم"، والذي يعمل في علم الفلك "عالم فلكي".

المنجِّم يهتم بمواقع الأجسام السماوية دون إعطاء أهمية للأسباب حركتها، ويربط هذه المواقع بخصائص الناس أو حدوث ظواهر مثل الحروب والحوادث وغيرها، وقسمٌ منهم لهم القدرة على استخدام الحاسوب وفق برنامج الفلك الكروي... ويعتمد المنجم على تاريخ محدد ويطابقه مع خارطة السماء ماضيًا أو مستقبلاً، ويربط بين شكل السماء والظواهر المختلفة، ومعظم النتائج تكون مخادعة، تدغدغ أحاسيس المتلقي بما يحس به من عواطف والارتكاز بما يمر به من مصاعب وأزمات على الكواكب والنجوم... وما يقوله المنجم هو دجل وكذب على هؤلاء المساكين، كما يفعل قراء الحظ وما ينشر في الصحف، وما تبثه بعض قنوات التلفزة من برامج حول الطالع وقراءة الأبراج.

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

يستخدم الصابئة المندائيون الأبراج لاستخراج الأسماء الدينية (الملواشة) الذي يستخدمه في جميع الطقوس الدينية، وهو مرادف لاسمه في البطاقة الشخصية، حين يولد الطفل يعطي يوم ولادته والشهر المندائي، وساعة ولادته؛ نهارًا أو ليلاً، والاسم الديني (ملواشة) أمه الذي ولدته، وبهذه المعلومات يعرف رجل الدين البرج الذي يستخرج منه الاسم الديني للطفل ليربط مع أسم أمه الديني، وهناك كتاب ديني يسمى أسفر "ملواشة"، ممكن الإطلاع عليه لمعرفة الطالع، وهذه علوم قديمة جدًا.

ولهذا على الإنسان الموحد المؤمن بالحي العظيم أن لا يخلط بين علم الفلك والتنجيم، إذ لا يجوز استعمال علم الفلك بكل فروعه لأغراض التنجيم والشعوذة.

يتهم بعض العلماء والفقهاء بأن علماء مدينة حران هم عبدة كواكب ونجوم، والحقيقة هم علماء فلك، وإنجازاتهم ملأت صفحات الكتب في اكتشاف الكواكب وحركتها وترتيبها بالنسبة إلى الأرض، وقد اشتهرت منطقة وادي الرافدين منذ القدم بهذا العلم البديع، وهم الأساس في تطور علوم الفلك في العالم.

هذه معلومات بسيطة ومختصرة على صديقي العزيز الأستاذ حكمت شناوة السليم تأييدًا لمقالته، وإطلاع القراء الكرام لمعرفة الفرق بين التنجيم ومنها المنجم... وبين علم الفلك ومنها عالم الفلك، واكتشاف الفضاء وسبر أغواره، وهذا علم واسع يهم مستقبل البشرية وتطورها، وسنكتب فيه بالتفصيل.

قلنا لقد تطور علم الفلك تطورًا هائلاً في العصر الحديث بسبب التقدم التكنولوجي، وأن ما هو معلن من اكتشافات قليل، لسرية الاكتشافات والمنافسة الشديدة بين الدول الكبرى في هذا المجال الحيوي... ويوم بعد يوم يتضح حجم

الإنجازات... والمعلومات عن الفضاء والفلك عمومًا تبهر الإنسان وهى ترى عظمة الخالق.

إن التطور التدريجي لعلوم الفلك منذ قديم الزمان، عندما كان الناس يعتمدون على نظرهم لمراقبة السماء، فوجدوا أن النجوم على شكل مجموعات تبدو على شكل حيوان أو إنسان ولذلك سموها بالبروج، وكل برج سموه حسب شكله الظاهر في السماء (برج العذراء، برج العقرب، برج الأسد، برج القوس، برج السرطان، برج الثور، برج الجدي) إلى أن اكتشف الإنسان المناظير المكبرة البسيطة، وتطورت الأجهزة والمعدات إلى التلسكوبات العملاقة المرتبطة بأجهزة الحاسوب، وبدأت مرحلة جديدة وثورة في علوم الفضاء منتصف القرن العشرين بغزو الفضاء والنزول على بعض الكواكب، والبحث عن وجود حياة فيها فأرسلوا أحدث المعدات للكشف عن الماء والحوامض الأمينية، والبكتريا والجراثيم، وكاشفات الغازات... ولكن مازالت هناك مشاكل تعيق سرعة هذه الاستكشافات وهى تفاوت درجات الحرارة والجاذبية والدوران وسرعة الكواكب والقرب والبعد عن الشمس فيما يخص مجموعتنا الشمسية... وهناك محاولات جارية لسبر أغوار مجاميع شمسية أخرى.

لقد بدأ الإنسان عصرًا جديدًا في علوم الفلك والفضاء، وقد ولَّت وبدون رجعة أفكارًا ظلامية نالت من علمائنا الكبار، وهم يؤسسون علم الفلك بتضحياتهم ومثابرتهم، وتضحيات من أتى بعدهم من علماء الفلك في أنحاء العالم.

علم الفلك علم واسع، فهناك الفلك الكروي لدراسة سطح السماء الذي نراه، وهناك الميكانيكا السماوية باستخدام الأبعاد الثلاثية المعروفة، وهناك الفلك الفيزيائي، وهو علم الفلك الحديث الذي يهتم بتركيب المادة الكونية ونشأتها... وهذا العلم يدرس باطن الكواكب وأغلفتها، والأشعة الكونية، وفيزياء الشمس.

▪ السحر والسحَّارون ملعونون في الدنيا والآخرة

تكلمنا عن التنجيم كشعوذة ودجل وتكلمنا عنه كعلم من علوم الفلك...وقد أفادنا كثيرًا الاستاذ حكمت شناوه السليم... والآن نتكلم عن السحر والسحرة لعنهم الحي العظيم، وعقابهم يوم الحساب شديد. إذ ورد نص في الكنزا ربا اليمين في تسبيح الوصايا:

(إذا عاهدتم فا بسطوا إيمانكم ، ولا تخونوا عهدكم ، ان الأثريين وملائكة النور يهبون اللوفا والكشطا بَعْضُهُمْ بعضا ، وأعلموا أنَّ معلميكم يعلمونكم كلمة الحقِّ والحكمة فلا ترفعوا رؤوسكم عليهم ، وكونوا هادئين متواضعين ، وأعلموا أن السحرةَ والمنجمين في الظلامِ قابعونَ).

(أيُّهَا الصادقون ، لا تقولوا ما لا تعرفون ، ولا تدعوا الوحيَ فلا يوحي إلا العلي العظيم ، سلحوا نفوسكم بأمضى من حديد سلاحِ ناصروثا ، وكلمات ربكم الصادقة ، ليشِرْ بعضكم على بعضٍ بالحسنى).

كذلك وردت نصوص كثيرة في كتاب تعليمات نبي الله يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) يهيا يوهانا... تلعن السحر والسحرة وتوصي الناس بالابتعاد عنهم لأنهم ملاعين دجالين :

(لا تسمعوا كلام السحرة والمنجمين الدجالين... إن من يسمع كلامهم يعذِّبه الحي العظيم في مستودع البرد والزمهرير... واحذروهم وابتعدوا عنهم... واحذروا مزاولة السحر ، وإتباع السحرة الكذابين وسيعذبهم الحي العظيم جزاء أعمالهم المشينة هذه... كونوا أيها الأصفياء المختارون صالحين تشهدون للحياة وتباركوها ، بالإيمان والمعرفة ، ولا تعملوا منكرًا ، ولا تسيروا بطريق الظلام والخطيئة... تسلحوا بالإيمان وبرحمة الحي العظيم).

إن السحرة لا يختلفون عن الزُناة والكذابين والدجالين فكلهم جزاؤهم العذاب وفق تعاليم الدين المندائي.

- **الريش أمة / ستار جبار حلو:**

فضيلة الريش أمة ستار جبار ، رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم ، شخصية دينية مرموقة ، وله مساهمات فاعلة على مستوى النشاطات الاجتماعية والدينية في العراق والعالم ، ومن المنادين إلى تغليب العدل والإنصاف بين أبناء العراق ، والجنوح إلى السلام والأمان والعيش الكريم لجميع الطوائف والقوميات المتآخية في ربوع الوطن.

والريش أمة ستار شخصية عراقية مندائية وطنية لها حضورها في المؤتمرات والندوات ، والتواصل مع رجال الدين والفقهاء وله علاقات طيبة مع المرجعيات الدينية... حضرتُ له محاضرة قيمة في دار المعرفة في مندي بغداد ، وحضرها عدد من الأساتذة والمختصين ، وقد تمكَّن بأسلوبه الشيق وتسلسل فقرات المحاضرة من شدِّ الحاضرين وتفاعلهم مع المعلومات القيمة والأفكار المطروحة ، وقد أشاد الجميع بقدرة هذا الرجل على العطاء.

وللريش أمة ستار مقالٍ كتبه عن موقف الدين الصابئي من السحر ، بيَّن النصوص الدينية في الكتب المقدسة التي تحذِّر الصابئة المندائيين من السحر والسحرة والمنجمين والعرَّافين ، والمقال وثيقة مهمة إلى عدد من المجحفين الذين يتهمون الدين الصابئي المندائي بالسحر ، وهذا إدعاء باطل لا أساس له من الصحة.

- موقف الدين الصابئي من السحر

باسم الحي العظيم

السحر هو إخراج الباطل في صورة حق ، ويقال أيضًا بأنه كل أمر يُخفى سببه ويُتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى الخداع والتمويه.

إن مفاهيم السحر والعرفنة والتنجيم قد ارتبطت بالإنسان منذ قيام آدم على الأرض ، وقد أنبأتنا بعض النصوص المباركة في (كنزا ربا) -مبارك اسمه-

كيف أن الشيطان حاول مرارًا إشراك نفسه في ميادين عدة لمزاحمة الإرادة الإلهية في تحديد شكل ومصير الإنسان على رحاب المسكونة مستخدمًا الحيل والسحر... وقد نبَّه عنه كتابنا المبارك في العديد من نصوصه لأشكال وعوائق في حياة الإنسان حتى عروج النفس إلى بارئها... ومن هذه النصوص :

(لا تقصدوا السحرة والمنجمين والعرافين والكاذبين والمتلفعين بالظلام).

إن هذا النص الواضح يؤكِّد أن السحر من عمل أبناء الظلام.

وفي نص آخر :

(احذروا أن يستحوذ على قلوبكم الشيطان المملوء بأحابيل السحر والخداع والغرابة و لا تتقنوا صنائعه السحرية).

إن الكشف عن ذلك الجانب من سلوكية الشيطان ومحاولاته للتأثير على طبائع الإنسان عبر مسالك غير مرئية ، فأن المنطق الديني ومن خلال التعاليم والوصايا يؤكِّد أن المرء يحمله قدر الله إلى يوم أن يُقبض عزيزًا كريمًا إلى حيث ما يشاء الحي العظيم وما شائبته إلا إلى الشيطان وذلك لأنه باطل في إرادته الشريرة ، فتراه قد تعسرت خُطاه إلى خالقه... إن غواية الشيطان للإنسان يمكن أن نفهمها بأنها سحر ، ولذلك فلا مناص من الاعتراف بوجود السحر كشكل من سلوكية الشيطان المرفوضة.

إن السحر الذي يمثِّل اللمسة الإلهية في تحديد قدرية الإنسان هو تلك النرجسية الإلهية التي تسعى إلى الارتقاء بذلك الكائن العاقل الذي لم يحمل في داخله تلك المسحة المباركة والقبس النوراني الوضاء... إن النفس والإرادة الإلهية هما خير ما يتجلى فيهما ذلك السحر الإلهي البهي بكل ما يحمله من شك ويقين وإيمان، فأغمض عينيك أخي القارئ لترى الهدم بنفسك لا بعينيك... ثم افتحهما لترى المعرفة والحياة والنور ، فهل وراء ذلك كله غير السحر الإلهي المقدس.

والتحذير من رقى الشيطان لا يقتصر على الرجال فقط، وإنما للنساء أيضًا كما جاء في تعاليم النبي يحيى -عليه السلام- :

(المرأة التي تتعاطى الدعارة والسرقة والتي تحترف السحر ، جميع هذه الأعمال المشينة لا يرضى عنها الله ولا يقبلها إنسان).

وقد حظر الدين المندائي كل شكل من أشكال السحر بما فيه عمل الرقي مهما كانت الاسباب لنيل حاجة أو دفع ضرر ، وفي كتابنا (كنزا ربا)،:
(لا تتعلموا رقى الشيطان ولا تشهدوا زوراً على إنسان).

إن التوكل على الحي العظيم والعمل بقلب صادق مؤمن، هو الذي يدفع عن الإنسان كل أذى وظلم وعدوان صادر عن قوى الشر.

وجاء في كتاب الصلاة المندائية :
(يا مطلق سراح الأسرى أنقذني من قارعي الأجراس ، ومن سكان المطهرات ، ومن آفات المياه ، ومن قدور الغليان ، ومن النار والبرد ، ومن مصائد الشيطان وأفكارهم الشريرة وجرائمهم).

من كل ما تقدم أعلاه نستنتج أن الدين المندائي دين موحِّد يحرِّم كل التحريم السحر والشعوذة ، ويحذِّر من مغبة مسايرة السحرة والمنجمين الكذابين... ويكفي أن نقول إن كلمة السحر مشتقة من (ساهرا) وهي أحد أسماء الشياطين وأبناء الظلام...

فيا إخواني بالدين والإيمان : لنضع ثقتنا الكبيرة بالحي العظيم، فهو الذي يرحم الأتقياء من محبي اسمه ، فالحياة للذين يفهمون وللرجال الذين يرشدوننا إلى طريق الخير.

والحي يزكي أعمال الخيرين.

- **الأستاذ / فاروق عبد الجبار عبد الإمام :**

كتب الأستاذ فاروق مقالاً مهمًا حول السحر والسحرة بنصوص (مواعظ وتعاليم) النبي يحيى - مبارك اسمه - ، وتناول في المقال جميع النصوص الدينية والتعاليم التي تحذِّر الصابئة المندائيين من أعمال السحر والسحرة والمعاصي التي نهى الله عنها، والعقوبات التي تنتظر المخطئين.

- السحر والسحرة بنصوص (مواعظ وتعاليم) النبي يحيى (ع)

- (ملعونٌ وموصومٌ بالعار كلُّ من لا يعرف ، وكلُّ من لا يعترف ، وكلُّ من لا يعلم أنَّ ربنا هو ملك النور العظيم ، ملك السموات والأرض ، الواحد الأحد)[1].

- (في أماسيه ، في الليالي ، يعظ يحيى وينادي : ماذا ستفعلون في هذا العالم المحيِّر المليء بالفحش والزنى والآمال الكاذبة)[2].

يتهمُنا بعضُ الذين فقدوا الحس الإنساني - بل أن الكثير من مقومات هذا الحس قد ذهبت أدراج الرياح في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها العالم اليوم - ؛ يتهمنا هؤلاء بأن الصابئة يمارسون السحر والخداع والشعوذة للإيقاع بالسُّذج من الناس ؛ وخاصة النساء ؛ ابتغاء أمورٍ كثيرة منها الربح المادي ومنها الربح الجسدي ، وكلا الأمرين يحتاجان إلى أن نبرِّئ أنفسنا منها وننبري للدفاع عن الحقيقة التي يحاول البعض طمسها وندرأ السُبّة والشُبهة التي يحاول البعضُ من ذوي النفوس المريضة الضعيفة أن يلصقها بنا لغرضٍ خبيثٍ ما ؛ علمًا أن الربح المادي يُمكن الحصول عليه ليس بممارسة السحر والشعوذة ، بل بالعمل الجاد ، والمثابرة على تحصيل الرزق بالطرق الشريفة ، ولا أعتقد - جازمًا - أن أي صابئي بحاجة إلى الغش أو الخِداع للحصول على المال بالطرق الملتوية ؛ فمعظم الصابئة - إن لم يكن كلُّهم - ذوو عقولٍ نيِّرةٍ متفتحة ، ولهم باعٌ طويلٌ

---

١ النص التاسع عشر

٢ النص الثاني والعشرون

في مختلف مناحي الحياة والعلم والمعرفة، فمنهم الأطباءُ والعلماءُ والمهندسون والأساتذة الجامعيون ذوو الاختصاص، وكذلك الحرفيون المهرة، والتشكيليون، والشعراء والأدباء... والقائمة تطول لو أردت التعداد لا الحصر، ولا أقول هذا تبجحًا أو غرورًا، ولا أُضيفُ شيئًا جديدًا في هذا الصدد.

أمَّا الربح الآخر؛ فليس هناك ما هو أبغضُ من ذكره، علاوة على أنَّ كتبنا الدينية كفيلةٌ بالردِّ على مثل هذه التراهات؛ فهي تنهى عن الموبقات، وعن هذا العمل المُنكر، وكذلك كلُّ الكتبِ السماوية تذكر وتحذِّر من القيام بالفاحشة؛ بدايةً من صحف آدم والكنزا ربا، وانتهاءً بالقرآن الكريم، مرورًا بالتوراة والإنجيل.

فيما يخص السحرُ والشعوذة وضرورة الابتعاد عن السحر والسحرة، فكتبُنا الدينية مليئةٌ، زاخرة بالمواعظ، مليئةٌ بالحِكم الداعيةِ إلى نبذ هذا العمل وعدم اللجوء إليه لأنه بغيض ولأنه الكفر بعينه، وديننا، دين الفطرة، ينهى عن الكفر والتجديف بالذات الربانيّة... وكي لا أطيل، فإني سأبدأ هنا بإيراد النصوص المذكورة في كتاب (مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا) عليهما السلام فقط، ولن أعلِّق عليها، فهي لا تحتاج إلى تعليق أو شرح.

- **(كلّ من يجري خلف السحرة والمنجمين الدجّالين يُعذَّبُ في مستودعي البرد والزمهرير)**[1].
- **(أبنائي ، احذروا مزاولة السِّحر ، ولا تختموا الأجساد لأن الدَجّالين والسحرة يُلقى بهم في مراجل تغلي ؛ ذلك هو جزاؤهم ، فلا تتخطوا الحدود)**[2].
- **(من اتبّع السحرة والمنجمِّين الدجّالين وآمن بهم يُعذَّب في أحواضٍ من الزمهرير)**[3].

وعن الزنى والزُناة، فإن تعاليم نبينا يحيى بن زكريا عليه السلام تحذِّر وتعد الذين يمارسونه بأفظع عذاب وأشد عقوبةٍ ليكون ذلك رادعًا لكلِّ من تسوّل له

---

١ النص الخامس والعشرون

٢ النص الرابع والأربعون

٣ النص الرابع والستون

نفسهُ الأمَّارة بالسوء القيام به؛ لتحفظ تلكم التعاليم الأُسرة مترابطةً، متراصةً، خاليةً من المشاكل العائلية المتفاقمة والمتفشية في هذا الزمان، الذي ازدادت فيه الأمراض الناتجة عن الجنس؛ ومنها الإيدز؛ وقانا الحي الأزلي وإياكم منه، وما تبع ذلك من مشاكلَ كثيرةٍ في معظم أصقاع المعمورة.

- (**إخواني ابعدوا أنفسكم عن شرك النساء ومكائدهن فجميع الحفر زائلة إلا الحُفر التي تحفرها النساء فإنها تظل فاغرة كما كانت منذ آلاف السنين**)[1].

- (**احذروا الكمائن التي تضعها النساء فإنها باقية**)[2].

- (**كلّ من زنى يذهب إلى بيت العار**)[3].

- (**من يزنِ يكن جزاؤه النار**)[4].

أفبعد هذا العرض -وهو غيض من فيض- نُتهم؟

إن ضعاف النفوس والضمائر يستغلون طيبة الصابئة وبأنهم نفرٌ قليلٌ، واختلاط النساء بهم -وخاصة الصاغة منهم-؛ ليروجّوا ما طاب لهم من الأقاويل، وتبتدع عقلوهم المريضة البِدع التي حرَّمها الله سبحانه وتعالى، لأن البِدع ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

وقبل أن أختتم أورد النص الخامس والعشرين:

(**لكم نوجِّه كلامنا، كونوا كالمختارين الصالحين الذين يشهدون للحياة، فلا تعملوا منكرًا، ولا تنحدروا حيثُ الظلام، ردِّدوا معي: يا إلهي لا تحرمنا من رحمتك**)[5].

حقًا لنردِّد جميعًا: إلهي لا تحرمنا من رحمتك لأنك أنت الرحمن الرحيم، وإليك نُنيب ضعف نفوسنا؛ لأنك أنت الغفار، وبك نستعين يا أرحم الراحمين.

---

١ النص الحادي والعشرون

٢ النص العشرون

٣ النص السابع عشر

٤ النص الرابع والستون

٥ من النص الخامس والعشرين

■ **الأستاذ / همَّام عبد الغني المراني :**

برز في التسعينات من القرن المنصرم قادة مندائيون كان لهم أثرٌ كبير في تطور الطائفة وإرساء الأسس المتينة لمؤسساتها الفعالة... كان واحد من هؤلاء الأفذاذ الأستاذ همام عبد الغني المراني، هذا المناضل الذي جاب سجون العهود السابقة، وبسبب أفكاره التقدمية لاقت عائلته شظف العيش وعاش ضنك الحياة، ولكن بشطارته ومهاراته تجاوز المحن لما يملكه من مواهب متعددة، فهو صحفي متمرس ، وشاعر مقتدر ، وإداري بارع ، وصائغ ماهر ، وسياسي محنك... فقد قاد مؤسسات الطائفة بنجاح ، حيث شغل منصب رئيس نادي التعارف في بغداد ، وسكرتير مجلس عموم الطائفة، الدورة الأولى... شخصية مؤثرة لها حضورها ولها وزنها.

في عام ١٩٩٧ هاجم الصحفي الأردني المتزمت في جريدة العرب ؛ الصابئة المندائيين ، وكال لهم اتهامات ظالمة ما أنزل بها الله من سلطان... فكلفت مجالس الطائفة الأستاذ همام ليرد عليه بمقاله قيمة ويفند كل افتراءاته... وهذه مقالة الأستاذ همام التي نشرت بنفس الجريدة للإطلاع عليها ، ومعرفة اقتدار وثقافة هذا الرجل وقدراته وسعة معلوماته... قبل أن يهاجر إلى أمريكا ويستقر مع عائلته هناك ، ركن إلى الراحة والهدوء ، وتفرغ إلى الاهتمام بعائلته ، ومحاولة تعويض ما فاته من سنين العمر المتعبة تيمناً بقول الجواهري:

أرحْ ركابكَ من أينٍ ومن عثْرِ كفاكَ جيلان محمولاً على خطرِ

ولكن "الذي فيه ما يخليه" كما يقول العراقيون، فتراه من الناشطين في مجالات كثيرة، أطال الله في عمره ومنحه الصحة والأمان.

كفاكَ موحش دربٍ رحتَ تقطعهُ كأنَّ مُغبره ليلٌ بلا سَمرِ

ويا أَخ الطير في وردٍ وفي صورَِ في كلِ يوم له عشٌ على شَجَرِ

▪ المندائيون يدافعون عن أنفسهم

اطلعتُ على المقال الموسوم "الصابئة المندائيون، خافوا أبا جعفر المنصور فغيّروا دينهم" للكاتب سامي الجيتاوي، الذي نشرته صحيفة "العرب اليوم" الغرَّاء، وقد حكم الكاتب في عنوان مقاله أن الصابئة المندائيين "غيرَّوا دينهم"، وبهذا فقد موضوعية الباحث العلمي، قبل أن يدخل في صلب الموضوع الذي تناوله... والحقيقة فنحن الصابئة المندائيون، نتحمل المسؤولية الأولى في عدم إطلاع وتعريف القارئ والمثقف العربي على تاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها وشعائرها الدينية وأدبها المندائي، وأسباب ذلك كثيرة، يقف في رأسها، كون كتابنا المقدس (الكنزا ربا) "الكنز العظيم" والكتب الدينية الأخرى (دراشة يهيا) "تعاليم يحيى"، وكتب التعميد الأخرى، كُتب جميعها باللغة المندائية، وهي إحدى اللهجات الآرامية القديمة، وتناقلتها الأجيال المندائية سماعًا وحفظًا واستنساخًا، وكان ذلك الاستنساخ يعتمد أساسًا على رجال الدين المندائيين الذين كان أغلبهمم – إن لم نقل كلهم – يفتقرون لأبسط إمكانات اللغة العربية، وكان أفضلهم من كان يجيد القراءة والكتابة الأولية العربية تحت ظل الحكم العثماني. كما أن الظروف المعاشية القاسية التي عاشتها الطائفة في السابق لم تتح لها فرصة أن تنظِّم حياتها الاجتماعية والثقافية وتنظر إلى تاريخها وآدابها ومعتقداتها الدينية؛ كما هو الحال اليوم... كل ذلك جعل موضوع ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) والكتب الدينية الأخرى إلى اللغة العربية وإطلاع المثقفين العرب عليها، في غاية الصعوبة.

وحتى المستشرقون الذين اهتموا بالديانة المندائية، أمثال ليدز بارسكي، والليدي دريوار، ونولدكه، وكورت رودولف، فإنهم نقلوا تلك الكتب إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية، فبقيت بعيدة عن متناول القارئ العربي إلى سنوات قليلة خلت، حيث بادر عدد من المثقفين والأساتذة المندائيين، أمثال نعيم بدوي وغضبان رومي ود. صبيح مدلول، لترجمة بعضها من اللغتين المذكورتين إلى

اللغة العربية... كما بادر عددٌ من مثقفي الطائفة إلى التأليف في هذا الميدان الصعب، أمثال الأستاذة الكبيرة ناجية المراني والأستاذ عزيز سباهي وعبد الفتاح الزهيري... كما بادر بعض رجال الدين الشباب أمثال الشيخ رافد الشيخ عبد الله لترجمة بعض الكتب الدينية... كما وضع الأستاذ نعيم بدوي والشيخ هيثم مهدي سعيد كتاب "مدخل في قواعد اللغة المندائية".

أعود لأقول إن هذا التحرك في مجال التأليف والترجمة جاء متأخرًا، ولهذا، وأكرِّر بأننا نحن المندائيون نتحمل المسؤولية الأولى في عدم تعريف المثقف والقارئ العربي بمعتقداتنا الدينية وآدابنا المندائية... بيد أنني حين أسوق هذه المقدمة عن مسؤولية أبناء الطائفة في ذلك، فلن أبرِّر الابتعاد عن الموضوعية ومجافاة الحقيقة، اللذين اتسم بهما مقال السيد سامي الجيتاوي، والذي سأتناوله أدناه.

قسَّم السيد جيتاوي مقاله إلى قسمين: الأول لغوي وتاريخي، والثاني في تفسير القرآن الكريم وتحت عنوان منفصل "الصابئون في القرآن الكريم"...
في القسم الأول ركَّز الكاتب على الفعل العربي "صبا" وأفرد له قرابة نصف المقال، والذي يعني الخروج من دين إلى دين جديد، وتحدث عن هذا الفعل كثيرًا، وجاء بأمثلة عما أطلقته قريش على النبي محمد "ص" والصحابة الكِرام من نعوت، واجتهد الكاتب قدر امكاناته اللغوية والتاريخية المتواضعة، في أن يلصق المعنى المهين للفعل "صبا" بالصابئة المندائيين، استنادًا لحروفه العربية فقط، وأثبت أنه لا يبحث عن الحقيقة بقدر ما كان يحاول الحطَّ من قيمة ومكانة هذه الطائفة ومعتقداتها، مخالفًا بذلك نصوص القرآن الكريم ذاته... وفي الوقت الذي خصَّص قرابة نصف الجزء الأول من مقاله للفعل "صبا" أهمل بشكل مقصود ومتعمد المعنى الصحيح للجذر المندائي "صبا" والذي يعني الارتماس في الماء الجاري والتعميد، إذ أشار إليه بصورة مقتضبة جدًا، في الوقت الذي يجب الاعتماد عليه لأنه تفسير أهل القضية أنفسهم - أي الصابئة المندائيين -

وهو جزء من لغتهم المندائية... ولو تعمق الكاتب في دراسة الموضوع قبل أن ينشر موضوعه المذكور لوجد أن "الليدي دريوار" عاشت مع المندائيين سنوات طويلة وتعلمت لغتهم وحضرت وشاهدت طقوسهم، وقرأت كتبهم الدينية بلغتها الأصلية المندائية، واستمعت لشروحات رجال الدين المندائيين لكل كلمة أو شعيرة دينية، وهكذا كان حريًّا به أن يعتمد تفسيرها للجذر المندائي (صبا)، إذ لم تحظ طروحات "دريوار" التي ترجمت العديد من الكتب الدينية المندائية، وألَّفت العديد من الكتب عنهم؛ لم تحظ هذه المستشرقة الكبيرة إلا ببضعة أسطر من السيد الجيتاوي وحشر اسم الصحفي الهندي الشهير كارانجيا، وكتابه: "خنجر إسرائيل" حشرًا خبيثًا في المقال لغمز قناة المندائيين... وفي هذا الموضوع نقول للسيد الجيتاوي إن المندائيين تعرضوا للاضطهاد والتقتيل على يد المؤسسة اليهودية في فلسطين آنذاك، فقد قُتل ٣٦٠ من رجال الدين المندائيين في مذبحة واحدة على يد تلك المؤسسة وسلطتها آنذاك، مما دفع المندائيين إلى هجرتهم الأولى من فلسطين إلى حران وانتشروا هناك، كما جاء في أحد كتبهم المندائية "حران كوثيا" أي حران السفلى، ولم تذكر لنا كتب التاريخ أنهم - أي المندائيين - تطلعوا لتأسيس دولة أو جماعة سياسية دينية، فمن أين (خشي "الجيتاوي" أن يكون ذلك تنفيذًا لما ذكره الصحفي الهندي)... الخ.

وبنفس الأسلوب الانتقائي والاستناد الخاطئ للفعل "صبا" العربي يأخذ الكاتب بعض مقتطفات من كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني ج٢ ص١٥٠ في سبب تسمية هذه الطائفة بالصابئة: (صبا الرجل إذا مال وزاغ...) ويهمل عن عمد مقتطفات كثيرة للشهرستاني، وفي نفس الجزء حيث يقول في ج٢ ص ٦٤-٦٦ تحت عنوان مذاهب أصحاب الروحانيات وهو يتحدث عن الصابئة المندائيين (مذهب هؤلاء: يقولون إن للعالم صانعًا فاطرًا، حكيمًا مقدسًّا من سمات الحدثان... والواجب علينا أن نطهر أنفسنا من دنس الشهوات، ونهذب أخلاقنا حتى تحصل المناسبة بيننا وبين الروحانيات "التوحيد").

ويتحدث عن صابئة حران، ويستند إلى الرواية المشوهة عن المنصور التي أخذ منها عنوان مقاله، والتي تُروى عن المأمون وليس جده المنصور، مما يزيد الشك في صحتها، فالخليفة المأمون، وهو أثقف خلفاء بني العباس، وصاحب دار الحكمة، هل يعقل أنه لا يعرف الصابئة الذين جاء ذكرهم في ثلاث آيات في القرآن الكريم؟؟ إننا كصابئة مندائيين نشك في أن المأمون قد وقع في مثل هذا الخطأ، وأن الرواية من أساسها مختلفة، خصوصًا وأنها منقولة عن مؤرخ كان يناصب الدين المندائي العداء، هو أيشع القطيعي، كما يقول ابن النديم في الفهرست.

ثم يناقض الكاتب نفسه فيأتي بمقتطفات تشير إلى توحيد الصابئة المندائيين فيشير إلى كتاب الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة "رسائل الكندي الفلسفية" (ومن الجائز أن يكون هؤلاء الصابئة أتباع ديانة قديمة قد اختلطت بالفلسفة، ولعل نحلتهم توحيد قديم يرجع إلى إبراهيم عليه السلام) ويواصل قوله: (أما الصابئة المندائيون أو المنديون، الذين تحدثت عنهم صحيفة العرب اليوم فهم الصابئة الحقيقيون)... إذا فأنت تعترف أيها الأخ أن هناك "صابئة حقيقيون" وهم الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، فلماذا هذا الخلط والتعتيم والتشويش؟ ولمصلحة من؟!... ويستمر الخلط والتشويه حتى يصل إلى أن حمدان الأشعت الملقب قرمط، كان صابئينا مندائيا! في حين لم تحدثنا كتب التاريخ أن الصابئة المندائيين كانت لهم دولة، ولم يسعوا لذلك منذ أن وجدوا على الأرض.

أما القسم الثاني من المقال والذي جاء تحت عنوان "الصابئون في القرآن الكريم" فقد نصَّب السيد الجيتاوي نفسه مفسِّرًا للقرآن وفقيهًا، وقد تكون للأخ الجيتاوي مثل هذه المقدرة، ولكن أسلوبه في الكتابة الصحفية العابرة لا يشير إلى كونه فقيهًا أو مفسرًا للقرآن، إذ إنني لم أجد بين المفسرين والفقهاء، وحتى كبارهم، من يسأل ويجيب بهذه العجالة والقطيعة، فهو بعد أن يذكر نصوص السور الثلاث التي جاء ذكر الصابئين في القرآن الكريم، وهي سورة البقرة

وسورة الحج وسورة المائدة، يسأل: "فهل ورود لفظ الصابئين فيها في هذه الآيات يدل على أن الصابئة ديانة توحيدية... إلخ ؟". ويجيب بصورة بعيدة عن التدقيق والتمحيص؛ إن لم نقل بعيدة عن الموضوعية والتواضع وصفاء النية؛: "قطعًا لا تفيد الآيات ذلك"!! وحكم بالنفي من الأسطر الأولى، كما حصل في القسم الأول إذ هاجمهم في عنوان المقال كما ذكرت... ويستطرد "فقد ذكرت آية سورة الحج المجوس والذين أشركوا بعد ذكر الصابئة والنصارى قبل المجوس، فهل المجوس والذين أشركوا أهل توحيد؟؟"... وأقول للسيد الكاتب إن الآية الكريمة ذكرت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾، فهل التشكيك يشمل الجميع في نظر الكاتب؟؟.

وفي سورة الحج قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]. ولم يقل "إن الجيتاوي يفصل بينهم"، فقليلاً من التواضع أمام الله يا أخي.

وأعود الآن إلى نقطتين أساسيتين في هذا الجزء من المقال:

الأولى: أن الكاتب أهمل ما جاء في السور الثلاث، والذي جاء نصًا في القرآن الكريم، وهو كلام الله عز وجل الذي لا يقبل التأويل، إذ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]... وهكذا اشترط الله عز وجل على الجميع بما فيهم من آمن واعتنق الإسلام دينًا، أن يكون مؤمنًا بالله واليوم الأخر، وأن يعمل صالحًا، ولم يشترط الدخول في الإسلام كما يقول الجيتاوي "وهذا الدخول في الإسلام عن اعتقاد صحيح وإيمان خالص بالمبدأ والمعاد واقتران ذلك بالعمل الصالح".

---

١ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

٢ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٦٢

يقول سماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري في مؤلفه الكبير "مواهب الرحمن في تفسير القرآن": (المراد بالذين آمنوا: من اتخذ الدين القيم كما قال تعالى ﴿دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[1]، وليس المراد به خصوص المسلمين الذين صدقوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، ويدل على التعميم ذيل الآية الشريفة، فيكون ذكر الأصناف الثلاثة، تخصيصًا بعد تعميم، وتوضيحًا بعد إهمال) [2]. ويضيف العلامة السبزواري: (وقد اختلف المفسرون والفقهاء في الصابئين، هل هم من أهل الكتاب أم لا، وعلى الثاني هل هم من المشركين أم لا؟ ويمكن أن يستظهر من ذكرهم في القرآن في سياق أهل الكتاب، أنهم منهم موضوعًا وحكمًا، ويستفاد من إجماع الفقهاء على صحة أخذ الجزية من الصابئة، فإن هذا الإجماع، يدل على أنهم من أهل الكتاب لعدم أخذ الجزية من غير أهل الكتاب) [3]. ويضيف السبزواري في نفس الصفحة: (وقيل إن كل يهودي ترك دينه وأراد أن يتنصَّر وكل نصراني ترك دينه وأراد أن يتهود سمي صابئيًا، وهذا الكلام مردود، فإن للصابئين دينهم وعقائدهم وعاداتهم المتميزة عن غيرهم).

وفيما يتعلق بقوله تعالى ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ يقول السبزواري: (وهذه الآية وما في سياقها ظاهرة في أمرين: أحدهما ما ذهب إليه أصحابنا ودلَّت عليه النصوص من أن العمل الصالح جزء الإيمان... ثانيهما: أن المناط كله في الإيمان الذي تترتب عليه الآثار الدنيوية والأخروية إنما هو الإيمان بالله واليوم الأخر والعمل الصالح، فإنَّ من كان ذلك لم يتعد حدود الله، ولم يتوانَ في طلب الحق ومرضاة الله ولا تأخذه لومة لائم أو نزعة باطل).

---

١ القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية ١٦١

٢ مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٦٨

٣ مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٦٩

وفي فصل تحت عنوان "بحث تاريخي عقائدي" يقول السبزواري : (الصابئة – كما في جملة من التواريخ – قوم يدينون بالإله الواحد ويتعصبون للروحانيات لتقربهم من الله)[1].

ويضيف السبزواري: (ويتركب دين الصابئة من أمرين: الأول، الإيمان بالله الواحد، صانع العالم، وهو رب الأرباب وإله الآلهة، مدبِّر، حكم، قادر، ومقدس عن جميع صفات مخلوقاته، يعجز الخلق عن الوصول إلى جلالته، وإنما يقترب إليه بالوسائط المقربين وهم الروحانيون المطهرون والمنزهون عن المادة والماديات، فهم مبرأون عن القوى الجسدانية والحركات المكانية والتغييرات الزمانية، قد جبلوا على التقديس والتسبيح... أما الأمر الثاني: الأعمال، فالصابئة كلهم يصومون ويصلون ثلاث صلوات، كما يصلون على طهر ووضوء خاص، وهم يغتسلون من الجنابة ومس الميت، ويحرِّمون أكل لحم الخنزير والكلاب والطيور ذوات المخالب والحمام، ونهوا عن السكر والشراب والاختتان، وأمروا بالتزويج بولي وشهود ونهوا عن تعدد الزوجات، ولا يبيحون الطلاق إلا بحكم حاكم)[2].

وإذا عدنا إلى الفقهاء الآخرين، فقد قال السدي عنهم: إنهم فرقة من أهل الكتاب... وقال ابن راهوية: لا بأس بذبائحهم لأنهم طائفة من أهل الكتاب... وأفتى الإمام أبو حنيفة النعمان، بأنه لا بأس بذبائحهم ونكاح نسائهم... وقد أجاز جميع الفقهاء أخذ الجزية منهم لأنهم أهل كتاب)[3].

ويقول الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل": (إن مذهب الصابئة يقوم على أساس أن للعالم صانعًا مقدسًا أزليًا، لا يمكن التوصل إلى جلاله وإدراك ماهيته وإنما يقترب إليه من خلال الروحانيين المقدسين جوهرًا وفعلاً وحالة).

---

١ مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٦٩

٢ المصدر السابق

٣ عزيز سباهي : أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم ، ص ٢٢٠

ويقول الدكتور رشدي عليان أستاذ الدين المقارن في كلية الآداب جامعة بغداد: (أما أصول الدين الصابئي فهي كما مدون في كتبهم الدينية تتلخص في أنهم يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات، ويؤمنون باليوم الأخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور أو عالم الظلام)[1].

أما موضوع إيمانهم بالله عز وجل واعتقادهم به فيقول د. عليان واستنادًا إلى المؤرخ العراقي المعروف عبد الرزاق الحسني: (يعتقد المندائيون ان الله واحد أزلي، أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وإنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكونها)[2].

وقال ابن النديم في الفهرست:

(حكاية من خط أحمد ابن الطيب في أمرهم، حكاها عن الكندي "فيلسوف العرب الكبير – الكاتب": اجتماع القوم على أن للعالم علة لم يزل، واحد لا يتكثر، ولا يلحقه صفة شيء من المعلولات، كلَّف أهل تمييز من خلقه الإقرار بربوبيته، وأوضح لهم السبيل، وبعث رُسلاً للدلالة وتثبيتًا للحجة، أمرهم أن يدعو إلى رضوانه، ويحذروا غضبه، ووعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول، وأوعدوا من عصى عذابًا واقتصاصًا بقدر استحقاقه. وقال الكندي: إنه نظر في كتاب يقرأ به هؤلاء القوم، وهو مقالات في التوحيد على غاية من التقانة، لا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها)[3].

وقد لجأ السيد الجيتاوي في بعض فقرات مقاله إلى كلمات "من الجائز... ولعل... الخ" ونحن نقول إن أبلغ وأقوى رد على هذا الطرح المشوش هو ما جاء به القرآن الكريم نفسه، حيث ميَّزهم في الآيات الثلاث عن الأديان الأخرى

---

١ كتاب : الأديان دراسة تاريخية مقارنة ، ص١٧٦

٢ المصدر السابق ، ص ١٨٣

٣ ناجية المراني : مفاهيم صابئية مندائية ، عن الفهرست لابن النديم ص ٤٤٢-٤٤٥

بعد أن عددها بالاسم : ﴿... الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا... ﴾[1]. حيث لم يلحقهم بأيٍّ منها.

كما ميَّزهم عن المشركين، وأنه سبحانه قد فرَّق بين الصابئة كأهل دين وبين أهل الأديان الأخرى، طبيعية كالمجوس والشرك ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ومنزلة كالمسلمين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ واليهود ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ والنصارى ﴿النَّصَارَى﴾)[2]. ويستنتج الدكتور عليان من ذلك، أن المقصود بالصابئين هم "المندائيون" وأنهم ليسوا مشركين للمغايرة نفسها وللعطف بالواو الذي يقتضيها في اللغة ويعم استنتاجه هذا باستقبال الرسول محمد (ص) لوفد المندائيين الذين عرضوا عليه دينهم وأخبروه بما في كتبهم، وإعطائه الأمان لهم، وإيصائه بهم خيرا "سنوا بهم سنة أهل الكتاب")[3].

وقبل أن أعود إلى الوثائق والمصادر المندائية، أقول للسيد الكاتب إن العراق، البلد الإسلامي العريق تدرَّس في مدارسه كتب التفسير، وأن تفسير كلمة الصابئين فيها "أصحاب ديانة قديمة موحدة يعيش أكثرهم في العراق" كما أن كتاب الدكتور رشدي عليان هو كتاب منهجي يدرَّس في الكليات العراقي.

والآن وبعد أن استشهدنا بمقتطفات عديدة من فقهاء ومفسرين ومؤرخين وباحثين مسلمين ومستشرقين، نعود إلى ما جاء في الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (الكنزا ربا) ونصوص من وضوئهم وصلاتهم، وإلى وصايا النبي يحيى عليه السلام، لنرى مدى توافقها وتطابقها مع ما جاء في القرآن الكريم ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ليطلع المثقف والقارئ العربي على حقيقة هذه الطائفة وديانتها ومعتقداتها، عسى أن يقتني بعض الإخوة ممن لم يطلعوا عليها بشكل جيد، أو ممن اطلعوا على الرأي المغاير فقط.

---

١ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

٢ المصدر السابق ، ص ١٧٩

٣ المصدر السابق ، ص ١٧٩

وقبل أن أرجع إلى المصادر المندائية المتوفرة في اللغة العربية، وهي قليلة جدًا مع الأسف الشديد، أقول مرة أخرى، إن المسؤولية الأساسية في عدم إطلاع المثقف والقارئ العربي على الدين المندائي، تقع على عاتق الطائفة ومثقفيها ورجال دينها، الذين حالوا، -وأعني رجال الدين المندائيين- ولعدة عقود دون ترجمة كتابنا المقدس والكتب الدينية الأخرى إلى اللغة العربية، إلا أن الطائفة الآن تعيش وضعًا جديدًا، حيث يترأسها رجل دين متفتح وعلى درجة مناسبة من الثقافة ويحمل روح الشباب ومواكبة العصر بالقياس لمن سبقوه من رجال الدين، وتنادى مثقفو وشباب الطائفة لإحياء تراثها الديني والأدبي، إذ تجري الآن ترجمة كتاب (الكنزا ربا) وكتب دينية أخرى، وصدر عدد من المؤلفات والترجمات لمثقفين مندائيين كالأستاذة الفاضلة ناجية المراني والأستاذ نعيم بدوي والأستاذ المرحوم غضبان رومي ود. صبيح مدلول والشيخ رافد الشيخ عبد الله والأستاذ عبد الفتاح الزهيري والأستاذ عزيز سباهي وآخرين غيرهم. كما أن عددًا من المسلمين تناولوا هذا الموضوع بموضوعية وبعيدًا عن التزمت والتحسس، كالدكتور رشدي عليان، ود. خزعل الماجدي ود. ماهود أحمد، وآخرين غيرهم.

أعود الآن إلى ما جاء في الكتب الدينية المندائية حيث جاء في افتتاحية (الكنزا ربا) الكنز العظيم ما يلي:

﴿ سبحانك ربي العظيم... أسبَحك ربي بقلبٍ طاهر، رب العوالم كلها، مسبح ومبارك ومعظم ذو الوقار والجلال، الله الرب العلي، سبحانه ملك النور السامي ذو الحول الشامل الذي لا حدود لقدرته، النور البهي والضياء الساطع الذي لا ينضب، الرءوف التواب، الغفور الرحيم، مخلِّص كل المؤمنين وناصر كل الطيبين، العزيز الحكيم، العليم البصير، العارف الذي على كل شيء قدير، رب عوالم النور جميعها، العُليا والوسطى والسُفلى، ذو السيماء العظيم الموقر، الذي لا يرى ولا يحد، لا شريك له بملكه ولا كفء له بسلطانه، من يتكل عليه لا يخذل، ومن يسبح اسمه بالحق لا

يخيب ، ومن يتوكل عليه لا يذل ، رب الملائكة جميعها ، لا وجود بدونه ، وما من شيء لولاه... أزلي ليس له بداية ، وأبدي ليس له نهاية ﴾[1].

فهل هناك أكثر تمجيدًا وإيمانا وتوحيدًا لله العلي القدير أكثر من هذا ؟؟... إذن فجانب الإيمان بالله الواحد، لا يمكن مناقشته من خلال هذا النص.

ومن كتاب "القلستا" وهي مجموعة التراتيل والصلوات المندائية. تقول تراتيل التعميد :

﴿ باسم الحي نهضت من الأردن[2] ، ولقيت جمعًا من الناس يحيطون بأبينا شيت قائلين له : يا أبانا شيت بحياتك هلا جئت معنا وعمدتنا في الأردن؟... حسنًا ، إن جئت لتعميدكم في الأردن ، فمن سيكون شاهدكم؟... هذه الشمس المشرقة ستكون علينا شاهدًا... فيجيبهم : ليست الشمس مطلبي ، ولا تهواها نفسي ، فالشمس التي عنها تتحدثون تغرب في السماء ، والشمس التي تتحدثون عنها باطلة زائلة ، والساجدون للشمس سينتهون إلى لا شيء ﴾)[3].

وتستمر الترتيلة، ويجري نفس الحوار والسؤال والجواب عن القمر وعن النار، فيفندها جميعًا حتى تصل إلى الإجابة التي يريد :

﴿ الأردن وضفتاه ستكون شهودنا ، لقمة الغذاء وجرعة الماء والإيمان الحق ستكون شهودنا ، الأحد الذي نصونه صادقين هو شاهدنا ، هذا البيت الذي يجمعنا للعبادة هو شاهدنا ، الصدقات التي نقدمها هي شهودنا ، أبونا ورئيسنا سيكون شاهدنا... فيجيبهم النبي شيت[4] : هذا هو مطلبي ، وهذا ما تصبو إليه نفسي ، وحينما تصعد أرواحنا إلى دار البقاء فستأتي هذه الشهود ، وتكون شهود حق... والله مزكى ﴾)[5].

---

١ من افتتاحية الكنز العظيم (الكنزا ربا)

٢ أعتقد أن المقصود هنا هو الماء الجاري حيث يسمى بالمندائي – يردنه – وليس نهر الأردن تحديدًا

٣ ناجية المرائي : مفاهيم صابئية مندائية

٤ (شيتل) بالمندائية

٥ المصدر السابق

أبعد هذا الإيمان المطلق بالواحد الأحد وباليوم الأخر، يُتهم أصحاب هذه الديانة بأنهم ليسوا موحدين؟!! إذ يسأل السيد الجيتاوي "فهل ورود لفظ "الصابئين" في هذه الآيات يدل على أن الصابئة ديانة توحيدية؟" ويجيب بعجالة طفولية: قطعًا لا تفيد الآيات ذلك"!!

أما بخصوص الإيمان باليوم الأخر، فإضافة لما ذكر أعلاه، فنحن الصابئة المندائيون، نؤمن بأن النفس البشرية هي نفحة من الله عز وجل، تحلُّ في الجسد الفاني، وأنها لا تموت مع الجسد في اليوم الموعود، بل ترجع إلى باريها، وتمر أثناء عروجها بالمطاهر والحساب والثواب، فإن كانت صالحة تدخل عالم الأنوار "آلمه دانهورا" وإلا فستبقى في المطاهر "المطراثي" حتى تؤدي ما عليها من حساب. : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1].

ونعود الآن للعمل الصالح وهو ما يكمِّل الإيمان بالله واليوم الأخر... كما يقول آية الله العظمى السبزواري (أن العمل الصالح جزء الإيمان)[2]، ونورد ما يوصي به الدين المندائي والنبي يحيى عليه السلام، ولنقارنه بما جاءت به الأديان السماوية الأخرى وخصوصًا الدين الإسلامي الحنيف.

جاء في افتتاحية (الكنزا ربا) الكنز العظيم:

﴿لا تخدعوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس البشرية﴾

﴿لا تأفكوا بأقوالكم، وإياكم والكذب، والتأويل﴾

﴿لا تحبوا الذهب والفضة، وثراء هذه الدنيا، ما دامت هذه الدنيا دار زوال﴾

﴿ولا تسجدوا للشيطان الرجيم، ولا تهبوه حبكم، إذ من يسجد للشيطان يكن مصيره النار﴾

---

١ القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيتان ٢٧-٢٨

٢ مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٧٠

﴿ احترم أباك وأمك وأخاك الأكبر ، ولا تحسدوا ولا تكونوا عبيدًا لشهواتكم ما دام ربكم هو الواهب ﴾

﴿ ابغوا وأحبوا اسم الله وكتابه وكلامه ، وهبوه تسبيحًا ، مولاكم ملك الأنوار ، العلي الذي انبعث من ذاته أمرنا المختارين ، وعلمنا المؤمنين ، هب صدقة للعاني ، وكن دليلاً للأعمى ، وإن وهبتم صدقة يا مختارون فلا تجاهروا ﴾

﴿ إن وهبتم بيمينكم فلا تخبروا شمالكم ، وإن وهبتم بشمالكم فلا تخبروا يمينكم ﴾

﴿ كل من وهب صدقة وتحدث عنها كافر ولا ثواب له ﴾

﴿ صوموا صومًا عظيمًا لا عن مأكل ومشرب هذه الدنيا ﴾

﴿ امسكوا أعينكم عن الغمز والرمز ولا تنظروا بسوء وتعملوه ﴾

﴿ امسكوا آذانكم عن التصنت لأبواب غيركم ﴾

﴿ امسكوا أفواهكم عن قول الكذب والزيف والتأويل ولا تحبوا الأباطيل ﴾

﴿ امسكوا ضمائركم عن ظنون السوء والبغض والتفرقة ، ولا تدعوها تحل أفئدتكم ، لأ ن الذي في قلبه بغض لا يعد مسلمًا ﴾

﴿ امسكوا أيديكم عن ارتكاب القتل وعن السرقة ﴾

﴿ امسكوا أجسادكم عن معاشرة أزواج الآخرين ﴾

﴿ امسكوا ركبكم عن السجود للشيطان ﴾

﴿ امسكوا أرجلكم عن السعي في السوء ﴾

﴿ ولا تشتروا الدنيا إذ هي دار فساد ﴾

﴿ ولا تهبوا أنفسكم لملوك وسلاطين ومردة هذه الدنيا ﴾

﴿ ولا للذهب والفضة ، ذلك يرميكم بالأذى ويجعلكم وقودًا للنار حامية ﴾

﴿ أمرناكم أن تسمعوا صوت الله في قيامكم وقعودكم وذهابكم ومجيئكم ، وفي ضجعتكم وراحتكم ، وفي جميع الأعمال التي تعملون ﴾)[1].

---

١ ناجية المراني : مفاهيم صابئية مندائية ، ص ١٨-٢١

أما تعاليم النبي يحى عليه السلام، فتقول:

﴿ أيها المختارون الصادقون المحبون للإيمان الحق ، اعملوا كعُمالٍ يعمرون الأرض ، ويرفعون بأجوائها النبات ، إن الله وهب المختارين الصادقين ، قوةً وثقةً ومعرفةً وفهمًا وحكمةً وتمييزًا وعلمًا وثباتًا وصلاةً وتسبيحًا ، وأجرًا صادقًا ، وملكًا طيبًا ، وآياتٍ مشرقةً ونورًا وإتقانًا وطهرًا وزكاةً وسلامًا ومغفرةً وتوبةً وفكرًا وتواضعًا طبقًا لدين الله الحي الرحيم الحق ﴾

ويوصي عليه السلام

﴿ رأس دينك ألا تدنس كلماتك بالكذب والأباطيل ﴾

﴿ رأس إيمانك أن تؤمن بالله وتتقوم بكل ما هو طاهر ﴾

﴿ رأس حكمتك أن تحاكم نفسك ﴾

﴿ رأس معرفتك ألا تقبل الخلط ﴾

﴿ رأس سيادتك ألا تجعل للسوء مكانًا في نفسك ﴾

﴿ رأس سيادتك وحكمتك ألا تهزأ ولا تضحك من المسلمين[1] ﴾

﴿ رأس فهمك أن تدرك كلمات ربك وتبسطها ﴾

﴿ رأس علمك أن تعلم بكلمات طيبة ولا تخن ﴾

﴿ رأس ثباتك ألا تخاف الكلمات التي تقولها أنت ﴾

﴿ رأس صلاتك وتسبيحك أن تحب مخلوقات الله ﴾

﴿ رأس صدقاتك وطيباتك أن تطعم الجائع ، وتسقي العطشان ﴾

﴿ رأس حلمك ألا تتكبر ولا تكن غضوبًا مريدًا ﴾

﴿ رأس تواضعك أن يحفظ فمك اسم الله ﴾

﴿ رأس قوانينك أن تقنن نفسك وتتقبل كلمات الحكمة ﴾

﴿ رأس تدريسك ألا تدرس من لا يصغى لك ﴾

---

١ كلمة مسلم لم تظهر مع الدعوة المحمدية ، وإنما كانت تطلق قبل ذلك على جميع المؤمنين الصادقين

obeikan.com

﴿ رأس غبطتك أن تحترم الناس ﴾

﴿ رأس طهرك أن لا ترمي نفسك بالأرجاس ﴾

﴿ رأس زكاتك أن تزكي نفسك من الحقد ﴾

﴿ رأس شفقتك أن تشفق على الأنفس العانية المضطهدة ﴾

﴿ رأس محبتك أن تحب إخوانك المحبين للرب والمقربين بالحق للديان ﴾)[1].

هذا ما يوصي به الدين المندائي، بل هو جوهر الدين المندائي، الإيمان بالله واليوم الأخر والعمل الصالح، فهل يختلف ذلك عما جاءت به الأديان السماوية الأخرى، وخصوصًا الدين الإسلامي الحنيف؟؟

في بداية مناقشتي للقسم الثاني من مقالة السيد الجيتاوي وهو ما يخص ما جاء في القرآن الكريم عن الصابئة، أشرتُ إلى نقطتين أساسيتين: الأولى: إهمال الكاتب لجوهر الآيات القرآنية السمحة، وهو ما يخص الإيمان بالله واليوم الأخر والعمل الصالح، وناقشت ذلك بالاستناد إلى المؤرخين والمفسرين والفقهاء، من جهة، وإلى نصوص واضحة من كتاب (الكنزا ربا) والكتب الدينية المندائية الأخرى ووصايا النبي يحى عليه السلام من جهة أخرى.
(وأعتذر للقارئ الكريم من كثرة الاقتباسات والاستعارات، لأنني أعلم أنها تضعف عطاء الكاتب واستنتاجاته، وعذري بذلك أن الموضوع لا يحتمل الاجتهاد والاستنتاج الشخصي والإنشاء كما فعل صاحبنا الجيتاوي، بل لابد من الاستناد إلى النصوص والمصادر الموثوقة، خصوصًا وأنني لستُ برجل دين).

أما الثانية: وهي نتيجة للنقطة الأولى، فإن الكاتب ناقش لفظة "الصابئين" في الآيات الثلاث من ناحية موقعها من الآية الكريمة وأطلق على ذلك :التسلسل الرتبي والترتيب الزمني" وهي مناقشة لم أعثر عليها في العديد من المصادر

---

١ المصدر السابق، ص ١٧٩

التي ذكرتها في مقالتي هذه. لهذا أوقع الجيتاوي نفسه في مطب لا يُحسد عليه، كما أوقع نفسه في أكثر من تناقض.

وأخيرًا نصيحتي للسيد جيتاوي، أن يقرأ القرآن الكريم قراءة معمقة، وأن يطلع على تفسير المفسرين الصادقين وما كتبه المؤرخون الموضوعيون المحايدون، لا أن يعتمد على بعض الآراء المتزمتة، وأن يتجنب الاسلوب الانتقائي المزاجي في اختيار بعض الاقتباسات، وأن يرقب وبإمعان في كل ما يقال إذا أراد أن يدلي بدلوه في هذا الميدان الواسع.

obeikan.com

- **الأستاذ/ مؤيد مكلف سوادي :**

شخصية مندائية معروفة ، وله عدة مقالات وبحوث حول الدين المندائي ، والأحداث التي مرَّت على أبناء الطائفة ، وأماكن تواجدهم عبر التاريخ ، وله اهتمام خاص بالأحساب والأنساب المندائية...

له مقال منشور بعنوان "الطائفة المندائية سرُّ البقاء" ، وقد تطرق فيه إلى أن الدين المندائي كان تبشيريًا ، وأصبح مغلقًا على المندائيين بسبب عمليات التنكيل والاضطهاد ، ولكن لم يقدِّم لنا الأستاذ مؤيد سندًا تاريخيًا أو دينيًا يدعم هذه الآراء... وقد أثبتنا رأينا بأن الدين الصابئي المندائي لم يكن تبشيريًا لعدة أسباب تمَّ ذكرها في الكتاب.

- الطائفة المندائية سرُّ البقاء

الطائفة المندائية من أقدم الطوائف الدينية الموحدة ، وخلال تاريخها الطويل تعرض أبناؤها لشتى أنواع الاضطهادات والمضايقات ، وانصبت عليهم أنواع المحن ، فتشتتوا وانحسروا عن أماكن عديدة كانوا يسكنونها ، واضطروا للهجرة مرارًا طلبًا للأمن والسلامة ، واستقر بهم المقام أخيرًا في بطائح جنوب العراق وعربستان.

كان المندائيون قد اتخذوا لهم لغة دينية هي اللغة المندائية المتفرعة عن الآرامية الشرقية ، مما ساعدهم على التكتم وتدوين كتبهم الدينية وتعاليمهم بها ، ونظرًا لحبهم للسلام والحرية فقد ابتعدوا عن الحروب والنزاعات السياسية وعاشوا على شكل مجموعات قُرب مصبات الأنهار وعلى شواطئها ، منصرفين لإقامة شعائرهم الدينية.

ولقد ظهرت بعد المندائية وعاصرتها أديانٌ عديدة ، منها ما اندثرت وزالت ، ومنها ما تزال حية تؤمن بها شعوب الأرض.

ولقد كان الدين المندائي تبشيريًا منذ ظهوره، ثم أصبح مغلقًا على المندائيين بسبب عمليات التنكيل والاضطهاد التي مورست ضدهم، فأصبحوا جراء ذلك أقلية صغيرة محصورة ضمن مناطق معينة.

ولقد تناول المؤرخون المعاصرون لهم من الطوائف الأخرى أمور دينهم بسطحية وبدون تعمق أو دراسة ميدانية شاملة، وبتشويه وتحامل في بعض الأحيان، ولكن السلطات الإسلامية، ومنذ البداية عاملتهم معاملة أهل الذمة، وبهذا عاشوا بأمن وحرية وسلام في ظل الدولة العربية الإسلامية طيلة قرون عديدة. ثم طالهم من الأذى ما طال العرب والمسلمين جميعًا على يد التتار عام ١٢٥٨م حين اجتاحوا بغداد ودمروها، فهاموا على وجوههم فارين منها بعد سقوطها، وتشتت الناجون في كل مكان، وظن الباحثون أن هذه الطائفة قد اندثرت وزالت، كما زالت أديان قبلها وطوائف، ثم تبين في العصور الحديثة، وبعد احتكاك الرحالة الغربيين بهم في البصرة وغيرها من مناطق جنوب العراق وإيران أنهم لا زالوا يعيشون ضمن مجموعات دينية عديدة، فكتبوا عنهم وشاع خبرهم لدى المهتمين بتواريخ الأديان، فزارهم عدد من المستشرقين في أوطانهم واحتكوا بهم وبرجال دينهم، واطلعوا على مدوناتهم، وقارنوا دينهم ببقية الأديان، فتيقنوا بأنهم طائفة دينية قديمة مستقلة بدينها وشؤونها وتقاليدها، ثم ألفوا عنهم بحوثًا عديدة، كما اهتم بهم في العصر الحديث كُتابٌ عرب، وكانوا منصفين في التحدث عنهم، ثم برز من أبناء الطائفة باحثون وكُتَّاب أوضحوا الكثير من الحقائق عنهم، ودحضوا الكثير من المزاعم المغرضة التي أُلصقت بهم، كما تطرقوا إلى أسباب بقائهم وصمودهم رغم عوادي الزمان، ومن هؤلاء الكتاب ابن الطائفة المرحوم غضبان رومي الذي أورد الأسباب التي رأى أنها قد ساعدت على بقائهم وديمومتهم فقال:

إن سبب بقاء المندائيين والدين المندائي يعود إلى أنهم قد عاشوا في هذه الأوطان منذ أقدم الأزمنة متمتعين بكامل حريتهم بين إخوتهم العرب، وكذلك بسبب صلة أدبياتهم وكتبهم الدينية ولغتهم وأبجديتهم باللغات السامية الحية،

وبسبب صلة القربى بين النبيين يحيى بن زكريا والسيد المسيح عليهما السلام وكذلك بسبب ورود اسمهم في القرآن الكريم ضمن المؤمنين الموحدين، ولأنهم مارسوا طيلة تلك الحقب حرفًا يدوية يحتاجها مجاوروهم ، وكذلك بسبب وحدانية دينهم وطيبة أخلاقهم، وملائمة البيئة والمناخ لطقوسهم وغذائهم.

هذا ما أورده الأستاذ غضبان رومي ، ولكننا ارتأينا التوسع بالموضوع ، والتحدث عنه بشمولية أكبر ، وإيراد أسباب أخرى لبقائهم منها : أن المندائيين هم من أبناء النور ، المناقض لعالم الظلام، بكل شروره وآثامه، فهم متمسكون بذكر الله، وبكل الفضائل، وأن ديانتهم راسخة.

▪ تعقيب:

ليس هناك أدلة قاطعة أن الدين المندائي كان دينًا تبشيريًا، وإلا ما هي الأسباب المنطقية لهذا الانغلاق الديني، ومتى حصل ذلك؟ وفي أي زمن؟ ومن أقرَّ هذا الانغلاق؟... أقصد أي نبي من الأنبياء، أو أي رجل دين له قدرة وصلاحية أن يتخذ مثل هذا القرار ، ولماذا استمر ساري المفعول لهذا الزمان ، وهل يعتقد البعض أن في الأمر شيئًا غامضًا؟.

ولهذا نضع جميع الاحتمالات أمام أعيننا ، فأمَّا أن الدين غير تبشيري من الأساس، لأن آدم الرجل الأول وأول أنبيائهم يبشِّر مَنْ وليس معه غير زوجته وأولاده وأحفاده، ومنه ومن ذريته ازداد الناس وتكاثروا ، وكما يذكر كتاب (الكنزا ربا)، أن آدم كان مندائيًا، وقد أنزل الحي العظيم عليه وعلى ابنه شيتل الوصايا والتعاليم والأسماء، وفق ما ورد في هذا الكتاب المقدس، صحف آدم الأولى، واستمر الحال إلى عصر "رام ورود"، وعصر "شورياي" و"شرهبيل"، وعصر سام بن نوح ونوهوريتا... وبعد كل نكبة يفنى بها البشر على سطح الأرض؛ تُعاد الدارة من جديد، ويزداد الناس.

أما التحليل الثاني، هو تعرضهم إلى نكبات، وحملات إبادة، وتضييق في ممارسة الشعائر الدينية فانكفأوا إلى الأهوار والمناطق النائية طلبًا للحماية، وقرروا الانغلاق على دينهم والحفاظ على عقيدتهم، ولكن بعد زوال الخطر وهجرتهم العكسية إلى الحواضر من المدن والقصبات، وحاليًا إلى البلدان المتقدمة والمجتمعات المنفتحة، كان من المفروض أن يعيدوا نشاطهم إلى التبشير بدينهم... ولكن أين السند الأساس المقنع في هذا الإدعاء.

كل بوث الكتاب المقدس (الكنزا ربا) لم تذكر فيها أن الدين الصابئي المندائي دين تبشيري، ويحث جميع الناس للدخول إليه، أو أن هناك تعليمات ووصايا ترشد هؤلاء إلى كيفية دخولهم الدين الجديد... ومن ناحية أخرى فإن تعاليم أخر الأنبياء يحيى بن زكريا في كتابة دراشة يهيا (تعاليم يحيى) لم يتطرق إلى التبشير بالدين الصابئي، وكما نعرف أن الكتاب زاخر بوصاياه المباركة...

فهل بعد ذلك من يستطيع أن يسيء إلى الصابئة المندائيين كما أساء الذين أجحفوا بحقهم ونسبوا لهم أشياءً وأمورً ما أنزل الله بها من سلطان؟

التاريخ لا يرحم، ومهما حاول المتطرفون طمسها، فالنور لا يُحجب بغربال، ولا بد من وجود فقهاء منصفين من أصحاب الضمائر الحية من قول الحقيقة، وما أكثرهم من الباحثين والفقهاء المتنورين في الزمن الحديث... ولا ننسى اندفاع الشباب المندائي إلى تعلم اللغة الآرامية المندائية، لغة الكتب الدينية المقدسة، واهتمامهم بنشر البحوث والدراسات والمقالات التي تسلط الضوء على العقيدة المندائية ووحدانيتها، والتوجه إلى ترجمة الكتب الدينية من اللغة المندائية إلى اللغات الحية في العالم ليطلع عليها المهتمون بأقدم الأديان على وجه البسيطة وغرس التوحيد الأول، وكذلك ترجمة كتب الباحثين الأجانب التي تتحدث عن الدين المندائي.

إن أسباب الإجحاف المتعمد والمقصود قد تكون سياسية، أو بسبب التطرف الطائفي، خاصة بعد احتلال العراق من قبل أمريكا في عام ٢٠٠٣، والذي كان

من نتائجه تدمير البنية التحتية والثقافية والاقتصادية والصناعية والزراعية والاجتماعية عبر تخطيط مبرمج، والأدهى من ذلك هو تركيزهم على تدمير الإنسان العراقي بزرع الفتنة الطائفية والدينية والقومية بين طوائف الشعب العراقي في أكبر جريمة نكراء راحت ضحيتها الأقليات المتآخية ومنهم المندائيون والمسيحيون والإيزيديون، والذين اضطر الآلاف من العراقيين إلى ترك العراق والهجرة قسرًا إلى دول المهجر، واليوم نجد أن الصابئة المندائيين أصحاب الأرض والتاريخ قد توزعوا في عشرات الدول، ولم يبقَ لهم في العراق إلا خمرة من أبنائهم الطيبين على أمل العودة إلى وطنهم الحبيب بعد أن تنتهي المحنة والتطرف الديني البغيض، ويعاد الأمن والسلام إلى ربوعه، ويعم العدل والإنصاف بين أبنائه، وأمل العراقيين بشبابه لبناء عراق حُر وديمقراطي يُبنى على المساواة والعيش بكرامة، وهو أمل الجميع وفي مقدمتهم الصابئة المندائيون.

▪ أسباب غموض تاريخ المندائيين

مما يثير الأسى والأسف في نفوسنا نحن المندائيين هو هذا الغموض الذي يلفُّ تاريخ أجدادنا بالرغم من قِدم ديننا وطائفتنا، لذلك نرى أنه من الصعب الإقرار بقبول أشياء ومعلومات عن طريق الحدس والتخمين... صحيح أن أجدادنا قد تركوا خلفهم آثارًا تدلُّ عليهم تتمثل بالكتب الدينية المقدسة أولاً، وبالأحراز والأواني الفخارية والمعدنية واللفائف وغيرها ثانيًا في المناطق التي انتشروا فيها في شمال العراق ووسطه وجنوبه في عصور سابقة، والتي يوجد بعضها الآن في المتحف العراقي، والبعض الآخر لا يزال مطمورًا ينتظر من ينقِّب عنه ويكشف أسراره... إلا أن هذا الذي تركوه لا يزودنا للأسف بمعلومات تاريخية مفصلة وافية تمس حياة المندائيين وأمورهم الحاسمة أو الأحداث التي مرَّت بهم، فما جاء في الكتب الدينية الرئيسية كان منصبًّا بأغلبه على القضايا الكبرى، مثل نشأة الكون، وتكوين الأرض، وخلق الإنسان، وإنزال الشرائع لهدايته، وتنظيم شؤون البشر، وتوضيح الطقوس والشعائر والمدلولات الدينية الواجب إتباعها،،، الخ... عدا ما ورد في بعض الدواوين التي نعتبرها مصادر تاريخية كديوان (حران كويثا) والذي لم ترد فيه معلومات واسعة تشفي الغليل. أما ما كتبه عنهم المؤرخون العرب فنجده في أغلبه خليطًا من الأحاديث المكرَّرة غير المستندة على وقائع حقيقة واضحة، كما أنها تتميز بالسطحية التي تخلو من التمحيص والتدقيق والموضوعية، فكان بعضهم ينقل عن بعض، وقد مال بعضهم للأسف إلى تصديق أقوال خصوم المندائيين والشائعات التي روجوها ضدهم واتخذوها كحقائق ثابتة مسلمٍّ بصحتها، ونسوا أن هذه الطعون كانت قد أُلصقت بهم من قبل أعدائهم إبان الصراعات الدينية العنيفة قبل الميلاد وبعده للتشكيك بهم وإضعاف حُجتهم، كحديث أبي يوسف أيشع القطيعي، وتيودور برخوني، وابن البهلول، وغيرهم.

أما المؤرخون والمستشرقون الغربيون فقد اختلفوا بشأن منشأ المندائيين، ولم يقدِّموا شيئا واضحًا عنهم، فقال بعضهم بأنهم غربيون هجروا موطنهم الأول في بلاد الشام واستوطنوا بلاد الرافدين بسبب ظروف قاهرة ومصائب جائرة انصبت عليهم قبل الميلاد وبعده بقليل، بينما قال آخرون بأنهم عراقيون أصلاء يمتد تاريخهم عميقًا في الزمن في هذه البلاد... وقد اختلف هؤلاء المؤرخون حتى في تسمية المندائيين.

هذا، ويجب أن نعرف بأنه ما من طائفة أو دين تعرض إلى الاضطهاد والأذى مثلما تعرضت له هذه الطائفة وهذا الدين، سواء حين كانوا في بلاد الشام أم في بلاد الرافدين، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد ضاعت أكثر مؤلفاتهم بسبب هجراتهم المستمرة التي اجبروا عليها لأنهم كثيرًا ما كانوا يعمدون إلى طمر كتبهم في المغاور وفي التربة أثناء حلول الخطر واضطرارهم للهرب، فأفسدتها الرطوبة والحشرات والبلى، وما مخطوطات (قمران) عنا ببعيدة حين وقعت بعد قرون من إخفائها بأيدي أناس تتعارض مصالحهم مع ما ورد فيها من حقائق تاريخية فعمدوا إلى إخفائها والتعتيم عليها...

وتجاه كل تلك الإضطهادات والمضايقات والتنكيل اضطر ما تبقى من المندائيين إلى الانكماش والانزواء في بطائح جنوب العراق، حيث وجدوا الملاذ الآمن وضرورات الحياة من ماء وغذاء.

نعود فنقول بأن تاريخ المندائيين يلفُّه الغموض، وكان ذلك لأسباب عديدة منها ما تسبب بها خصومهم حين عمدوا إلى طمس حقائق كثيرة تخصهم، ومنها ما تسبب به المندائيون أنفسهم بسبب عزوفهم عن تدوين ما مرَّ بهم من أحداث بدقة ووضوح، ولهم العذر في ذلك؛ فهم وبعد ما أصابهم من الإحباط لجأوا إلى الانزواء والعزلة، وانغلق دينهم عليهم بعد أن كان تبشيريًا، واتجهوا نحو القضايا الروحية العميقة ينهلون منها، في الوقت الذي كان فيه الوازع الديني هو المسيطر عليهم وهو الأساس في كل تصرفاتهم، ففلسفة دينهم تعتبر هذه

الدنيا وفترة حياة الفرد فيها ما هي إلا معبرٌ أو طريق إلى الحياة الروحية الخالدة في عالم الأنوار ، ومن هنا كانوا قليلي الاهتمام بحياتهم الدنيوية فمالوا إلى التقشف والبساطة والزهد والقناعة منصرفين للعبادة خاشعين لعظمة الخالق ساعين لفعل الأعمال الصالحة التي تشفع لهم يوم الحساب وتقرِّبهم من رضا الله ، ولم يفكروا يومًا بإقامة كيان سياسي خاص بهم ، بل أن تاريخهم يشهد بأنهم عاشوا دائمًا كأقلية دينية في ظلِّ حُكَّام عادلين أقوياء أمناء ، أو في ظل دول ومؤسسات بسطت عليهم حمايتها ورعايتها...

وما دام الأمر هكذا ، وما داموا لم يفكروا بتكوين دولة ؛ فما حاجتهم إذن لكتابة تاريخ ؟ فالمعروف أن التاريخ يتصل أول ما يتصل بالقضايا المادية الواقعية من تخطيط للحدود وإنشاء للحكومات وتكوين للجيوش وتنظيم للأمور الإدارية والمالية... الخ ، والمندائيون كما قلنا بعيدون عن التفكير بمثل هذه الأمور الدنيوية.

أما تجمعاتهم في الطيب وحران ودشت وميشان وميديا وغيرها من المناطق فلا تعدو أن تكون تجمعات دينية لم ترق لمستوى دول ، بل هي بالأحرى مناطق آمنة استوطنوها عندما كانوا كثرة غالبة ، فنظموا أنفسهم يقودهم رجال دينهم الذين كان هدفهم جمع كلمتهم وإرشادهم وتوجيههم ودرء الخطر عنهم والمحافظة على جوهر الدين.

إذن فان الذي جمع المندائيين ووحَّد مصيرهم منذ أقدم العصور هو هذا الشعور الديني القوي ، وهذا الرباط الروحي العميق ، إضافة لروابط القرابة والدم... فاسترشدوا بمبادئ دينهم وتخلقوا بصفاته السامية وأصبحوا بذلك موضع احترام كل من اختلط بهم وعاش بجوارهم.

▪ تعقيب:

وهذه حقيقة تاريخية، أن المندائيين لم يؤسسوا دولة أو إمارة بالمفهوم المتعارف عليه، وعاشوا حِقبًا من الزمن غير مستقرين، وطلبًا للأمان الذي يفتقدونه بسبب تحريم دينهم الشديد إلى استخدام السلاح وقتل الإنسان مهما تكن الأسباب، ولهذا التجأوا إلى المناطق النائية وعمق الأهوار ذات المياه البهية في العراق وإيران، حيث الرطوبة العالية وحرِّ الصيف اللاهب ، وعاشوا في أكواخ القصب والبردي، ولولا محافظة رجال الدين الذين نذروا أنفسهم للمحافظة على هذا الدين وأبنائه المؤمنين، وحفظ كتبهم المقدسة في حرز أمين... لضاع كل شيء.

إن ما يُعاب ويسجل على المؤرخين أن طائفة الصابئة المندائيين نابضة بالحياة، ولازالت موجودة تحكي قصة نشوء الأديان، ويومًا بعد يوم تكشف كتبهم الدينية المقدسة أصالة هذه الطائفة الدينية، وعمق إيمان أبنائها، وحقيقة التزامهم بما شرعه الحي الأزلي من شرائع منذ فجر التاريخ، وغيرها الكثير، من الممكن من المهتمين بهذا الإرث الديني والإنساني التواصل معهم والإطلاع على عقيدة هذا الدين؛ غرس التوحيد الأول، ومشاهدة ومتابعة طقوسهم وعاداتهم وطباعهم لتكون الصورة عنهم أوضح وأدق ، وتعكس رغبة للمعرفة والتواصل مع الجذور الإنسانية

▪ الصابئة ودورهم الحضاري

هناك فارقٌ كبير بين كتابة التاريخ وفق منهج سردي مجرَّد، وبين منهج تحليلي مدروس لبنية الذات الحضارية، ولكي نستوعب الحركة الفاعلة لهذا البناء الحي وقوة تأثيرها في بنية الحضارة، يتوجب على الباحث أن يدقِّق ويصل إلى مدركات حقيقية، ولا يتوقف في بحثه عند سطوح الحوادث.
وبعيدًا عن الإعجاب الانفعالي والتعصب، نجد أن للصابئة دورًا فاعلاً ومؤثرًا في هذه السيرورة لا يمكن إغفاله، لكونهم عربا خلصاء جزرين يرجع وجودهم إلى تاريخ موغل في القدم، ويتصل نسبهم بـــ(آرام) ابن سيدنا (نوح) عليه السلام، الذي لقَّنهم الناموس الأكبر (الكنزا ربا) الذي نجد فيه روح جميع الأديان السماوية وتعاليمها.

يقول عنهم الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" : " والصابئة كلهم يصلون ثلاث صلوات، ويغتسلون من الجنابة ومن مسِّ الميت، ويحرِّمون أكل الخنزير والكلب، وينهون عن السكر في الشراب، ولا يتزوجون إلا بولي وشهود"...

إلا أن الشهرستاني يقول في موضع أخر : "وفي اللغة صبا الرجل، إذا مال وزاغ، ولزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة" !... وهذا تخريج تنقصه الأمانة ويرفضه منطق التاريخ لأن التسلسل السُلالي يقول: "إن الصابئة يُنسبون إلى صابي بن متوشلح بن إدريس بن سيدنا نوح الذي كان على الحنفية الأولى" وهذا صحيح يؤيده أصل تسمية (الصابئة) لأننا نجد : "أن مدينة (مارب) وهي أشهر مدن اليمن كانت تعرف قديمًا باسم (سبا) نسبة إلى سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك هذه الأسرة السبئية... وبالتحقيق الدقيق نجد أن التسمية (صبا) و(صابئة) هما تصويت حديث للكلمة (سبا) و(سباي) القديمتين ونجد أن مدينة (مارب) هي الأخرى تصويت حديث لكلمة (ما-ربا) الآرامية التي يتحدث بها الصابئة، والتي تعني (الماء العظيم)... ونستنتج من ذلك بأن

الصابئة هم الذين بنوا (سد مارب) وأقاموا حضارة عظيمة في جنوب الوطن العربي منذ أزمان موغلة في القدم.

وإذا رجعنا إلى بعض الكلمات الصابئية التي ذكرتها الأستاذة ناجية مراني في كتابها، مثل كلمة (سبا) تعني (شبع) بالعربية و(مصباتا) تعني (صبغ، تعمد) وهذه الكلمات بالحقيقة اشتقت عن صفات السبايين الذين كانوا على جانب كبير من الشبع والغنى، والاهتمام بالموارد المائية من أجل التطهير والري، مثل ما كان الناس في العصر العباسي يصفون الكريم والسخي بـــ(فلان برمكي) نسبة إلى البرامكة. أما تسمية الصابئة بـــ(المندائيين) التي تقول عنها الليدي دراور: "بأن سواد الصابئة يسمون بالمندائيين، أي المعرفيين أو أصحاب العلم... وهذه التسمية أيضًا اُشتقت من صفة الصابئة المعروفين بالحكمة والذكاء، إلا أن هذه التسمية بالتأكيد قد جاءت من اتباعهم للنبي (مند) الذي لا يزال مكانه يعرف بـــ (تل النبي مند) قرب منطقة (قادش) التي تعرضت إلى غزو فرعوني في عهد (الحيثيين) عام ١٢٠٠ ق.م".

ونرجع إلى (المسعودي) وكتابه "مروج الذهب" الذي يقول فيه : "أن السمنية طائفة انتحلت البوذية وانتشرت في المناطق العربية مثل الشام والعراق، وأيضًا تسربت هذه النزعة إلى الصابئة"!. وهذا عكس ما تشير إليه الدلائل التاريخية، لأن المعروف أن اللغة الآرامية – وهي لغة الصابئة – قد انتشرت وفرضت وجودها بعد سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م. على يد الإمبراطور الفارسي قورش، واستمرت لغة للعلم والتجارة والأدب والعلاقات الدولية، حتى اضطر موظفو الدولة إلى تعلمها واستعمالها في المراسلات إلى جميع الولايات من مصر غربًا وحتى بلاد فارس والهند وبهذه الطريقة ومن خلال انسياح الاراميين (الصابئة) إلى بلاد فارس والهند، ونشاطهم التجاري والتبشيري تركوا آثارهم اللغوية والدينية على شعوب هذه البلدان، وليس كما توهم (المسعودي). كذلك نجد أن البابليين والاكديين كانوا يرون في الماء مصدرًا للحياة.

▪ تعقيب:

كلمة "مندائيون" تعني "المعرفيون الذين عرفوا الله بالعقل"، والمعرفة تسبق الإيمان... أما كلمة "صابئة" فهي وصف ورد في القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات، وعرب الجزيرة يقولون إنها كلمة عربية من الفعل صبأ، وتعني من ترك دينه واتخذ ديناً آخر.

أما المندائيون فإن كلمة صبأ كلمة آرامية وتعني من اصطبغ، أي تعمد بالماء الجاري، وطقس المُصْبَتا اشتقاق من الفعل صبا، ويستعمل العراقيون كلمة صبَّ بكثرة في حياتهم اليومية، مثال ذلك: صب الماء، صب الشاي، وغيرها. فمعنى الكلمة هي الأقرب إلى طقوس الصابئة وهم يجرون شعائرهم في الماء الجاري، ويصب رجل الدين الماء فوق رأس المصطبغ (المتعمد).

وفي كل الأحوال هيَّ صفة، فهؤلاء القوم الموحدين، والذي يعاشرهم ويطلع على كتبهم وطقوسهم وشعائرهم، يتأكد له بالدليل القاطع أنهم من أشد المتمسكين بوحدانية الله، فهم يسبحونه ويعظمونه ويمجدونه، لأنهم جذر التوحيد الأول، وأول الأديان المنزلة، وأن آدم رأس السلالة البشرية؛ أول أنبيائهم، وأن يحيى أخر أنبيائهم.

- الأستاذ/ حامد مغشغش السعدي:

شخصية معروفة بين أبناء طائفته المندائية، وهو أستاذ متمرس واسع الاطلاع، ويجيد اللغة العربية والإنكليزية إجادة تامة، وقام وبالتعاون مع أخيه الدكتور قيس مغشغش بترجمة كتاب (الكنزا ربا) من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية، ليفتح بذلك آفاقًا جديدة للإنسانية... وسبق أن كتب وترجم عدة مقالات وبحوث في شتى المجالات، ومن ضمنها نشر كتاب (محلة الصابئة المندائيين في سوق الشيوخ) إحدى أقضية محافظة ذي قار، تحدث فيه عن حياتهم وتقاليدهم وذكرياتهم في هذه المدينة العريقة... وكذلك عمل الأستاذ حامد في صفوف الطائفة وترأس مجلس الشؤون العام في بغداد في ١٩٩٦ – ١٩٩٧، ورئيس تحرير مجلة آفاق مندائية في عام ٢٠٠٠.

▪ الصابئة المندائيون والغرب

شهدت أوروبا في عصر النهضة ازدهارًا حضاريًا كبيرًا في العلوم والفنون والعمارة والتجارة، وتبعًا لذلك فقد ازدهر رأس المال الذي راح يبحث دومًا عن المزيد من الربح في العالم الثالث، العالم المجهول، الذي يتطلب استكشافه والوصول إليه روح المغامرة، وقد عرف التاريخ الكثير من المغامرين الذين ساعدتهم حكوماتهم وجهزتهم بالسفن والمال والسلاح.

لقد بدأ في تلك الحقبة نشاط متسارع لبناء سفن بغية نيل قصب السبق في احتلال العالم الآخر ونهب ثرواته من الذهب والفضة وتوابل الهند وحرير الصين، وقد كان البرتغاليون بقيادة (فاسكودي غاما) في مقدمة الدول، حيث أبحرت سفنها التي لم تعرف قوة البخار عهد ذاك بل كانت البوصلة والإسطرلاب الوسيلتين الوحيدتين لإرشاد السفن عبر البحار والمحيطات، ثم جاءت بعد البرتغال أسبانيا، هولندا، وبريطانيا.

كانت تلك الأساطيل تصطحب معها بعثات لغرض التبشير بأركان الديانة المسيحية وكسب المزيد من الناس ؛ أنَّى استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وقد لفت الصابئة المندائيون في العراق وإيران وبالأخص البصرة والحويزة تحديدًا أنظار البعثة التبشيرية البرتغالية الذين اعتقدوا أن هذه الطائفة هي فرقة هراطقة شذوا عن المسيحية وضلوا طريقهم وشاب طقوسهم الاضطراب والتداخل ، وأن بإمكانهم إعادة هذه الفرقة إلى الديانة الأم... ولعلَّ الذي جذب انتباه واهتمام المبشرين بهذه الطائفة هو أن الصابئة المندائيين يتعمدون بالماء كالمسيحيين ويبجلون يحيى (يوحنا المعمدان) وهو ابن خالة السيد المسيح (ع) الذي نال على يديه ، بأمر من الله تعالى المعمودية التي اكتمل بها ثالوثها المقدس مجسدًا بشكل حمامة ، كما أن الصابئة يضعون أثناء التعميد علما (الدرافشا) وهو ما يشبه الصليب ، وهم يقدسون يوم الأحد ويتخذونه يومًا لإجراء مراسيمهم.

هنا بدأ أول اتصال حقيقي لدول الغرب بالمندائيين ، الذين كانوا آنذاك بين المطرقة والسندان ، فقد كانوا يدفعون من جهة الإتاوات والجزية ، ويتعرضون إلى اضطهاد ولاة وحكام الباشا التركي (السلطان) ، كما أنهم كانوا يعانون من المعاملة السيئة الجائرة لولاة شاه إيران ، كما أن أحدهم حاول أن يساوم البرتغاليين وذلك بالسماح لهم بالاتصال بالصابئة المندائيين وتنصيرهم ، أو توطينهم في إحدى الجزر غير المأهولة لقاء مساعدة البرتغاليين له في احتلال البصرة ، وحين لم يحصل على تلك المساعدة بادر إلى اضطهاد المندائيين وقام بحرق معابدهم وكتبهم الدينية والتراثية مما دفع المندائيين إلى أن يهاجروا إلى دول مجاورة ، وقد حصل ذلك ما بين عامي ١٦٠٨ – ١٦١١ م.

يقول (إدموندو ليوبيري) مؤلف كتاب "المندائيون أخر المعرفيين" :
"إن الراهب الدومنيكي (ريكولدو بنيني) ربما يكون من أوائل المسيحيين الذين اتصلوا بالصابئة المندائيين في العراق علم ١٢٩٠م وكتب عنهم ما شاهده في

العراق آنذاك، ولكن أول اتصال حقيقي للبعثات التبشيرية ونشاطاتها من أجل كسب هذه الطائفة وإعادتها إلى المسيحية بدأ عام ١٥٥٥م:.

فقد استغل المبشرون حالة المندائيين التي وصفناها أعلاه ووعدوهم بتوفير الحماية لهم من أعوان الشاه وولاة السلطان التركي، وقدموا لهم المال لدفع الإتاوات والجزية وحاولوا إجراء التعميد المسيحي لبعض المندائيين كإجراء أولي لتغيير ديانتهم، إلا أن هؤلاء الصابئة سرعان ما كانوا يقصدون النهر ليتعمدوا وفق طقوسهم الدينية المندائية، الأمر الذي جعل المسيحيين يشككون في جدوى جهودهم في كسب أبناء هذه الطائفة.

ونقدِّم هنا ترجمة لبعض رسائل رؤساء البعثات التبشيرية إلى المراجع الدينية العليا في البرتغال، أسبانيا، إيطاليا، ذلك مطلع القرن السابع عشر...

يقول الإيطالي (جيرو لامو فيشتي) عن الصابئة: "إنهم لا يعرفون عن المسيح ومريم العذراء إلا الاسم، وهم يجهلون الثالوث المقدس والأسرار الدينية، ويقولون بأن هناك إلهًا واحدًا هو الخالق، ويغتسلون بالماء (ويقصد التعميد) حيث يأتون بالأطفال بعد أيام من ولادتهم ليعمدوهم في نهر، كما أنهم لا يعرفون الأناجيل، بل يقولون إن لهم كتابًا لنبي هو أقدم من كل الأنبياء على الأرض وهو شيت بن آدم أبو البشر، وأنهم يتبعون تعاليم هذا الكتاب".

وهذه رسالة متشائمة من نائب الأسقف (برنابس) تدل على خيبة التبشيريين وفشل جهودهم التي استمرت عدة عقود دون جدوى... يقول برنابس: "لا أنا ولا الأب إغناطيوس الموجود هنا منذ تسعة أعوام لمسنا رغبة لدى المندائيين في التعميد (ويقصد التعميد المسيحي)، وفي كل مرة يذهب البعض منهم إلى البرتغال ولكنهم حين يعودون لا نرى أيًّا منهم قد أصبح مسيحيًا، عدا جنديًا بائسًا واحدًا أمضى ستة عشر عامًا في مسقط. فأعتقد أن علينا أن نرتب ترحيل المندائيين إلى المناطق المسيحية فلربما يتحولون هم أو أولادهم هناك في عملية بطيئة إلى الديانة المسيحية".

ولعل أطرف تعليق صدر بهذا الخصوص هو من قائد إحدى سفنهم فقد قال : "بعد جهود كبيرة استمرت عدة عقود في محاولاتنا مع الصابئة المندائيين، لكننا عدنا بخفي حنين".

▪ تعقيب:

إن الشيء الذي يحيِّرني : لماذا لم تزداد أعداد الصابئة المندائيين زيادة كبيرة عبر كل هذا التاريخ؟... أيكفي أن يكون الانغلاق ورفض التبشير من جانب، والجزية والاضطهاد والكوارث الطبيعية والمجازر التي تعرضوا لها من جانب؛ سببًا في ذلك.

هناك أقوام كثيرة تعرضت لكوارث واضطهاد لفترة من الزمن، ولكنها عادت وتكاثرت وزاد عددها، ومثال ذلك اليهود وملل ونحل كثيرة...

أنا أقدِّر عدد الصابئة المندائيين في العالم بين ستين وسبعين ألف موزعين على أكثر من عشرين دولة في العالم، وأتصور أن المستقبل الزاهر في العلم والمعرفة لشباب الطائفة لِمَا يمتازون به من ذكاء ورغبة وطموح لنيل أرقى الشهادات العلمية، وكذلك الاستقرار والأمان، سيفتح الباب مجددًا لنمو هذه الطائفة واسترجاع مجدها التليد.

- الدكتور صباح خليل مال الله :

كتب د. صباح مقالاً عن كتاب الراحل الأستاذ عزيز سباهي، حول أصول الصابئة المندائيين، الفصل الثامن... ومما جاء في المقال:

الظروف التي مرَّ بها الصابئة بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية على الساسانيين سنة ٦٣٥م ودخول العراق في إطار الحكم الإسلامي وتعين على سكانه طبقا لأحكام الإسلام أن يعتنقوا الدين الإسلامي طوعًا أو كرهًا، إذا كانوا من غير أهل الكتاب، أما أهل الكتاب فقد فرض عليهم دفع الجزية، ومنهم الصابئة، وحين فتح المسلمون العراق، كان الصابئة كثيرين كما يشير ابن النديم، ولم يكونوا في ميسان وحدها، وإنما كانوا ينتشرون في بقاع عديدة في بلاد ما بين النهرين، فعدا ما يشير إليه كتاب (حران كويثا) من وجودهم في مناطق قد حددها، فإنهم تاريخيًا وُجدوا في حران وفي الرقة والخابور، وفي مواقع أخرى من أعالي الفرات.

والعثور على أواني فخارية دونت عليها نصوص مندائية في نفر وخويبر (على نهر الفرات شمال قضاء المسيب التابع لمحافظة بابل) وعند سفوح جبال (بشتاكوه) في الشرق، يدلل على وجودهم في وسط العراق أيضًا، عدا وجودهم في ميسان... إن هذا الانتشار الواسع لا يؤكد كثرتهم وحدها، وإنما يدل على حقيقة أخرى أيضًا؛ أنهم لم يكونوا جماعة صغيرة منغلقة على نفسها، كما غدَت من بعد أو كما كان شأن الجماعة الناصورائية الصغيرة التي هاجرت من فلسطين إلى بلاد ما وراء النهرين، إنهم كما يبدو مروا بمرحلة كانوا فيها منفتحين على الآخرين، ولا يرفضون ما ينتمي إليهم، إذا رضي أن يعتنق دينهم ويتقيد بطقوسهم على نحو ما فعل فاتك أبو ماني مثلاً.

حين دخل العراق القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان يمر بأوضاع اجتماعية بالغة التعقيد، وكانت التناقضات الفكرية في المجتمع العربي الإسلامي

قد بلغت من الحدة درجة دفعت إلى انفجار حركات وصراعات اجتماعية واسعة ومثيرة شملت أعدادًا غفيرة من الناس وامتدت إلى اقاليم شاسعة ، وأحدثت أصداءً مختلفة أبرزها ثورة بابك الخرمي ، وثورة الزنج ، وحركة القرامطة... لقد هزت هذه الحركات الثلاث المجتمع من أساسه ، ونشَّطت صراعًا فكريًا واسعًا ، لاسيما في العراق مركز الخلافة الإسلامية، وكانت ثورة الزنج والزط قد جرتا في ذات المنطقة التي سكنها صابئو البطائح، أي ميسان، لا بد أن تكون قد مسَّت حياتهم بلونٍ أو بآخر ، وبهذا يستنتج الكاتب بأن الصابئة آثروا الابتعاد عن مجرى الأحداث دفعًا للمخاطر التي قد تتهددهم ، وإيثارًا لنجاة، لا سيما أنهم كانوا مستهدفين بضغط متصل لحملهم على اعتناق الإسلام ، وأن ردة فعلهم كانت مزيدًا من الانغلاق على النفس والإيغال في تصليب القشرة الطقسية لمعتقداتهم.

obeikan.com

- **الدكتور/ يوسف حبي :**

عميد كلية بابل، وعضو المجمع العلمي العراقي، وحامل شهادات عدة... ألقى محاضرة بعنوان:

- الماء... النور... الحياة... في العقيدة المندائية

يوم الأحد ٢٠٠٠/٧/٢ وبدعوة من مركز البحوث والدراسات المندائية تفضل الأب الدكتور يوسف حبي بالحضور إلى قاعة المندي لإلقاء محاضرة بعنوان (الماء... النور... الحياة في العقيدة المندائية) وسط تظاهرة رائعة من المندائيين وإخواننا المسيحيين حيث امتلأت القاعة الرئيسية والكل متلهفون لسماع حديث هذا العالم الجليل عميد كلية بابل وعضو المجمع العلمي العراقي وحامل شهادات عدة تنمُّ عن اقتداره وقابلياته الفذة...

بدأ الدكتور بتحية حارة للطائفة المندائية شاكرًا حسن الاستقبال والضيافة وتمنى أن يسجل التاريخ هذا الحدث وأن تتم لقاءات وحوارات أخرى وتستمر... وأشاد بالمندائيين بقوله: إنهم طوال قرون عديدة وهم معروفون بفضل (المندا) أي المعرفة الدينية، وأنهم قد عرفوا كيف يصمدون بوجه كل التيارات ويحافظون على معتقدهم القديم الذي يرجع إلى أولى جذور الإيمان في الأرض وقال إن العلم يكشف أن جذور المعرفة وأصول الإيمان هو في العراق، ونجده في الديانة الأقدم (المندائية) وذلك باستجلاء العمق والغور في نصوصهم المقدسة لاستجلاء وجه الله بمناسبة يوبيل عام ٢٠٠٠ م لأن الإنسان يمثل وجه الله لأنه خلق على مثاله وشبهه...

ثم بدأ محاضرته وقال إن موضوع الماء كبير جدًا فـ(اليردنة) هي أقوى الرموز لأنها ماء الحياة وهي رمزية لها معانٍ كبيرة ومرتبطة مع النور والحياة ثم قرأ ثلاثة نصوص ذكرها العالم (كورت رودولف) في كتابه النشوء والخلق الذي ترجمه الدكتور صبيح مدلول عن الألمانية... النص الأول: حينما كانت

الثمرة داخل الثمرة... إلخ. النص الثاني: حينما كانت الثمرة لازالت داخل الثمرة، والأثير داخل الأثير تكون الماء ثم الحياة... الخ. النص الثالث: من قبل أن تكون العوالم كانت الثمرة العظيمة داخل الثمرة العظيمة... الخ.

ثم قال بأن الماء له ارتباط في عملية الخلق السومرية (انيوما اليليش) وهي موجودة أيضًا في العقيدة المندائية، وبتزاوج الماء العذب مع الماء المالح خلقت الحياة... ثم أورد كلمات مندائية مثل الطماشة والرشامة والتعميد، لأن الماء يعكس (النور) ويحافظ على الحياة، ولهذا فالمتعمد المندائي يلبس ملابس النور (الرستة).

ثم أشار إلى عملية خلق الحياة في التوراة وربطها بالنصوص العراقية القديمة كالبابلية التي جاءت بعد السومرية، والتي تشير إلى أن الإنسان خلق من مزج دم إله مع التراب، فالدم يرمز إلى النفس أو النسمة أو الحياة...

ثم قال: إن الشفافية موجودة في النصوص المندائية لأن الماء من العناصر الأساسية في تكوين الحياة، وقال بأن (النور) يوحي بالمعرفة والإشعاع التي تسمو بالإنسان إلى أقصى مدى، والمندائيون هم أبناء النور.

ثم التفت المحاضر إلى الحضور وقال بفخر واعتزاز: (أيها المندائيون يجب أن تكونوا جديرين بالحياة وأنتم جديرون بها فعلاً، لمحافظتكم على تراثكم ودينكم طيلة هذه العصور)... وختم حديثه قائلاً: (أنتم أبناء الماء والنور والحياة، فكونوا دائمًا هكذا يا مندائيين).

وقوبل بعاصفة من التصفيق عند اختتام محاضرته، ثم فتح باب الأسئلة فأجاب عنها بصدر رحب وقال: الحياة أسمى من المادة، وإنها هي الشعور العميق والخبرة العميقة الخالدة، وإنها لا تنتهي بانتهاء الحياة الأرضية، والشعور هذا موجود في كل الأديان وبنفس المصطلحات.

وأجاب عن سؤال يتعلق بالماء قائلاً: إن المسيحيين أيضًا يعمدون في الماء النقي وليس في الماء الآسن، أي في الماء الحي وليس الفاسد، وكما يفعل المندائيون تمامًا.

وقبل مغادرته أشاد بالنهضة الثقافية المندائية الحالية وتمنى لها المزيد... وودع بحفاوة بالغة من قبل الجميع.

رحم الله الدكتور الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

obeikan.com

▪ الصابئة: تجوال في معتقداتهم وعاداتهم الاجتماعية

الصابئة مجموعة دينية تعيش في جنوب العراق بشكل أساسي حول فروع نهر دجلة مثل الكحلاء والمشرح والبتيرة، وبعضهم يسكن على ضفتي نهر الكارون في إيران فهم ديانة مائية، بمعنى أن منتسبيها لا يعيشون إلا حول الماء بسبب ارتباطهم الطقسي به منذ نشأة هذا الدين.

يؤمن الصابئة المندائيون بالإله الواحد، وبأن آدم سيد البشر، ويرتلون أناشيدهم الدينية باللهجة المندائية التي هي فرع من اللغة السريانية القديمة وتسمى عندهم بـــ"الرطنة".

تقول الليدي دراور التي كتبت عدة دراسات عنهم أنهم يؤمنون بالله وباليوم الأخر، ويؤمنون بالحساب والثواب والعقاب، وأن الابرار منهم يذهبون إلى عالم النور، وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام. ولا يفرض عليهم الصوم بمعناه المعروف، إلا أنهم يمتنعون عن أكل اللحوم حوالي خمسة أسابيع متفرقة على طول السنة. وتشير دراور إلى أهمية معرفة الدين الصابئي لأن ذلك يتعلق بدراسة الأديان الأخرى، فدراسة هذا المعتقد توضح لنا ملتقى التوحيد القديم بالوثنية القديمة.

ويعتقد بعض المسلمين أن سبب تسميتهم بالصابئة أنهم "صبئوا" عن الدين الإسلامي، إلا أن ذلك ليس صحيحًا تاريخيًا فالصائبة يعتقدون أن سبب تسميتهم بـــ"الصبة" أنهم يصبون الماء عليهم أي يتعمدون به، وهم يسمون التعميد في لغتهم الخاصة "مصبنا"، كما أن ابن النديم يدعوهم بـــ"المغتسلة".

يقول غصبان الرومي ونعيم بدوي وهما من كبار مثقفي الصابئة، وقد قاما بترجمة كتاب الليدي دراور "الصابئة المندائيون" عن الإنجليزية، أن الليدي دراور درست الدين الصابئي مدة ربع قرن، وطبعت بحثها عنهم عام ١٩٣٧ وقامت بالتعاون مع "د. رودلف ماتسخ" بتأليف (قاموس اللغة المندائية) وهو

قاموس مندائي إنجليزي طبعته جامعة أوكسفورد عام ١٩٦٣، ويعتبر المرجع الوحيد في لغتهم حتى وقتنا هذا، رغم ظهور كتب أخرى في الديانة المندائية، والصائبة المندائيون غير صابئة حران الذين يعبدون النجوم، كما أن الصابئة دينيًا لا يعرِّفون أنفسهم بهذا الاسم، بل بأنهم مندائيون، والمندائي باللغة الآرامية تعني (العارف).

وترجح دراور أن اعتماد الصابئة على الماء الجاري في طهارتهم اليومية جعلت التسمية الشعبية لهم تؤخذ من فعل (صبا) الآرامي، ومعناه يرتمس أو يتعمد.

والعلاقة بين صابئة حران وبينهم ليست مجرد تسمية تجمع بين الجماعتين، إذ هرب الناصورائيون (الصابئة الموحدون) من اضطهاد اليهود لهم في القدس وبحثوا عن مأوى لهم في جبال ميديا حيث مدينة حران حوالي العام ٧٠م، ومن حران اتجهوا بعد ذلك بسنوات إلى منطقة الطيب (الطيب ماثة) الواقعة بين واسط وخوزستان في جنوب العراق، ومازالوا هناك.

ان استيطان الصابئة في "حران" وتعايشهم مع الوثنيين فيها جعل دينهم معروفًا هناك رغم عبادة الحرانيين للكواكب، وقد اشتهرت حران أيامها بتحررها من النفوذ المسيحي واليهودي وبقائها على وثنيتها، حيث هوجمت بعد ذلك مرارًا وضُربت هياكلها الوثنية عامي ٩٣٢م و ١٠٣٢م.

يعتقد الصابئة أن جدهم الأعلى ونبيهم بعد آدم ونوح هو "سام"، وهم ليسوا فرقة من النصارى رغم تعظيمهم للنبي يحيى واعتبارهم له نبيًا أنقذهم من ضلال اليهودية وقام بالمعمودية... وهم ليسوا مجوسًا لعدم تقديسهم للنار... لكن بعض شعائرهم تتشابه مع أديان المنطقة بفعل تواجدهم القديم فيها، فهم يعظِّمون الكواكب باعتبارها تحتوي على مخلوقات حية هي أرواح ثانوية تابعة في عرفهم لأمر ملك النور وتصاحب هذه الأرواح أرواح أخرى شريرة، وهم يوجهون أدعيتهم للأرواح الخيرة لتساعدهم وتناصرهم.

إن خلاصة الدين الصابئي المندائي هي عبادة قوانين الحياة والخصب القديمة، لكن الحديث عن هذا يظل مبهمًا ينطلق من تعظيمهم للماء الحي أو الجاري الذي يسمونه (يردنه) ومن هنا يكون أحد الطقوس الرئيسية عندهم هو الاغتسال بالماء الجاري... والقانون الثاني في ديانتهم يتمثل في تجسيد النور ملكًا. وفي الدستور الأخلاقي للصابئة كما هو عند الزرادشتيين ينبغي أن يصاحب صحة ونظافة البدن والطاعة القوانين الأخلاقية... الأمر الثالث الحيوي في هذه الديانة هو الاعتقاد بخلود الروح وصلتها الوثقى بأرواح أسلافها، فوجبات الطعام تؤكل نيابة عن روح الميت وتمنح أرواح الخيرين من الموتى العون الدائم للأحياء.

- الحياة الاجتماعية والمعتقدات :

يعتبر الصابئة الزواج فرضًا دينيًا، والعزوبة خطيئة، ويدهن الطفل عند ولادته بالزبد المالح ويغسل بالماء الفاتر والصابون، وتذهب المرأة الوالدة حديثًا إلى النهر حيث تغتسل ثلاث مرات مع دعاء محدد، وتوضع حلقة السكين الدينية (سكين دولة) في خنصرها الأيمن ويوقد مصباح إلى جانب فراشها مدة ثلاثة أيام، ثم تعاود المرأة الاغتسال الثلاثي في النهر في الأيام الثالث والسابع والعاشر والخامس عشر والعشرين بعد الولادة، وتبقى في الأيام السبعة الأولى بعد ولادتها في شبه دائرة من الحصى، وتجرى لها ولولدها عدة عمادات بعد هذا.

حين يعمد الطفل يبحث عن رجل له اسم مشابه لاسمه الديني ويجري تعميده في الماء الجاري في طقوس دينية مطولة، ويعتقد الصابئة أن المقتدرة "ليليث" هي المسئولة عن سلامة الطفل قبل الولادة وبعدها، ولليليث تعرف في معجم الأساطير أنها إلهة سومرية للخصب عند سكان وادي الرافدين القدامى.

لا يجوز للكاهن الصابئي شرب حليب البقر أو الجاموس إلا بعد مرور ثلاثين يومًا من ولادة البقرة الأم، ويلقن الطفل ألا يأكل لحمًا لم يُذبح حسب الأصول الدينية، وهم يعتبرون أن أكل الطير المفترس حرام، وكذلك الغراب الأسود،

وكذلك أكل الجيف، ويحرم عندهم أكل لحوم الجمل والحصان والخنزير والكلب والفأر والأرنب والقط، ويعتبر الصابئة المتدينون أن ذبح الجاموس أو البقر جريمة كبرى، ولكن ليست هناك أهمية دينية للبقرة، ويسمح عندهم بتناول أنواع من الأسماك، لكن الأفضل لدى المتدينين عدم أكل اللحوم والأسماك، بل أن عملية الذبح تقوم على أساس اعتذاري مشوب بالندم، كما أن الكتاب الديني الأساسي (كنزا ربا) يعتبر جميع أنواع القتل وسفك الدماء خطيئة، عدا الحشرات الضارة.

يمتنع الصابئة عن أكل الدجاج والبيض خلال وجبات الطعام الدينية التي تتم في الأعياد وحفلات الزواج والميلاد اكل بالإضافة إلى امتناعهم عن إهداء بيضة لجار أو لراغب فيها من خارج البيت بعد غروب الشمس، ذلك أنهم يعتقدون أن موتًا وشيكًا سيحل بالبيت الذي وهب البيضة!.

وتتم عملية ذبح الطيور والأغنام لديهم من قبل الكاهن أو شخص موثوق دينيًا (حلالي) وفق طقوس وأدعية خاصة تجرى عند الماء الجاري (النهر) ، ومحرم على الصابئة ذبح النعاج، وعندما يكتمل الذبح وتُنقل الذبائح إلى البيوت بعد غسلها يعود الكاهن إلى النهر ليقرأ دعاء مغفرة الذبح.

ويعمد الصابئة القدور وأواني الطبخ في أوقات معينة وخاصة في أيام (البنجة) وهي أيام مقدسة خمسة لديهم.

- الماء الميت والحي :

يعتقد الصابئة أن الماء المقتطف من النهر يعد ماءً ميتًا لا طهارة فيه لذا رفض الكثير من الصابئة انشاء مركز عبادة جديد لهم في بغداد (مندى) يجري فيه التعميد في حوض مكشوف ماؤه مجلوب بالأنابيب، لكن بعضهم استجاب لذلك بعد أن حصل على فتوى دينية من بعض الكهنة، ومع ذلك فإن الكهنة يقولون إن الماء المأخوذ من النهر الحي الجاري في إناء طاهر يعتبر ماءً حيًّا وطاهرًا ويجوز استخدامه للعماد.

- باب وعتبة الدار لدى الصابئة :

عادة ذبح كبش كفداء عند بناء بيت جديد، ويدفن رأس الكبش في عتبة الدار حماية لها من الأرواح الشريرة، وعتبة الدار لديهم شيء مهم تقوم الطلاسم على حراسته، ويدس الودع أو الفخار الأزرق فوق الباب، كما تعلق أو تنقش في الباب أو عليه حية رمزًا للحياة، أو دمية من الخرق فيها أزرار زرق، وتعلق فوق الباب قرون البقر، وعند وفاة أحدهم في الدار تدفن عند العتبة أواني أو قطع معدنية لمنع الشياطين من دخول الدار مرة أخرى.

- سر النقش بالمينا :

يشتغل الكثير من الصابئة بتجارة الذهب وصياغته في بغداد والمدن الكبرى الأخرى، وقد انتشر كثير منهم في مدن العراق الجنوبية ليعملوا في صياغة الفضة وتطعيم الأشكال المصاغة فيها بمادة المينا، ويعتبر النقش بالمينا سرًّا فنيًا خاصًا يتوارثه الصانع الصابئي عن أبيه ولا يعرف تفاصيله غيرهم، حيث ينقش الرسم المطلوب على سوار الفضة أو الخلخال أو صفيحة فضية أخرى كالصحن وسواه ثم تملأ النقوش بالمينا، وتدخل المادة المصاغة عندئذٍ وفق توقيتات خاصة في النار للتثبيت، وتأخذ الزخارف المنقوشة أشكال الأزهار أو رسوم الآثار، أو غير ذلك.

- طقوس الزواج :

تتطلب طقوس عقد القران جهدًا استثنائيًا من العروسين ومن رجل الدين (الكنزفره) الذي يقوم بالعقد ومن مساعده، إذ أن أول الأمور أن تكون ملابس الكاهنين (الرستة والطبرشيل) نظيفة مطهرة تمامًا، وأن تغسل الأطعمة التي ستقدم خلال عقد القران بالماء الجاري، ويتفقد الكاهن ملابس العريس البيضاء ويتأكد من ترتيبها على الوجه الصحيح قبل إجراءات العقد، ويرسل الكاهن (الكنزفره) مساعده إلى العروس ليسألها رسميًا أمام الشهود إذا كانت راغبة بالزواج من ذلك الرجل، فإذا وافقت وضع في خنصريها خاتمين حجرهما

أحمر وأخضر، ثم يصبُّ الماء على يديها ويقدم لها الزبيب واللوز لتأكل ثم تلتحق بعريسها الواقف عند ضفة النهر، وبعد إجراءات كثيرة وأدعية يكون فيها والد العروس أو من يمثله بديلاً لها؛ يؤذن بلقاء العروسين، ويبدأ أداء أغنية (يا طالي دزيوا) أي يا أشعة النور، مع تصفيق خاص، ثم تتقدم العروس إلى غرفة العُرس المبنية على ضفة النهر على شكل عرزال حيث يكسر مساعد الكاهن قنينة فخارية عند العتبة قبل دخولها، وفي غرفة العرس تجلس العروس على الأرض وظهرها إلى ظهر العريس ويقترب الكاهن منهما وهو يتلو أدعية خاصة ويدق رأسيهما برفق الواحد بالآخر ثلاث مرات بين غناء الآخرين، ثم يمر الكاهن بصولجانه على رأس العريس ثلاث مرات ويخرج لتنتهي مراسيم الزواج الدينية.

ولا يمكن للعريس أن يقرب عروسه إلا في ساعة فلكية ملائمة يحددها كشف الطالع الذي يقوم به الكاهن الاكبر، وبانتهاء الاحتفال يمنع تماس الآخرين بالزوجين حتى يخرجا من البيت إلى العماد في النهر مصطحبين معهما كل أدوات الزواج لتطهيرها في الماء الجاري حيث يقام حفل أخر ليغدو الاقتراب من العروسين مسموحًا دينيًا.

- الصابئة والكواكب الأخرى:

يأتي تكوين العالم من قِبل الكائن الأعلى في كتاب (كنزا ربا) بعدة أشكال، ويسمى الكائن الأعلى بأسماء متعددة منها "ملك النور" و"رب العظمة" و"الحي العظيم". وهو عندهم خالق عالم الأنوار، وأول ما خلقه هو الماء ومن الماء النور، ومن النور الضياء، ومن الضياء الأرواح (أثري) ووظيفتها السيطرة على الظواهر الطبيعية.

ويتحكم أحد الكواكب في كل يوم من الأيام، كما يتحكم ملائكة معينون بالأيام وتكون لهم صفات فلكية، فقرص الشمس (شامس) له بحارة من سبعة أرواح (أثري) نورانيين، ويقول كتاب (ديوان أباثر) إن الأرواح (الأثري) هي زهير

وزهرون وبهير وبهرون وسار وسروان وتار وتروان ورابيا وطاليان، وبذلك يكون عددهم عشرًا ، وفي هذا الكتاب يظهر المطهر وذمة زورق القمر والأثريون الجوالون بين الكواكب والنجوم مثل رواد الفضاء.

الدين الصابئي المندائي دين قديم اختلطت فيه التأثيرات البارسية والبابلية القديمة بتأثيرات الأديان الموحدة، وقد ظلت كتب الصابئة الدينية بعيدة عن الترجمة حتى قام نفرٌ من شبابهم وشيوخهم بعد أن لمسوا حماس المستشرقين وعلماء الأديان لذلك، فترجموا تلك الكتب عن المندائية والإنجليزية والألمانية والفرنسية، وبذلك اتضحت أسرار هذه الديانة التي كانت غامضة حتى عليهم ومنهم الصابئة قبل غيرهم دلائلها ونصوصها التي كانت قاصرة على الكهان دون غيرهم، ومازالت البحوث حول المعتقد المندائي تتابع للكشف عن أسراره وعلاقته بالأديان الأخرى.

- الناصروثا علوم الفلسفه المندائية

تعرف "الناصِروثا" بأنها : علوم التبحر في الدين والفلسفة الروحانية، عميقة الجذور إلهية حق، علوم الحقيقة الكامنة والمعرفة اللامتناهية وكلمات الحق والصدق الأسمى. جُلبت من كنز عوالم النور الأزلية وأعطيت للنفس التي دخلت الجسد المادي عند إتمام خلقه؛ لتكون لهُ السلاح النوراني الذي به سوف تقاوم الشر والظلام القابع في العالم ألفاني (آلما اد تيبل) العالم الارضي؛ علوم أزلية موجودة بوجود سيد العظمة (الحي العظيم، هيي قدماي) متسربلة بأشعتها وأضويتها الذاتية في سكينة تامة؛ لم يحين الموعد بعد لتخرج من سكينتها، لأن الآدميين لم يخلقوا بعد لاحتوائها. وعندما حان موعد خلق الآدميين نادوا على (الناصِروثا)، فارتفع النداءُ (بالدعاء والتسبيح) عاليًا ليصل الكون الذي هو فوق جميع كل الأكوان وإلى العالم الذي هو فوق جميع كل العوالم لِيصل إلى كنوز النور، وبأمر سيد كنوز عوالم النور (هيي قدمايي، الحي العظيم)، انطلقت (الناصِروثا) وتمددت ملئ الأكوان والعوالم عابرة الزمان والمكان لاحتضان

النفس (النشماثا) وبالتالي احتوائها جسد الطين الفاني... من هنا بدأت رحلة (علوم الناصِروثا) إلى العالم المادي، وستبقى مع الآدميين لحين خروج أخر نشماثا طاهر من هذا العالم، حين ذاك يأذن (الرب الله العظيم) لها بالعودة إلى بيت أبيها الذي جُلبت منه.

الناصِروثا طريق سهل وطيب لعودة النفس الطاهرة (نشماثا)الى عوالم النور السامية.

ومن وصايا الرب للمؤمنين : (**سلِّحوا نفوسكم بسلاحٍ أمضى من الحديد ، سلاح الناصوراثا وكلمات ربكم الصادقة**).

بهذا العلم والتبحر بفلسفته اللاهوتية يكون الناصورائي المؤمن ؛ قد وصل إلى أعلى درجات التصوف "الزهد في الدُنيا" ، ونكرانها ونكران مغرياتها وملذاتها الوقتية المزية، لأن فلسفته الروحانيه قد فتحت أبواب عقله وفكره، وحرَّرته من كل سيطرة وعبودية ممكن أن تلحق به من هذا العالم، بعد أن استطاع تحقيق توازنه المختل، بين طبيعته الانسانية المادية بما فيها من قوى سالبة المتمثلة بـــ"الغرائز والشهوات والحواس" ، وبين طبيعته السماوية النورانية المتمثلة بعناصرها الإيجابية كـــ"الحب والعطاء والإيمان" ، واستطاع أن يرسم طريق حياته المثالية التي يحياها في هذا العالم. وطريق حياته هذا سوف يؤدي به إلى الوعي وتفتح طاقاته الباطنية وإمكانياته الإنسانية ، كالعمل والنظام والصبر وبرؤية واضحة تفهم كافة الأمور الحياتية...

ولنا في قول الحي العظيم طريق ينير بصيرتنا :

(باسم الحي العظيم
أحببتُ العدل منذُ أحببتك
وأحببتُ الحقَّ منذُ حببتك
منذُ يوم عرفتك ، عرفتُ أن الدنيا باطلة
وأن جميع نِعمها زائلة

صرتَ أحبّ إلي من أبي وأمي
أحبّ إلي من أخواتي وإخوتي
ومن أبنائي و زوجتي
لم تعُد تهُمني الأموالُ ولا القصور
لم تعُد تهُمني الثيابُ ولا العطور
لا الجاهُ ولا السلطان
إني وجدتُ نفسي.....فمالي وللأكوان)[1]

(باسم الحي العظيم
يا سيدي المالك العالي للنور
الذي عيناه مفتوحتان ، تبحثان عن العدالة
والذي يضع العدالة لهؤلاء الذين يحبونه
وينفذ العدالة على هؤلاء الذين اضطهدونا
وعلى المضطهدين الذين يلاحقوننا
وعلى الشريرين وعلى الغاضبين.
الذين يحتالون لعمل الشر علينا.
إذا كنا نرضيك يا مالك النور العالي
انظر إلى هذه النفس التي تؤمن بك
ومن أجل اسمك حضروا على الأرض واضطهدوا.
أرنا الهواء الطاهر
كي ننسى اضطهادنا الدنيوي
حتى ننسى اضطهاد الأرض
وإغاظة الشريرين والكذابين
قوِ بصيرتنا وصوتنا ويقظتنا وتسبيحنا
لأننا بهذه الوسيلة نستطيع أن نصلك أيها الحي العظيم
من البداية إلى النهاية)[2]

---

١ كنزا ربا اليمين - من نص حب المؤمن للحي

٢ من النص ١٨ من كتاب التعميد

obeikan.com

تعتبر بشرية السلالة الاولى لنبي آدم - مبارك اسمه - من أولى السلالات الناصورائية، ونواة الديانة المندائية من بذرة حكماء أنقياء اجتمعت فيهم كل عناصر علوم الناصِروثا؛ مما جعلهم يمتازون بالمقدرة الروحانية الفائقة في البصيرة والتعمق الروحي والتبحر في الدين إضافةً للمقدرة الجسمانية والصحية كُشِفت لديهم الكثير من أسرار النفس والذات، وأسرار علوم السماء والأرض؛ وممارستهم لهذه العلوم السامية في حياتهم الروحية والعملية فتحت لهم أبواب اتصال روحانية بين عالمهم المادي والعالم الفوق المادي (النوراني) ما جعلهم على ثقة وإحساس تامين بمعانقتهم للحياة الابدية الخالدة[1].

ويطلق اسم (الناصورايي) على الروحانيين (رجال الدين) الذين يراعون تطبيق الأحكام والأوامر الدينية قبل غيرهم، والمؤمنون الحقيقيون (النقاة) ؛ فالناصورايي هم الأشخاص الذين يفهمون (الناصيروثا) التي هي فلسفة الديانة المندائية، (كان النبي يحيى (ع) ناصورائيًا وكذلك والداه، والسيد المسيح أيضًا ذو معجزات تعالج بصورة رئيسية شفاء أبدان الناس وأرواحهم).

وكلمة (ناصورائي) من الجذر السامي (ن ص ر) ويعني (راقب، حدس، صان) وفي الأكدية نجد معناها نفسه في طقوس الكهنة الأكديين، وفي البابلية (nasaru) بمعنى (مراقبو السماء أو حافظو الأسرار) وفي العربية (نصر، ونظر) وفي العبرية نصر (نطر) فالصيغة المندائية تعود إلى الصيغة الآرامية القديمة العهد، لذالك لا يمكن أبدًا إرجاع كلمة ناصورائي المندائية إلى المصطلح السرياني (ناصُرايَ، ناصري) أي مسيحي (نصراني)، ومن ناحية أخرى اعتبر الباحث ألماني (ماتسوخ) بحق أن لفظة (ناصورائي، ناصورايا) هي الدليل القاطع على قِدَم الناصورائية المندائية وأصلها.

تتمتع الفلسفة المندائية بخاصية عظيمة تجعلها ثابتة وكريمة، ومحافظة على نقاء جوهرها لا تخضع لأحكام الزمان والمكان، ما ان يصيبها اضطهاد، أو

---

١ كتاب "النبي يحيى بن زكريا نبي الصابئة" : إعداد وترجمة الأستاذ الدكتور صبيح مدلول السهيري

أذى دنيوي المتمثل بقوى الشر ، والظلام على مر الدهور والعصور حتى يظن البعض انها قد تزول ، تنبعث مجددًا من بين الفوضى والاضطراب ، كاشفة عن أشعتها النورانية ، وأسرارها العظيمة بكل قوة وفخر ، مبشرة أحبابها بالأمل والاطمئنان والإنقاذ الأبدي من الخراب الدنيوي ؛ لأنها متجذرة ، والجذرُ لا يموت أبدًا.

(مبارك أنت { الناصروثا } الذي منك تعلم المختارون)[1]

من مواعظ النبي يهيا يوهانا (يحيى بن زكريا) عليه السلام للناصورائيين الصادقين والمؤمنين...

" إذا أصبحت ناصورائيًا ، فكلّ فضيلةٍ من فضائلكَ سلاحٌ
يعينُ باهري الصدق أنك تعينهم بالإيمان والاستقامةِ
والمعرفة والحكمة ، والتعليمِ ، والرجاءِ ، والصلاة
والتسبيحِ ، والصدقةِ ، والطيبةِ ، والتواضعِ ، والإتقانِ
والرأفةِ ، والحنانِ ، والتبصر ، ومحبةِ الحق)[2]

---

١ مقطع من دعاء النبي سام بن نوح (ع)

٢ كنزا ربا اليمين ـ الكتاب التاسع

obeikan.com

▪ الإجحاف الفقهي و القانوني بحق الأطفال

في العراق تعيش عدة طوائف تنتمي إلى عدة أديان متآخية مع إخوتهم المسلمين عبر تاريخ مشترك، وهذه الأديان الموحِّدة مثل الصابئين واليهود والمسيحيين سبقوا الدين الإسلامي بقرون... ولكن في الآونة الأخيرة تمَّ تشريع قانون البطاقة الوطنية من قِبل البرلمان العراقي، وخصوصًا المادة ٢٦ منها، مما أثار حفيظة الأقليات الدينية في العراق، إذ جاء في هذه المادة: (يتبع الأولاد القاصرين في الدين من اعتنق الدين الإسلامي من الأبوين)... بمعنى إذا خرج أحد الأبوين من دينه وأعلن إسلامه؛ فإن الأولاد يتبعون الأب أو الأم التي أسلمت، دون اعتراض، وهذا الأمر تعتبره الطوائف غير المسلمة التي تعيش في العراق إجحافًا بحقوقهم، وتهديدًا خطيرًا لمستقبل التعايش السلمي بين الطوائف المتآخية، وفتح باب لا ينغلق للمتعصبين الذين يحاولون بشتى السبل أسلمة المجتمع العراقي وتهديد الطوائف الدينية المسالمة... وعبَّرت الطوائف عن امتعاضها وقلقها البالغ على مستقبل أبنائها، وترى أن الأبناء يجب أن يبقوا على دينهم إلى أن يبلغوا سن الرشد، ولهم الحق في اختيار الدين الذي يقتنعون ويؤمنون به بدون إكراه، مراعاةٍ لحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين الأديان، وتطبيقًا للآية القرآنية الكريمة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١].

ويذكر بعض فقهاء المسلمين في تفسير الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٢]، أن الابن يتبع أباه المسلم أو أُمه المسلمة...

ويعتقد بعض الفقهاء المسلمين أن الطفل يولد على الإسلام، ولكن أبواه يجعلانه على دينهما.

---

١ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٢٥٦

٢ القرآن الكريم: سورة الطور، الآية ٢١

إن التشريع الذي أقره البرلمان العراقي فيما يخص قانون البطاقة المدنية الموحدة وخصوصًا المادة ٢٦ من هذا القانون يتعارض مع الدستور العراقي الحالي، ولو نقرأ المادة ٤٩ من الدستور والتي تنص على أن: (لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة) وهذه المادة تتفق مع القانون الدولي في اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩، فقد جاء في البند الأول من المادة ١٤: (تحترم الدول الأطراف في الاتفاقية حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين)، وكذلك ورد في البندين الأول والثاني من المادة ١٢: (تكفل الدول الأعضاء للطفل القادر على تكوين آراءه الخاصة حق التعبير عن ذلك بحرية في جميع المسائل التي تمس الطفل).

كذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي نصت المادة ١٨ منه على (لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم بمفرده أو مع جماعة وإمام الملأ أو على حدة).

إذن القانون الدولي يؤكِّد أن لا إكراه في الدين، ومن حق الطفل عندما يبلغ ويكون راشدًا أن يختار دينه؛ ودون أي إكراه، وأن الله سبحانه وتعالى وهب الإنسان العقل والسمع والبصر، قادر على التمييز بين الحق والباطل حتى يستطيع اختيار الطريق الصحيح.

إن كثيرًا من الإخوة المسلمين المثقفين والتقدميين ينادون بأن الإنسان حُرٌّ في اختيار دينه وعقيدته، ومن حق الطفل أن يختار دينه عندما يبلغ سن الرشد... ولكن هناك إرث إسلامي ثقيل يتمسك به عدد من الفقهاء ورجال الدين لا يستطيعون تجاوزه.

وبشكل عام فإن جميع الأقليات الدينية ترفض رفضًا قاطعًا هذا القرار، وتعده مجحفًا بحقوقهم وحريتهم، ومخالفة صارخة لحقوق الإنسان.

وقد انتقد الكثير من العراقيين ومواطني الدول العربية ودول العالم قانون البطاقة الوطنية الذي أقرَّه مجلس النواب العراقي، فيما يخص المادة ٢٦ بتبعية الأطفال لأحد الأبوين الذي أعلن إسلامه.

ولو نأخذ مثلاً على الإجحاف الذي سيلحق بالأطفال... إذا امرأة صابئية أو مسيحية أو يهودية قد زنت وارتبطت بمسلم وتزوجته، فإن أطفالها يصبحون مسلمين، ولا يحق لأبيهم الرفض... وهنا نتساءل: هل يقبل أي شرع يؤمن بالله الحي القيوم أن تزني المرأة وهي على ذمة رجل أو أن يتم إغواؤها لتطلق زوجها، والزواج من رجل آخر، وتغير دينها، ونتيجة هذا العمل الآثم... ضم أبناء الزوج المسكين من صلبه ولحمه إلى الزاني... هل شرائع الله تسري على فئة وتتغافل عن فئة أخرى؟، وهل يقبل أي شرع يؤمن بالله واليوم الأخر أن يُغْصَب الرجل من الأقليات الدينية بأن يصبح مسلمًا، ويُضُم أبناؤه إلى الدين الجديد بالقوة والإكراه، كما حدث للأسرى العراقيين من الأقليات الدينية الذين أسروا في إيران أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وكذلك حالات الخطف وإجبار المخطوفين على اعتناق الدين الإسلامي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ، والنكبة التي حلَّت بالصابئة والمسيحيين والإيزيديين بعد احتلال الموصل ومناطق أخرى من العراق بيد المتطرفين الإسلاميين... ثم ماذا عن حقوق الوالدين، وعن الإرث، وصلة الرحم، وغيرها من الأمور التي تدخل المجتمع العراقي في دوامة ومتاهات لم يحسب المشرع العراقي لها ألف حساب.

صحيح أن العراقيين عانوا من المستمسكات الأربعة والتي تتضمن دفتر النفوس (هوية الأحوال الشخصية)، وشهادة الجنسية، وبطاقة السكن، والبطاقة التموينية. وتمَّ اختصار هذه الوثائق ببطاقة وطنية موحدة، ولكن تثبيت فقرة الدين ومن منطلق أن الولد يتبع أيًّا من والديه إذا أسلم، يرى الإخوة الإسلاميون ضرورة هذه التبعية، وأهمية الإشارة إليها في البطاقة الوطنية، وهذه المادة القانونية

الجديدة ولَّدت حالة من الرفض من قبل الأقليات الدينية، التي ترى ذلك إجحافاً وظلماً وتعديًا على حقوقها ، وقدمت التبريرات المنطقية والقانونية والفقهية لرفض ذلك، وقد أبدى ممثلو الأقليات في البرلمان العراقي احتجاجهم على هذا القرار المجحف واعتبروه خرقاً للدستور العراقي وللقوانين الدولية المتعلقة بحقوق الطفل والإنسان، والتي وافق العراق عليها وانضم إلى معاهداتها.

إن القرار يعكس مسألة حساسة، وهي أن العراق ليس بلداً ديمقراطيًا، ويتجه إلى التزمت الديني ، وتشريع القوانين بدون المرور بالإجراءات اللازمة في تشريعها، والتي تتضمن مطابقتها مع مواد الدستور والقوانين الدولية، والأهم من ذلك تأثيرها على السلم الأهلي، واحترام مكونات المجتمع العراقي... وكل هذه الإجراءات لم تُطبَّق حين شرعوا المادة ٢٦.

إن سماحة الإسلام، وروح التآخي لجميع المكونات والطوائف والأديان في العراق ، واحترام المواطنة واحترام حقوق الإنسان... تلزم جميع السياسيين والمشرعين على انتهاج سياسة معتدلة في سنِّ القوانين ، طبقًا لما ورد في الدستور والقوانين الدولية ، لا كما يريد المتشددون بالعودة بنا للوراء مئات القرون مستندين إلى أحاديث بعض الفقهاء، والتي تجاوزتها البشرية ونحن في القرن الواحد والعشرين، حيث أقرت حقوق الإنسان ورفاهيته وحريته وضمان مستقبله.

إن ما يفعله المتشددون من سَنِّ قوانين مجحفة، وما يقوم به الإرهابيون كانت نتيجته تهجير ملايين العراقيين إلى دول المهجر.

إن احترام حقوق الإنسان في العهد الجديد ، ومعالجة أسباب الهجرة القسرية لملايين العراقيين ، وسنِّ قوانين معتدلة لا تميِّز بين أبناء الشعب الواحد هو الطريق الوحيد لإنقاذ العراق من محنته، وضمان مستقبله.

▪ إجحاف الأمريكان بحق الطوائف الدينية

بلاد ما بين النهرين، أو أرض الرافدين، وتُسمى قديمًا "أرض شنعار... مهدُ الحضارات، حيث تعاقبت عليها أقوامٌ عديدة؛ لوفرة مائها واعتدال مناخها وخصوبة أرضها... نشأت عليها الحضارة السومرية والأكدية والبابلية والأشورية والعباسية... ومن هذه الأرض المعطاء، أرض الخير والخصب والنماء؛ تعددت الأديان والأثنيات والقوميات، إخوة متحابون عبر التاريخ، فهناك المسلمون، والصابئة المندائيون، واليهود، والمسيحيون على اختلاف مِللهم ونِحلهم، وهناك الشبك، والإيزيديون، والكاكائيون، والعلويون، والمجوس. وهناك العرب، والكُرد، والتركمان، وغيرهم... كلهم أبناء وطن واحد عبر التاريخ عاشوا حلوَ الحياة ومُرَّها، حياة مشتركة، حتى بعد أن هدم هولاكو المغولي عاصمة الحضارة العباسية، بغداد، وأثناء مرحلة الاحتلال العثماني الطويل... كلهم مواطنون عراقيون... إلى أن تأسست الدولة العراقية عام ١٩٢١م، تحت الانتداب البريطاني، وشُكلت أول حكومة ملكية دستورية... كان الجميع متساوين بالحقوق والواجبات... ونستطيع أن نقول إن شعب العراق أصبح متساوي مثل أسنان المشط، ما عدا بعض الهفوات هنا وهناك... أما بالنسبة للأقليات والقوميات المتآخية في زمن حُكم البعث، بدأت تطفو على السطح الطائفية، ولكنها نار تحت الرماد، وخاصة بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية، ولكن قوة الجيش والأمن، وقسوة السلطة كانت الأمور مسيطرًا عليها نوعًا ما، حتى بعد خروج القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١م، وسقوط المحافظات الجنوبية بيد الثائرين على الحُكم.

بعد حصار جائر امتدَّ لأكثر من عقد من الزمان، واحتلال القوات الأمريكية الغازية للعراق عام ٢٠٠٣، وسقوط الدولة ومؤسساتها، بحلِّ الجيش العراقي، وقوات الأمن، وأعمال النهب والسلب، والقتل الممنهج من قِبل المحتلين والمتعاونين، راح ضحيته آلاف العراقيين من الكفاءات وجميع الاختصاصات،

وانتهاك الحُرمات وسلب الحريات ، وتعمد الأمريكان ومن لفَّ لفهم إثارة النعرات الطائفية بشتى الطُرق والأساليب ، وتشجيع العراقيين على الانضمام إلى التكتلات المذهبية والطائفية ، والانفصال في كيانات على أساس عرقي أو مذهبي ، لتقسيم العراق ، وإدخال العراقيين في أتون حرب داخلية ، وشجعت المنظمات الإرهابية على الدخول إلى العراق واحتلال أرضه وتهجير شعبه.

كانت الطوائف الدينية في العراق هي أضعف الحلقات المتصارعة في البلاد ، التي أصبحت نهبًا مشاعًا للقتلة والمجرمين ، والمتطرفين المتشددين ، وبدلاً من تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة التي وعدت أمريكا وحلفاؤها الشعب العراقي المسكين كما هو الحال في الدول المتقدمة ؛ تعمَّد المحتل زرع الفتنة والفُرقة ، وتأسيس الميلشيات المسلحة ، والتي قامت بأقذر الأدوار من أعمال القتل والنهب والسلب والانتقام والتصفية الجسدية لكل معارض لنهجهم. فأصبح الصابئة المندائيون ، وغيرهم من الأقليات الدينية ، غير آمنين على حياتهم ومالهم وعرضهم ، فاضطر قسمٌ كبيرٌ منهم إلى الهجرة مضحين بحلالهم ومالهم ، وتاركين أرض الوطن ، والأقرباء والأصدقاء ، والأحبة من الأحياء والأموات ، وأسباب الرزق والمستقبل... وحملوا ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه ، ناجين بأرواحهم ، إلى دول الجوار... ومن هناك تفرقت العوائل والأهل والأحباب إلى دول العالم في هجرة قسرية مؤلمة ، ذهب ضحيتها آلافٌ من العراقيين ، منهم من غرق في البحار ، أو تمَّ نهشهم على أيدي المهربين المجرمين ، وقطَّاع الطرق ، وسارقي الأعضاء البشرية.

هكذا هي أمريكا ، الدولة التي تدَّعي الديمقراطية وحامية حقوق الإنسان ، ومعها بريطانيا وفرنسا وعدد كبير من الدول الأوروبية وكندا وأستراليا ، قد ألحقوا ضررًا بليغًا بالطوائف الدينية ؛ وخاصة الصابئة المندائيين ؛ وكذلك المسيحيين والإيزيديين ، ولم يستفد من هذا الاحتلال أي فئة دينية أو طائفة ؛ ما عدا الكُرد الذين أمنّوا لهم الحماية ، وتم منحهم الفيدرالية فيما يشبه الانفصال عن الوطن

الأم ، ويحاولون "فدرلة" بقية المناطق في العراق ، وصولاً إلى تقسيمه في النهاية.

وحاليًا نحن الصابئة المندائيون قد أجحف الأمريكان المحتلون بحقوقنا وتاريخنا وبكل موروثاتنا ، مما اضطرنا إلى الهجرة العشوائية في معظم بلدان العالم ، وكطائفة صغيرة في عدد أبنائها ، تجابهنا عدة مشاكل اجتماعية في قلة الزواجات وتباطؤ النمو السكاني والحفاظ على الدين المندائي من الاندثار بعيدًا عن حاضنة الوطن الأم ؛ العراق ؛ مهد هذه الديانة الأصيلة وغرس التوحيد الأول.

نحن نرنو إلى ضمير الشعوب المتحضرة في أمريكا وأوروبا وبقية الدول ، للحفاظ على الإرث الإنساني المتمثل بالأقليات العراقية ، وحث حكوماتهم على مساعدة العراق أرضًا وشعبًا من الظلم الذي لحق به ، وبناء ما تهدم اجتماعيًا واقتصاديًا وبنىً تحتية ، والمساعدة في إرجاع اللُحمة العراقية ، وبث روح الإخوة والمحبة بينهم ، وتضميد الجراح التي خلّفتها الحروب.

نرجو ألا تطول هذه الأمنيات ، وقد مرَّت سنينٌ طويلة ، ولا نعلم ما تخبئه لنا الأيام... والعلمُ عند الله.

▪ مواقف مجحفة تحولت إلى مواقف منصفة

بعد جهودٍ مضنية ومتابعة وعمل دءوب وتحديات، لمدة ثلاث سنوات من عام ١٩٩٧ – ٢٠٠٠م؛ تمَّت ترجمة كتاب (الكنزا ربا) من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، وقد شاركت نخبة ممتازة من أبناء الطائفة في هذا الإنجاز.

ومن المواقف التي صادفتنا، أنه حدث في عام ٢٠٠١ أن توفى أحد كبار السن من المندائيين في أحد أقضية محافظة الأنبار، وعند حضورنا من بغداد لإجراء المراسيم الدينية كما تقتضيها الشريعة المندائية؛ وجدنا رجل دين مسلم ومجموعة من الإخوة المسلمين يحيطون بالرجل يريدون أخذه إلى المسجد للصلاة عليه، ثم دفنه في مقبرة المسلمين... فقلنا إن هذا الرجل صابئي، ونريد إجراء مراسيمنا الدينية عليه، ودفنه في المقبرة الخاصة بالصابئة المندائيين في قضاء أبو غريب.

قال رجل الدين المسلم : أنتم لستم كتابين، بدليل أنكم لا تملكون كتابًا... ومن حسن حظنا أن كتاب (الكنزا ربا) المترجم إلى اللغة العربية قد انتهى طبعه للتو، وقد استلمت نسخة منه وضعتها في السيارة، فقلت لرجل الدين : تمهل مولانا الشيخ، سوف أريك كتابنا المقدس، فسارعت إلى السيارة وجلبت معي الكتاب وسلمته إياه، وفتح الصفحة وقرأ بوثة (سورة) التوحيد، والخاصة بتوحيد الخالق العظيم، وصفاته، وأسمائه... وما ان أكمل قراءتها حتى سارع إلى تقبيل كتاب (الكنزا ربا) ووضعه على رأسه وقال : والله هذا كلام الله... خذوا الرجل فأنتم والله على حق.

وفي عام ١٩٩٨، وكانت الترجمة في بدايتها، وكان لدينا ترجمة لـــ"بوثة" التوحيد قد طبعت باللغة الآرامية المندائية ويقابلها ترجمتها حرفياً باللغة العربية وهي أولى صفحات الكتاب المقدس (الكنزا ربا)... وزارنا في هذا الأثناء في مندي الطائفة البروفسور حسين محفوظ، مستشار المرجعية الدينية في النجف

الأشرف، وكلفنا الأستاذ الفاضل أطال الله في عمره "لعيبي خلف"، بإلقاء كلمة ترحيبية بالضيف في حضور رئيس الطائفة الريش أمة عبد الله الكنزي برا نجم رحمه الله، وأعضاء مجلس الشؤون، وعدد من أعضاء مجلس العموم... ثم قدمنا هذه النسخة المترجمة هدية، فقرأها ثم قبَّلها ووضعها على رأسه، وقال: والله أشهد أن هذا كلام منزل.

وفي عام ٢٠٠١ بعد صدور كتاب (الكنزا ربا) باللغة العربية... كنا جالسين في محل صياغة السيد "نزار ياسر" الواقع في شارع النهر في بغداد، وزارنا المؤرخ الموسوعي "زهير أحمد القيسي" رحمه الله، واطلع على الكتاب المقدس وما يحتويه من بوث مباركة فقال: والله وبالله وتالله هذا كلام الله.

وفي عام ٢٠٠٥ خطف المتطرفون شخصية مندائية مهمة، وقد عاملوه بكل قسوة، بحجة أنه ليس من الموحدين، ومن حسن حظه كان يحتفظ في سيارته بكتاب (الكنزا ربا)، فطلب منهم جلب الكتاب من السيارة التي استولوا عليها والإطلاع على محتويات الكتاب... وبعد أن قرأ كبيرهم عددًا من بوث الكتاب، قال: والله إنكم من الموحدين... وتغيرت معاملتهم له بالكامل، وأطلق سراحه.

هذه شذرات من مواقف مرَّ بها أبناء الطائفة، وكان للكتاب المقدس (الكنزا ربا) المترجم إلى اللغة العربية دوراً في إنقاذ الأنفس البريئة، وفيصلاً لتحويل الإجحاف إلى إنصاف.

▪ الأغلبيـة والأقليـة

زهير كاظم عبود

تتردد كلمة "الأغلبية والأقلية" كثيرًا في التصريحات والمقالات التي يكتبها المعنيون بقضايا الدستور والحقوق، حيث يجري تقسيم القوميات والأديان إلى أكثرية وتليها أقلية.

ولايختلف أحدٌ من كون العراق يتشكل من قوميات متعددة وأديان متعددة أيضًا، وهذه القوميات والأديان تعايشت بانسجام وبمودة ووئام طيلة فترات طويلة من التاريخ العراقي، ولم تبرز في علاقاتها أية شروخ أو فواصل، لولا تدخل السلطات التي أُبتلي بها العراق، وطغى عليها الفكر الشوفيني والشمولي في اعتقادها بأن تغليب قومية على باقي القوميا، أو تغليب دين على باقي الأديان، أو تغليب مذهب على بقية المذاهب، وإطلاق تسمية "الأغلبية والأقلية" ضمن النصوص الدستورية سيساهم في تغييب حقيقة من حقائق الحياة العراقية.

والأغلبية تعني الأكثرية، وتشير ضمن هذا المفهوم إلى القومية العربية، وكما يشير دين الأغلبية وهو الدين الإسلامي الحنيف، وتعني المفردة حق سيطرة الأكثرية على الأغلبية من منطق أن الأكثرية هي التي تحكم.

واستمر العمل بمنهج الأكثرية والأقلية حتى اقترنت كلمة الأقليات بالقوميات الأخرى غير القومية العربية أو الكردية المميزة بثقلها السكاني في العراق، وأصبحت هذه الكلمة لازمة لقوميات تسكن العراق ولها حقوقها الدستورية وواجباتها المنصوص عليها وهي القومية التركمانية والكلدانية والآشورية، كما انسحبت على الأديان التي تدين بها (الأقلية) وهي الديانة المسيحية واليهودية والصابئة المندائية والإيزيدية.

وتضمنت النصوص الدستورية التي تمَّ اعتمادها في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية ولحد صدور قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية؛ تعابير مختلفة تدل على (الأقلية)، منها الطوائف كما وردت في عدة دساتير وكذلك كلمة (الإسلام وغيره من الأديان والطوائف).

إن إشارات خجولة مثل هذه ترد في نصوص الدساتير المؤقتة تعني أن تكريسًا للزعم بوجود مساواة بين القوميات والأديان في العراق حبرًا على الورق دون أن يتم ترجمة وتجسيد هذه الحقوق... ونحن لا نتطرق إلى مسألة حقوق الأديان والمذاهب في ممارستها عقائدها وطقوسها بما لا يتعارض مع النظام العام والآداب، إنما نعني مسألة المساواة بين القوميات المتآخية في العراق.

يتم احتساب حقوق هذه القوميات وفقًا لنسبة أعدادها من مجموع السكان في العراق، وعلى هذا الأساس فأن للقوميات غير العربية والكردية نسبة ضئيلة لا يؤشر مساهمة جدية في حقل المساواة بين القوميات في العراق، والأمر نفسه ينسحب على الدين حيث تشكِّل الأديان الصابئة المندائية والإيزيدية نسبة ضئيلة مقارنة بنسبة عدد المسيحيين والمسلمين في العراق... وعلى هذا الأساس فإن الحق سيتم تجزئته وتقسيمه وفقًا لنسب محددة، وبهذه الطريقة سيتم تغليب قوميات على أخرى، وسيتم تغليب ديانة على أخرى، مما يتنافى مع مبدأ المساواة التي وردت ضمن نصوص الدساتير الأساسية والمؤقتة وبما فيها قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية والذي أكَّد في المادة الثانية عشر أن العراقيين (كافة) - أي بمختلف قومياتهم وأديانهم - متساوون في الحقوق، وبهذا الشكل الذي يُفقِد المساواة معناها الحقيقي، ويجزِّء الحقوق إلى نِسب، سيكون لهذه القوميات والأديان نسبة من التمثيل وجزء من الحقوق بما يتناسب مع هيمنة القوميات والأديان التي تسود الساحة العراقية، وسيكون هذا التمثيل النسبي ليس له تأثير مطلقًا ولا يمكن أن يصل إلى مستوى القدرة في صنع القرار أو المساواة مع القوميات والأديان الأخرى.

ويبدو أن المعاناة التي عانى منها المواطن العراقي طيلة الفترة من تشريع القانون الأساس في العام ١٩٢٥ ولغاية تشريع قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لم يلتفت إلى هذه الناحية المهمة، وأعني بها مسألة التعايش الحقيقي والمساواة في الحقوق.

إنَّ الإطار الديمقراطي الذي يسعى إليه جميع العراقيين يتشكل في أن يكون للجميع صوتٌ مؤثرٌ ومساهمة إيجابية متساوية في البناء المستقبلي للعراق، فمثلما يكون للعربي وللكردي يكون أيضًا للكلداني وللأشوري والتركماني، ومثلما يكون للمسلم والمسيحي يكون للصابئي المندائي وللإيزيدي ولليهودي هذا الحق أيضًا.

إن إعادة النظر في مفردات الأقليات والأكثرية تدفعنا للتفكير بمعادلة وطنية يتم إنصاف هذه الشرائح التي لم يقلّ نضالها وتضحياتها في سبيل العراق طيلة التاريخ القديم والحديث.

كما أن من حقائق العراق وجود هذه القوميات والأديان والمذاهب والتي اتفقت جميعها على إلغاء سيطرة قومية ما على باقي القوميات، فقد حولتنا السياسة الشوفينية إلى بلد تراجع في كافة مناحي الحياة، وقد آن الأوان أن نركلها إلى غير رجعة، وأن ندفع بإخوتنا من القوميات الأخرى المتفاعلة والموجودة فعلاً في الساحة العراقية، كما ندفع بالأديان العراقية الجميلة والعبقة المتآخية من أجل المساهمة الفعَّالة في رسم معالم الدستور والبرلمان العراقي القادم، بما يحقق ترجمة الحقوق المتساوية فعلاً، إذا كان الهاجس الأساس الذي يدفعنا هو بناء العراق وبدء الخطوات الديمقراطية الأولى، دون أن يكون هدفنا إلغاء الآخر واحتوائه أو السيطرة على السلطة التي لن تدوم لأحد مطلقًا.

النظام الديمقراطي والفيدرالي الذي ننتظر يوجب علينا أن ننظر بمنظار عادل ومتساوي لكل القوميات دون حساب للحجم والنسب والبيانات والخطوط والفوارز، ودون أن نضع فوارق بين الأديان في العراق.

يقيناً إن في هذه الالتفاتة الوطنية وقفة نتجرد فيها من العديد من التراكمات السلبية والمخلفات التي تركتها في نفوس العديد منها التجارب الشوفينية المريرة والثقافة الظالمة في أن تكون كل القوميات تابعة لقوميتنا، وأن تكون كل الأديان تحت سلطة ديننا، والإسلام من هذا براء.

وهي وجهة نظر قابلة للنقاش ومنطلق يمكن أن يخلق لنا أفكارًا أكثر سعة، من أجل العراق الديمقراطي والفيدرالي الذي ننشد، فقد حلَّ علينا زمانٌ جديدٌ حقٌ علينا أن نفكِّر بطُرقٍ ننصف بها إخوتنا الأكراد والتركمان والكلدان والآشوريين وحقٌ علينا أن نقرَّ ونعترف بحقوق مغبونة للصابئة المندائية والإيزيدية منذ زمن طويل، وآن الأوان أن نكشف عنها هذا التراكم الثقيل من الظلم.

obeikan.com

■ **الدكتور/ خزعل الماجدي:**

كاتب نشط له مؤلفات عديدة، وهو من المهتمين بالدين المندائي، وله أبحاث عديدة في هذا المجال، ويرتبط بعلاقات طيبة مع عدد من المثقفين المندائيين... وهذا الكاتب الكبير مهتم بحضارات وادي الرافدين، ومطلِّع على ما أنتجته هذه الحضارات من إرث عظيم، نشأ وترعرع على هذه الأرض الطيبة وما ساهمت به من تقدم البشرية على الأرض. وقد قاده البحث والدراسة المتعمقة في الحضارات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، والإطلاع على عادات وتقاليد وإيمان هذه الأقوام التي أنتجت هذه الحضارات، ولأنه ابن العراق البار وقريب جدًا من أبناء هذا الوطن، فقد تقرَّب كثيرًا من حقائق كثيرة عن دين الصابئة المندائيين وأقدميته في أرض وادي الرافدين، ووحدانيته بالله... ولكن باعتقادي يحتاج إلى معايشة المجتمع المندائي بصورة أوسع، وحضور مجالسهم الدينية والثقافية، والإطلاع على كتبهم الدينية، ودراسة جوهر الدين المندائي، وقراءة دقيقة لفلسفة الشعائر والطقوس الدينية، ومعايشتها عمليًا، ومناقشة رجال الدين وعدد من المثقفين المطلعين حول الحقائق الغائبة في دراسات الدكتور الماجدي، لتكون الصورة متكاملة الجوانب حول هذا الدين الأصيل، والمؤمنين به من أبناء طائفة الصابئة المندائيين.

استقر الدكتور خزعل الماجدي في هولندا ضمن أعداد كبيرة من العراقيين المهجرين، وهو أستاذ جامعي يُدرِّس في عدد من الجامعات الهولندية، ويلقي محاضرات عديدة في كثير من الدول حول حضارات وادي الرافدين، وأن الفرص مواتية له للإطلاع أكثر على دين الصابئة المندائيين وتراثهم ومعايشهم عن قُرب بحكم تواجد خمسة آلاف مندائي فيها، ولهم مندي (معبد) في مدينة أوترخت الهولندية، ولهم جمعيات ثقافية واجتماعية عديدة في المملكة، يمكن من خلالها الإطلاع والتوسع بالمعلومات عنهم في إطار عمله الأكاديمي والتي لها بصمة واضحة في كتابة التاريخ المجيد للحضارات العراقية المتعاقبة.

يقول الدكتور/ خزعل الماجدي:

منذ صباي، كنت أنظرُ إلى الديانة المندائية باحترامٍ وإعجاب، وكان يدفعني الفضولُ بقوةٍ لمعرفة أسرارها وخفاياها لسبب ما زلت أجهله حتى هذا اليوم، وكان حبي لهذه الديانة مدعاةً لصداقات كثيرة انعقدت مع الزمن بيني وبين أبناء هذه الديانة في العراق، لقد شعروا بحبي لهم، وقد غمروني بالتقدير والاحترام.

ولعل نقطة التحول الإيجابية المهمة، في علاقتي مع هذه الديانة وأهلها، كانت يوم ألقيت محاضرتي (الأصول السومرية للديانة الصابئية المندائية) في نادي التعارف الخاص بهم عام ١٩٩٦ والتي استغرقت أكثر من خمس ساعات، ثم نشرتها في كتابي (جذور الديانة المندائية)، وقد أحدثت المحاضرة، ثم الكتاب ضجةً في الوسط المندائي، وانقسم المندائيون حولهما بين متحمسٍ ومعارض، وصدرت حولهما ردود وبيانات؛ اضطررتُ بعدها إلى إلقاء محاضرة جديدة، في المكان نفسه، لتوضيح ما التبس من القصد.

بعدها ازداد إطلاعي على الدراسات والكتب الموسعة حول هذه الديانة في اللغات الأجنبية ،وعرفتُ الكثير من خفاياها، وتعززت نظرتي السابقة لأصولها الرافدينية، فقد توغلتُ في أعماق نصوصها الدينية والأدبية، وتجلّت لي، يومًا بعد آخر، صورتها الحقيقية، وأدركت أن (المندائية) هي أخر الصفحات المشرقة لحضارة وادي الرافدين قبل الإسلام، لكن جذورها الثقافية كانت تمتد إلى ما قبل السومريين، رغم أن الدراسات الأجنبية تتحاشى البحث في هذه الجذور وتحاول زرعها في أماكن أخرى غير وادي الرافدين.!

لن أبالغ إذا قلتُ إن التراث المندائي هو أول وأخر تراث رافديني أصيل، فقد بدأتْ به الحضارات الرافدينية مع الشعب الناصورائي الذي أسَّس مدينة (أريدو) وقد اخترق التاريخ، منذ الألف الخامس قبل الميلاد، بصمتٍ وبصعوبةٍ بالغةً منفيًا هناك على حافات الأهوار وعند فم الخليج حتى تم تدوين أصوله الشفاهية في القرون الميلادية الأولى باللغة المندائية (التي أصبحت لغته في الألف الأول

قبل الميلاد) ووضع هذه الأصول في مخطوطات كثيرة، فُقِد بعضها، وتناوب على إدامتها نُسَّاخ عظماء أوصلوها، بأعجوبة، إلى العصر الحديث.

كان إطّلاعي على التراث السومري والأكدي والآشوري والبابلي قد زودني بعدّة جيدة للخوض في مغاور الديانة المندائية، فقد أضاء لي هذا التراث الكثير من جوانب هذه الديانة التي كان إغواؤها لا يُقاوم، فهي تحملُ، من جهةٍ، ذلك التراث بكلِّ أطيافه وتحمل، في الوقت عينه، لوناً جديدًا هو نزة التوحيد التي تنفرد بها المندائية دون غيرها من صفحات وادي الرافدين.

كان هناك هاجس قوي يدفعني للقول، دائمًا، إن جذور التوحيد الأساسية موجودة في وادي الرافدين، لكني كنتُ أفتقر إلى الأدلة التي تؤكد ذلك، حتى اطّلعتُ بعمق على هذه الديانة، فتأكد ظني تمامًا، حيث أدركتُ أنها كانت ديانة التوحيد السرية في وادي الرافدين، والتي تبلور التوحيد فيها في منتصف الألف الأول قبل الميلاد، وظلت تنمو تحت العقائد الدينية متعددة الآلهة، لكنها لم تستطع تقويضها، لأنها ديانة مسالمة ومحدودة الانتشار، فظهرت ببطءٍ إلى العلن بعد سقوط بابل وتعرّف عليها اليهود والفرسُ والإغريق وأخذوا منها... وسرعان ما أصبحت (المندائية) التي ترجمها الإغريق بصيغة مصطلح (الغنوصية)، سمة العصر الهيلنستي الدينية، ثم الفلسفية... أما أهلها المساكين فكانوا يزدادون عزلةً وفقرًا قرب الأهوار في جنوب العراق.

لقد أعطت المندائية الروحَ للغنوصية التي أنعشت الفكر الهيلنستي، وهي أعظم فترة اختلاطٍ للعقائد العالمية، لكنها لم تُذكر بخير ولم يلتفت أحدٌ إلى أهلها ولم ينصفهم التاريخ، بل أن اليهودية ثم المسيحية تدينان بالكثير لها، لكنها طُويت في ثناياهما وضاع إرثها فيهما.

هكذا تبددت روح المندائية، بصمتٍ، في عقائد الهيلنستية والتوحيدية، وازدادت هذه الديانة عزلةً وغموضًا منذ ذلك اليوم وحتى وقت قريب.

■ **الترميذا/ عصام خلف:**

يحكى عن حادثة حقيقية وقعت قبل أكثر من ١٠٠٠ عام، مفادها أن أعربيًا تاجرًا جاء يفتشُ عن شيخ الصابئة وكبيرهم، فدلَّهُ الناس على مكانهم... سار ومعه المال والإبل والماشية، إلى أن وجد أحدهم في عمله... سأله:

هل أنتَ صابئي؟

قال الرجل: نعم أنا صابئي.

قال الأعرابي: أنا أفتِّشُ عن كبيركم.

قال الصابئي: وماذا تريد من شيخنا وكبيرنا؟

قال الأعرابي: معي مالٌ كثيرٌ وإبل وماشية، أريد أن أتركها كأمانة عنده؛ لأنني سمعت عن أمانتكم؛ لحين عودتي من رحلة تجارة بعد ثلاثة أيام.

قال الصابئي: وصلت يا أخي، أنا شيخ الصابئة.

قال الأعرابي: أشكرك يا أخي الشيخ، فهل لي تأمين أموالي عندك لمدة ثلاثة أيام؟

قال الصابئي: أبشر يا ضيفنا العزيز.

سافر الأعرابي لتجارته، بعد أن ترك أمواله كأمانة لدى الصابئي... وعاد بعد ثلاثة أيام، فوجد الصابئي تاركًا عمله حارسًا الأمانة...

قال الأعرابي: أشكرك أيها الشيخ الطيب على أمانتك وحرصك على أموالي... وأعطاه بعض المال من أجل ما بذله من جهد وأمانة.

رفض الصابئي أخذ المال قائلاً: أنا الذي أشكرك يا أخي، فأنا لن آخذ المال، لأنني أخذت الأحسن منه.

قال الأعرابي: وما الذي أخذته؟

قال الصابئي: أنت يا أخي الضيف أعطيتني الفرصة لعمل الإحسان لأن هذا محسوبًا لي يوم الحساب، هذا ما تعلمته من ديني.

وقبل أن يغادر الأعرابي (بعد أن شكر صاحبنا الصابئي على كرمه) عائدًا إلى دياره، قال له الصابئي: يا أخا العرب، سألتني عند أول مجيئك عن شيخ الصابئة، وقلت لك في حينها أنا شيخهم لأنك صاحب حاجة... وفي الحقيقة أنا لست كذلك، فأنا أصغر قومي... تفضل لأصطحبك إلى كبيرنا.

فقال الأعرابي: لم يكن كذبًا ما قالوه عنكم، فأنتم القوم الأمناء، الأشراف، الذين يعرفون معنى الطيبة والخير والكرم، فإذا كان صغيركم بهذه الأخلاق والطيبة والكرم وحب الخير، فكيف سيكون كبيركم؟... لقد اغتنيت بمعرفتكم، فإن ما تمتلكونه لهو أغنى وأغلى من كنوز الدنيا كلها.

واستمر الأعرابي قائلاً: لقد سمعت عنكم الكثير...

فردَّ عليه الصابئي: وما الذي سمعته عنَّا أيها الضيف الطيب؟.

قال الأعرابي: قالوا عنكم إنكم إذا مشيتم بالشارع فتسيرون جماعة، وتلبسون ملابس بيضاء متشابهة وعليها عباءة... وإذا صادفكم أحد بمطلب فكلكم تقولون لصاحب الحاجة: أبشر فطلبك عندي... وفي نهاية يومكم يأتي كباراتكم (شيوخكم) ويجمعون ما حصلوا عليه من أموال من خلال أعمالهم في سلّة دون النظر والتساؤل من الذي جلب تلك الأموال وما مقدارها، لأن الأموال التي تجمعونها ملكًا لجميعكم... وعندما يأكل كباراتكم يأكلون بنفس الصحن، وإذا تأخر أحدهم ينتظرونه لحين قدومه ليأكلوا في نفس الوقت... هذا الذي سمعته عنكم يا صابئة.

▪ الصابئة المندائيون في العهد الساساني

إعداد : مؤيد مكلف

زارت مندي الطائفة في بغداد الدكتورة والباحثة (اريكا هنتر) الأستاذة بجامعة كامبرج بتاريخ ٢٨ - ٣ - ٢٠٠١ وهي متخصصة باللغة والديانة المندائية، وألقت محاضرة بعنوان (الصابئة المندائيون في العهد الساساني) حضرها جمعٌ غفيرٌ من مثقفي الطائفة ومن أبناء الطوائف الأخرى أوضحت فيها طبيعة عملها الأكاديمي الذي يتناول الرقي والتعاويذ والأحراز والطلاسم والأواني المندائية القديمة، وقد أشارت إلى الباحثة المندائية (فريال زهرون نعمان) وأطرت عليها بحصولها على شهادة الماجستير في هذا المضمار، كما أشارت إلى أنها قد اشتغلت مع فتاة مندائية اسمها (نادية غانم) في المتحف العراقي عام ١٩٨٩ وقد استهواها البحث عن مضمون الأحراز والأواني المندائية منذ ذلك الحين.

وقالت: إن هذه الأواني المنقوشة تلقي الضوء على تاريخ المندائيين ومناطق سكناهم في الفترة ما بين القرنين السادس والسابع الميلادي، أي في فترة الفتوحات الإسلامية في بلاد الرافدين، وأشارت إلى التنقيبات التي قامت بها جامعة شيكاغو عام ١٩٨٩ في منطقة نيبور "نفر" وعثورها على أعداد كبيرة من الأواني الأثرية التي تكمن أهميتها بتدوين التواريخ عليها، وقالت: إن اللغة التي نقشت الرموز بها هي لغة مندائية، وأشارت إلى العلاقة الوثيقة ما بين المندائية والآرامية، فقد عثر على اللغتين مدونتين جنبًا إلى جنب، وقالت: بأن التاريخ المدون والموثق شيء مهم بالنسبة للباحثين والأثاريين معًا، وتدل بشكل قاطع على تاريخ تدوينها، أي القرن السابع الميلادي، في الوقت الذي كان فيه المندائيون يعيشون ضمن مجموعات كثيرة كالأشوريين والبابليين والكلدان والفرس وغيرهم، وكان تراث الجميع مشتركًا، وبعضهم كان يؤثر في البعض الآخر.

وتعود أهمية الرقي والنقوش إلى أن نصوصًا من كتاب (الكنزا ربا) قد وُجدت عليها، ونستدل من ذلك إلى أن تدوين (الكنزا ربا) قد بدأ قبل ذلك الزمان، وقالت إنه بعد الإسلام طرأ بعض التغيير على هذه النصوص، أما قبل ذلك فلم يطرأ عليها أي تغيير.

وقالت: رغم أن المندائية كانت تتعايش مع غيرها، إلا أنها كانت تتمتع بالحرية وتعيش بسلام مع كافة الأقوام، وكان وضعهم جيدًا.

وقالت: إن بعض المندائيين ربما جاءوا إلى العراق بعد القرن الثاني الميلادي مرورًا بحران، وكان هؤلاء قد اختلطوا مع أقوام عديدة هناك، ففي ذلك القرن أُخرجوا من فلسطين؛ كما قال العلماء والمؤرخون؛ بعد أن مارست السلطات اليهودية ضدهم ضغطًا شديدًا واضطهادا مستمرًا. أما في القرن الأول الميلادي فقد كان هناك صراعٌ حادٌ بينهم وبين اليهود، وكان اليهود آنذاك موجودين في فلسطين والعراق معًا، فكان المندائيون يمثلون ما يسمى "البروتستانت" في العصر المسيحي، أي يمثلون جانب المعارضة. وتضيف: أعتقد بأن المندائيين واليهود كانوا على علاقة وطيدة جيدة، ثم حدث الخلاف بينهم بسبب الأفكار المندائية، خاصة بعد ظهور النبي "يحيى بن زكريا".

وبعد انتقال المندائيين إلى حران وبلاد الرافدين حملوا معهم الكثير من الأفكار التي تأثروا بها، والتي كانت ذات تأثير على عقائد المندائيين بعد هجرتهم، وأشارت من ناحية أخرى -حسب رأيها- إلى أن المندائية نشأت في بلاد ما بين النهرين أصلاً، رغم أن بعضهم قد جاءوا من فلسطين وحران، وتعتقد أنه كان في العراق مندائيون آخرون قبلهم استقبلوا إخوانهم وتأثروا بآرائهم.

وحول (الكنزا ربا) قالت بأنها قد دونت في القرن الثالث الميلادي باللغة المندائية، وكانت قبلاً تُتداول شفاهًا لقرونٍ عديدة، وفيها ما يشير إلى وجود للكيان المندائي في العراق، وقالت: إن الكثير من مقاطع (الكنزا ربا) كانت موجودة على الأواني النذرية منذ ذلك التاريخ.

ثم قالت: إني أعتقد إن المندائية حصرًا هي نتاج وادي الرافدين، وليس في فلسطين، وإني أختلف بهذا مع العلماء القائلين بأنها نشأت في فلسطين، وأقول بأن المندائية نشأت في العراق، وإن كانت قد تغذت بأفكار وردت من فلسطين أو إنها قد استلهمت تلك الأفكار من المهاجرين من فلسطين وهي لا تخص الطقوس والمفاهيم الأساسية، بل إن لها تأثيرات اجتماعية.

وتقول: إن هناك لغات دينية خاصة عديدة في العراق غير المندائية، ولكننا لا نعرف إلا الشيء اليسير عن بداية اللغة المندائية، ونحتاج إلى تنقيبات كثيرة للكشف عن التواريخ المحددة لهذه التطورات، خاصة وإن الساسانية كانت مهيمنة على العراق في ذلك الزمان، وقالت: إن تطور الآراء والمعتقدات قد تطلب وقتًا طويلاً حتى وصل إلى الهدف الذي كان ينشده، وهي تتأثر عادة بعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية عديدة.

ثم أشارت إلى إنه يوجد في المتحف العراقي الكثير من الأواني واللقى والأحراز المندائية أكثر مما هو موجود في المتحف البريطاني.ثم تطرقت مرة أخرى إلى اللغة المندائية وتساءلت: أن المندائيين تكلموا اللغة المندائية التي هي لهجة آرامية، ولكننا لا نعرف متى نشأت، لأننا لا نعرف السلالات اللغوية قبل السامية، ففي القرن السابع الميلادي كانت في بلاد الرافدين لهجات سريانية وأشورية وآرامية وغيرها، لكن الآرامية قد ترجع إلى البابليين، أي إلى زمن حمورابي، ومع تطور اللغات تطورت الآرامية كغيرها، والمندائية انتعشت وتطورت بعد انهيار الإمبراطورية الساسانية، قبل أن تزاحمها العربية بعد انتشار الإسلام.

وردًا على أسئلة حولة (الغنوصية) قالت: إن الغنوصية هي علم وفلسفة وليست دين، وأشارت إلى مخطوطات (قمران) وقالت: لا يوجد ذكر للمندائيين فيها بل هي قضايا وثائقية كتبت بلغات قديمة عديدة، ولا توجد لها علاقة بالمندائية. وحول الاسينيين قالت: إنهم ليسوا مندائيين، وإن كانت لهم آراء تشبه المندائية.

- **الأستاذ/ أمين فعيل حطاب:**

مربي فاضل من أسرة صابئية مندائية، مرتبطة بأرض الرافدين، وفية لدينها وعاداتها وتقاليدها... درس اللغة المندائية وأتقنها، وخصَّص معظم وقته وجهده للدراسة والترجمة. وحقيقة الأمر برز هذا الرجل في هذا المجال وأصبح مرجعًا مهمًا في ما كتب باللغة المندائية عن الدين الصابئي المندائي.

وربما سائل يسأل لماذا التركيز على ترجمة اللغة المندائية ؟!! ونحن نقول إن اللغة الآرامية المندائية لغة قديمة منذ آلاف السنين، وتمت كتابة الكتب الدينية المقدسة للصابئة بهذه اللغة، وكان الناس يتحدثون بها ويتعاملون معها في حياتهم اليومية، ولكن بعد وصول المسلمين إلى العراق منذ عام ٧١١ ميلادية، وانتشار اللغة العربية، بدأت اللغة المندائية بالانحسار، وقلَّ عدد الذين يتحدثون بها أو يكتبونها، أو يقرأون ما سطرته أيادي الأقدمين، ومع إهمال الحكومات المتعاقبة للعراق في الحفاظ على التراث الإنساني للشعب العراقي، وعدم اهتمام رجال الدين المندائيين والمثقفين بإحيائها؛ برزت مشكلة في الحفاظ عليها من الاندثار، وعليه برزت طاقات مندائية في الآونة الأخيرة تحاول جاهدة إحياء هذه اللغة السامية العريقة؛ لغة الكتب المقدسة... لهذا نحن نعتز بالأستاذ أمين، بعمله في إحياء اللغة.

وقد اضطر إلى الهجرة إلى أستراليا، ولكن من هناك لا زال يمدنا بدراساته وترجماته المتنوعة.

كتب في مجلة آفاق مندائية التي تصدر في بغداد موضوعًا شيقًا حول الشهادة عند الإنسان المندائي:

- التوحيد و الإنسان في الدين الصابئي المندائي

(موجود ملك النور السامي ، موجود ملك العظمة ، موجود عارف الحياة)
(موجود الحي ، موجود سيد سيدي "سيد الوجود" ، موجودة معرفة الحي أو عارف الحياة)

بمعنى أن الله جلَّ وعلا موجود ، لأنه أبديٌّ ليس له بداية ، وسرمديٌّ ليس له نهاية ، وموجود سيد العظمة الذي ليس هناك من أعظم منه ، وموجود عارف الحياة وسيد الوجود في عوالم النور الذي انبعث من ذاته وسبق الوجود.

بعد أن ينال الصابئي الطهارة من الرسم بالماء الحي (الوضوء) يستهل صلاته بقراءة الشهادة كما يقول النص:

(موجود الحي ، موجود سيدي ، موجودة معرفة الحي ، هناك في موطن النور ، بشهادة الحي وبشهادة ملك النور السامي الله العظيم الذي انبعث من ذاته)

ويؤكد على ذلك خاتمة النص:

(لا يبطل ولا يزول اسمك يا حي يا سيدي يا معرفة الحي)

فالشهادة موجهة لذاتٍ واحدة، ولزيادة الإيضاح: أن الحي العظيم عارفٌ لذاته، بمعنى أن المعرفة حالة له، وهي جوهر وراء كونه ذاتًا موجودًا، وهذه الحالة لا توجد إلا مع الذات. إذن فالذات واحدة والمحمول أي الصفات المعبِّرة عنه بالجواهر الثلاثة أصول لجوهر واحد قائم بذاته ، والأصول الثلاثة قائمة بالجوهر. هذه الأصول الثلاثة تتفرع منها الصفات الأخرى للحي العظيم، وهذا يعني أن الصفات وجوهٌ وأحوالٌ لذاتٍ واحد، وهو ملك النور السامي الله العظيم الذي انبعث من ذاته، وبتعبير آخر أن الصفات جميعًا فروع ترجع للأصول الثلاثة لذات الحي العظيم.

ومن الملاحظ أن جميع هذه الصفات في مضمونها الكمال... لذا فالصابئة المندائيون يسمون بيت العبادة بعدة أسماء منها (بيت هيي) أي بيت الحي... (بيت تشليما) أي بيت الكمال... (دور أتاقنا) أي الدار المتقنة... جميعها تعبِّر عن الكمال.

ولو عدنا إلى الجوهر الأول الذي يمثل صفة الخلق المطلق والانبعاث، فالدين الصابئي المندائي أكَّد من أول الأمر وجوب الوحدانية للحي العظيم تأكيدًا جازمًا، فالنصوص تجزم من أقواله كل شيء كان (**بميري كل مندام هوا**) ، وتجزم أنه أزلي ليس له بداية، ولا نهاية، وأبدي ليس له نهاية كما في النص: (**لا يبطل ولا يزول اسمك يا حي يا سيدي يا معرفة الحي**) (**لا أهوى كث إذلا أهوا ولا هاوكث أذلا هاوي**). ترجمته الحرفية (**لا يبطل ولا يزول اسمك يا حي يا سيدي يا معرفة الحي**)

(**ما كان لأنه ما كان ، ولا يكون لأنه لا يكون**) ، يضم هذا الجوهر الكثير من صفات الله كالخالق البارئ المبدع الوهاب، لأنه واهب الحياة ورب كل عوالم النور العليا والوسطى والسفلى.

أما الجوهر الثاني الذي يمثِّل صفة السيادة المطلقة، فنصوص (الكنزا ربا) أسهبت في وصفه، مؤكدة على وحدانيته، كما في النص (**ملكا رام ونهوره إلا هادي شراره ، دنفش هيئه وساخا ليثلي**) ترجمته الحرفية: (**ملك النور السامي الله الصمد ذو الحول الشامل لا حدَّ لقدرته**) كما يقول النص أيضًا (**لا صاحبَا له بتاجه ، ولا شريكًا له في صولجانه - بسلطانه - ، من اتكلَّ عليه فلن يخيب ، ومن سبّح باسمه فهو التواب الرءوف الرحيم على كل شيء قدير**) كما وصف النص تاجه وإكليله (**أن ومضات تاجه تنطلق إلى كل مكان وتخرج من بين أوراق تاجه أشعة الضوء والنور والوقار**).

أما الجوهر الثالث... وهو المعرفة المطلقة، فالحي العظيم هو الحليم المدرك البصير الذي لا يُرى ولا يُحد. لذلك فالصابئي المندائي يبجِّل المعرفة، وهي معرفة الحي، لأنها جوهر ذات الحي العظيم. كما تصف النصوص المندائية... أن الله عادل، وأن عدله يقتضي ما دام قد كلَّف الإنسان أن يجعل له القدرة على فعل الخير، بحيث يكون الإنسان هو المحدث لأفعاله، والمسؤول عنها، ولا يكون للحي العظيم دخْل فيها، ولو كان على ذلك لكانت كل أعمال الإنسان في غاية الكمال والإتقان، كذلك خلق الحي العظيم النفس البشرية وجعلها ميالة لفعل الخير ورافضة لفعل الشر، وبالمعرفة يستطيع الإنسان أن يميِّز بين الخير والشر.

- **تعقيب:**

الصابئي المندائي يردد في كل أعماله (**آكا هيي، آكا ماري، آكا منداد هيي**)، وهذه شهادة أن الحي العظيم ملك النور السامي موجود، وأن سيد العظمة موجود، وأن عارف الحياة موجود.

وكثير من الناس أحياناً تخلط بين هذه الأسماء المبجلة للحي العظيم، وأسماء الملائكة - مباركة أسماؤهم -... فعندما نقول الملاك منداد هيي نقصد الملاك الذي خلقه الحي العظيم، واسمه الملاك منداد هيي، وعندما نقول منداد هيي، نقصد الحي العظيم الله عارف الحياة، وهكذا.

- **الأستاذ/ مؤيد مكلف سوادي:**

شخصية مندائية معروفة... أول من نظم الأحساب والأنساب للصابئة المندائيين ورسم الشجرة الوراثية للعوائل المندائية ويعتبر مرجعًا مهمًا في ذلك... له محاولات جميلة في كتابة شعر وقصص للأطفال بأسلوب شيق جميل... كذلك له ذاكرة قوية في حفظ الشعر الشعبي المندائي والكثير من المواويل العراقية الشيقة... من المثقفين المندائيين، له مقالات عديدة في التراث المندائي وتوثيق كثير من الأحداث...

وهذه إحدى مقالاته عن المندائيين... يقول إن المندائيين من أصول بلاد ما بين النهرين، وأنهم سبقوا السومريين لكنهم لم يتركوا آثارًا تدل عليهم، وهذا يخالف العلم الأركيولوجي للإنسان إذ لابد من وجود آثار خلفها الإنسان مهما كانت قديمة، فالأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير كما يقول المثل العربي.

- آراء في أصل المندائيين

إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ الدينَ اليهوديَ قد ظهرَ عام ١٣٠٠ق.م على يد النبي موسى (ع)، والدينَ المسيحيَ ظهرَ في بداية الميلاد... فهل الدينَ الصابئي المندائي هو أقدمُ دينٍ موُحِّدٍ ظهرَ على الأرض؟ وهل الصابئةُ هُمُ أقدمُ سُكَّانِ العراق؟

لقد اختلفَ المؤرخون والمهتمون بالأديانِ القديمةِ بشأنِ منشأ الديانة المندائية وظهور الصابئة، لكنَّ الدلائلَ تُشيرُ إلى أن موطنَ الصابئةِ هو العراق، فيهِ نشأوا، وعلى أديمِ أرضهِ سكنوا، ومن ثم انتشروا في بقاعِ هذه المنطقةِ وخارجِها بعد أن ازدادَ عددُهم. وعلى سهولهِ الرسوبيةِ، وقرب مصبات أنهاره وروافدهِ مارسوا طقوسَ دينهم التي تلتصقُ أصلاً بالمياهِ الجاريةِ، فالاغتسالُ والوضوءُ والصباغةُ (التعميدُ)، والتي هي شعارُ المندائيين، لا تتمُّ إلا في الماء الجاري، ولهذا استقروا دائمًا على ضفافِ الأنهار.

والدينُ المندائيُ قديمٌ جدًا، يعودُ إلى عهودِ آدم وأولادهِ وأحفادهِ (شيت وانش ونوح وسام وإدريس)، والدليلُ على هذا ما وردَ في كتبهم الدينية العديدةِ، وعلى رأسها، الكتاب الرئيسي (الكنزا ربا) الذي يحتوي على فصولٍ عديدةٍ تبحثُ بالدرجةِ الأولى عن أوصافِ الخالق، وخَلْق الأكوانِ، ومن ضمنها الأرض، ثم خَلْق الانسانِ، وهبوطِ النفسِ، ومن ثم عروجِها إلى خالقِها... وفيه وصايا عامة، وكيفية إجراء التعميد، وحوار فلسفي حول الموت والحياة وما بعدَ الموت، والخير والشر، وقضايا فقهية تخصُ الدين... وفيهِ ذكرٌ للنبي الأول (آدم) وابنهُ (شيت)، والطُّوفان، وغيرها من الأحداث... ويقعُ هذا الكتابُ في حوالي ٧٠٠ صفحة من القطعِ الكبيرِ، وقد تُرجِمَ إلى لغاتٍ عديدةٍ كالألمانية والإنجليزية وغيرهما، وتمّتْ ترجمتهُ أيضًا إلى اللغة العربية عام ١٩٩٨.

ولقد وردتْ كلمةُ (صابئة) في كتبٍ مقدسةٍ تخصُّ أديانًا أخرى، ففي (التوراة)، وردَ ذكرهم تحتَ اسم (شُبّا)، وفي (القرآن) تحت اسم (الصابئين)، والمقصود بهذه التسمية، هم الصابئون المندائيون الحاليون... وهناك نقطةٌ مهمةٌ ينبغي تثبيتُها، ألا وهيَ، أن الصابئةَ يُسّمونَ أنفسَهم في كتبهم الدينية باسم (المندائي) أو (المندايي)، ورجال دينهم باسم (الناصورائي) ... كما أن هناكَ مُسمّيات عدة أطلقها عليهم مجاوروهم، وهي صفات مجازية مثل (المغتسلة) و (صابئة البطائح) و(المعمدانيون) و(اليحياويون) و(نصارى يوحنا المعمدان) وهي تسمية بعيدة عنهم، وغيرها من التسميات. وكلها أسماء لِمُسمىً واحدٍ هو (الصابئة).

بقيَ أن نقولَ، إن بعض المفكرين والمؤرخينَ يقولونَ: إنَّ جنوبَ العراق لم يكنْ يَخلو من السكان عند قدومِ (السومريين) إليه واستيطانِهم فيهِ، وإنَّ أقوامًا أخرى قد سَبقتهمُ إلى ذلكَ، عَرِفوا الزراعةَ، وتنظيمَ الريِ، وبناءَ القرى الزراعيةِ، واِعمارَ الأرض، وغرسَ النخيلِ، وتنظيمَ السدودِ، وتطويرَ حياتهم الاقتصادية بصورةٍ (مَشاعية)... فالمؤرخُ المندائيُ (نعيم بدوي) كثيرًا ما

صَرّحَ في مناسباتٍ عدةٍ، بِأنَّ أقوامًا كانت تعيشُ في جنوبِ العراقِ قبل قدومِ السومريينَ إليه ، ولكنها تختلفُ عنهم ، وقد مَهّدتْ للحياةِ في تلكَ المنطقةِ ، وربما عاشتْ تحتَ أسماء أخرى، قبلَ العصورِ التاريخية... ويقولُ: نحنُ نعتقدُ بأنَّ تلكَ الأقوام ربما همُ أجدادُنا الصابئةُ المندائيونَ ، والذين همُ أهل البلادِ الاصليونَ، وأنهّم غيرُ طارئينَ على هذا الوطن... ويستندُ الأستاذ (نعيم بدوي) في ظنهِ هذا على كتاب (الكنزا ربا) لأنه يشملُ في أجزاء كثيرة منهُ على صحفِ أجدادِ المندائيينَ (آدم وشيت ونوح وإدريس وسام)، والذينَ هم أقدمُ بكثيرٍ من السومريينَ وغيرِهم.

ومما يؤيدُ كلام الأستاذ (بدوي)، ما وردَ في كتابِ (مغامرة العقلِ البشري) لـــ (فراس السّواح) ص٢٥، حيث يقولُ: (لقد أثبتتْ الدراساتُ اليومَ، أنَّ أرض (سومر) لم تكن تخلو من السكان قبلَ قدومِ السومريينَ واستيطانِهم فيها ، بل كانت مسكونةً من قبل أقوامٍ ذوي دينٍ ولغةٍ وثقافةٍ عاليةٍ، ونحنُ لا نعرفُ عنهم الكثير ، ولا نعرفُ ماذا أعطوا للغزاةِ الآسيويينَ السومريينَ... ولكنْ من المؤكدِ هو أنَّ الثقافةَ السومرية قد نَضجتْ من احتكاكِ هذينِ الشعبينِ وتفاعلِهما مع بعضهما في تلكَ الحُقبةِ المبكرةِ من تاريخِ الانسانيةِ). وهؤلاء الأقوام الذين يعنَهيم الاستاذ (السّواح)، همُ في نظرِنا، الصابئةُ المندائيونَ.

ولقد أشارَ المؤرخان العراقيان (طه باقر) و (أحمد نسيم سوسة) إلى ذلكَ وأكدّا في مؤلفاتهما مرارًا ، على أنَّ شعبًا متحضّرًا كان موجودًا في جنوبِ العراقِ قبلَ قدومِ السومريينَ إليهِ.

أمّا بصددِ قِدَمِ الصابئةِ المندائيينَ، فَيُشيرُ بعض المؤرخين المسلمين إلى ذلك... فـــ(الشهرستاني) في كتاب (الملل و النحل) يقولُ: (إنَّ صنفينِ من الموحدّينَ كانا في زمنِ "إبراهيم الخليل" في حَرّان ، هما "الأحناف والصابئة" ، ونحنُ

نعرفُ أنَّ الخليل عاشَ عام ١٩٠٠ق.م، ويعني ذلك، أن الصابئةَ أقدمُ بكثيرٍ من عصرِ "الخليل").

أمَّا المؤرخُ "ابنُ خِلّكان" فيقولُ في نَسَبِ "أبي إسحق الصابي": (إنَّ أبا إسحق يعودُ نسبهُ إلى "صابئ بن متوشَلّح بن إدريس" الذي كان على دينِ الحنفيةِ الأولى، أو يعودُ إلى "صابي بن ماري" الذي كان يعيش في عصرِ الخليل).

أمَّا الدكتور "رشدي عليّان" في كتابهِ "الصابئون حرانيين ومندائيين" فيقولُ: (إنَّ تعاليم "هرمس" أو "إدريس" الذي هاجرَ وأتباعهُ من بابلَ إلى مصرَ، وهو يحملُ عقيدةَ التوحيدِ، والتي أثمرتْ هناكَ، وصارَ لهُ أتباعٌ كثيرونَ وأنهم كانوا يُسمّون "الصابئة").

ومعنى كل ذلكَ أنَّ الصابئةَ هُمُ من أوائل الشعوبِ التي استوطنتْ العراقَ منذُ القِدمِ، وأنهّم البذرةُ الأولى للفكرِ العراقي القديم، لذلك فهمُ أصحاب الدينِ الأول الموّحِد في التاريخ.

أمَّا بِصدد اللغة التي كان يتحدث بها الصابئة، فهي لغة غير مدوّنة، تعلمّها الإنسان بالتجربة والمران، وعندما حلَّ السومريون في هذه البلاد، ربما كانوا يتكلمون لغتهم الخاصة غير المدوّنة، ثم ابتكروا لغتهم المسمارية بعد ذلك ودونوا بها أفكارهم، وبهذا ظهر عصر الكتابة والتدوين، والذي هو حَدٌ فاصلٌ بين العصور التاريخية وما قبلها... أما بالنسبة للمندائيين فقد ظلّتْ تعاليمهم الدينية تُحفظُ عن ظهر قلب شِفاهًا، وتُتداولُ جيلاً بعدَ جيلٍ، حتى ابتكروا لغتهم الدينية قبل الميلاد بـــ ٣٠٠ عامًا، كما يشيرُ بعضُ المؤرخين، من أجل حفظ أسرارهم الدينية وكتمانها، في وقتٍ اشتدَّ عليهم فيه الضغط من قبل الزرادشتيين وملوك فارس الذين ناصبوهم العداء، وهذا ليس بالشيء الغريب، فكان العربُ في شبه الجزيرة العربية مثلاً لديهم أدبٌ وشعرٌ ووقائع حربية،

ظلّوا يتداولونه شِفاهًا جيلاً بعد جيلٍ قبل أن يدوّنوه ويعلنوه ويعلقوّنه على جدران الكعبة.

وهكذا تثبتُ الدلائلُ أنَّ الصابئةَ ودينهم عراقيٌ أساسًا، وأنهّم عاشوا في هذه البلاد قبل السومريين، لكنهم لم يتركوا خلفهم آثارًا تدلُّ عليهم، لأن الآثارَ من أختامٍ ورموزٍ ومدوناتٍ إنما ظهرت بعد عصر التدوين... وهناك دلائل أخرى تشيرُ إلى عراقية المندائيين، منها ما دخل لغتهم من مفردات سومرية وأكدية وبابلية، وكذلك تشابه في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية، رغم أن الصابئة قد نأوا بعبادتهم عن عبادة السومريين، لكنَّ السومريين أخذوا عن المندائيين طريقة بناء معابدهم، تلك المتمثلة برسوم قديمة على شكل أكواخ مدّورة.

▪ تعقيب:

كل مندائي حسب اعتقادي يتشرف أن هناك صلة بين المندائيين والسومريين، وأنهم عاشوا معًا وأبدعوا معًا، وأنهم ساهموا في بناء الحضارة الإنسانية... ويشرفنا أن نكون بقايا السومريين... وهذه آثارنا واختراعاتنا وأمجادنا.

كثيرٌ من الحضارات سادت ثم بادت وتعرضت عبر التاريخ إلى كوارث عظيمة ولكنها تركت آثارًا تدل على عظمتها وحضارتها، ويمكن تفسير حالة المندائيين إما أنهم فعلاً بقايا السومريين وهذه آثارهم... وإما هم أمة لا تؤمن بالماديات لأن الحياة فانية، وتؤمن بالروحانيات... وهذا يدل أنهم تَرَكُوا ميراثًا من الكتب الدينية وحافظوا عليها كل هذه القرون الطويلة لأنها تدوِّن روحانياتهم، ولم يعطوا اهتمامًا للماديات لإيمانهم (**كلُّ ما يُصنَع بالأيدي يَتْلَف، وكُلُّ حَيَ يمُوت**)[1].

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

obeikan.com

ورغم أن هذه حقيقة، ولكنها نظرة تشاؤمية للحياة وللعمل، لأن الحياة حلقات ومراحل يكمل بعضها البعض (زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون)...

وأما بسبب الهجرة المتكررة بسبب الحروب والاضطهاد من الأديان التي تمكنت من انشاء دول قوية، فكثرة الهجرة وعدم الاستقرار تشبه إلى حدٍّ بعيد حياة البداوة، وحياة البدو الرُّحل لا تسمح لهم ببناء حضارة أو صروح ومعالم حتى وإن لم يتعرضوا لمذابح وتدمير... فكيف إذن وحالة الشعب المندائي غير المستقر أساسًا والمضطهد من الأديان الأخرى أو منزويًا بعيدًا عن معالم الحضارة في الأهوار مثلاً... ولكن بعد أن استقروا عدة عقود بعد الحرب العالمية خاصةً الثانية، أبدعوا في مجالات العلم والأدب والفن، وأصبحوا أصحاب قيمة اجتماعية عالية ومركزًا مرموقًا في العصر الحديث، كما كان لهم مركز راقي أثناء استقرارهم في زمن ازدهار العصر العباسي وما قدَّمه علماؤهم وأدباؤهم المبدعون.

الأمل كبير الآن بعد أن حطوا الرحال في بلدان الهجرة المتقدمة في كل المجالات ونظموا أنفسهم ورغم وجود خلافات اعتقدها طبيعية لأن الاستقرار مازال في بداياته، وعندما تستتب الامور ويدق حجر الأساس وتنصهر الأفكار البناءة في بوتقة الرحم والدم والمستقبل، ونزرع سويةً بذرة المعرفة التي وهبها لنا الحي العظيم ونسقيها ماء اليردنا النقي الطاهر ونحفز الجينات الكامنة... ستنمو هذه البذرة المباركة... ومع الزمن المستقر والفكر المتقد وعوامل الوراثة والعمل الجاد سيبدع أبناؤنا وأحفادنا، وسيكون لنا بعد جيل وجيلين اسمٌ يشار له بالبنان، ويتباهى أولادنا أنهم مندائيون، وأنهم بُناة حضارات وأهل علم ومعرفة وسريعو التطور.

▪ إجحاف عدد من مثقفي الطائفة:

هناك عدد من أبناء الطائفة لا يتعدون أصابع اليد، يسيئون -بقصد أو بدون قصد- إلى طائفتهم ودينهم، متأثرين بأفكار ديانات توحيدية أو غير توحيدية، معظمها نشأت في بلدان مجاورة أو قريبة إلى بلاد ما بين النهرين، أو نشأت في أحضان وادي الرافدين... وكذلك المثقفون المتأثرون بالأفكار السياسية...

ويمكن تقسيم هؤلاء على قلتهم، إلى ما يلي:

١. الذين تأثروا بالحضارات التي نشأت في بلاد ما بين النهرين وما رافقتها من أديان قديمة، وأفكار الفلاسفة... وبسبب تلاقح الثقافات؛ وجد هؤلاء أن هناك تشابه بين شعائر وطقوس البابليين أو السوريين أو الزرادشتيين والمناويين من الأديان والأفكار التي نشأت في العراق وإيران والهند وشبه الجزيرة العربية، وأكيد أن بعضهم تأثر بالبعض الآخر وأخذ منه وأعطاه... ولهذا يعتقد هؤلاء أن الدين المندائي هو نتاج هذه الحضارات وما استنبطته من أديان رافقت هذه الحضارات.

٢. هناك من تأثر بأحد الأديان الموحدة الأخرى، فاعتنق تلك الديانة بالسرّ، وأبقى ارتباطاته الاجتماعية والعائلية وصلة الرحم ظاهريًا... وهذه تحسها من كتاباته المغلفة بالشك والريبة حول الدين المندائي، وإظهاره للدين الذي اعتنقه سرًّا، فيما يحاول بطريقة ذكية إفهام الآخرين أننا نِحلة أو فئة قريبة للدين اليهودي؛ مثلما تدعي وتروِّج له بعض المنظمات اليهودية من أن الصابئة المندائيين هم الفرقة الضائعة ويجب أن تعود إلى الدين الأم... وهذا إدعاء لا أساس له من الصحة، وهناك من يردد مثل الببغاء هذا الإدعاء.

٣. هناك من تأثر بالأفكار السياسية، والتي تروّج أن الدين حالة غير مرغوبة للتطور والحياة، ويحاول هؤلاء المثقفين السياسيين -بشتى الطرق والوسائل- دفع الشباب إلى نبذ الدين والطقوس الدينية.

هذه الفئات من المثقفين المندائيين ساهمت - بقصد أو بدون قصد - في المحاولات الجارية للإساءة إلى الدين المندائي، وجذب بعض أبناء الطائفة إلى أطروحاتهم، وهي بالتالي تؤدي إلى إضعاف الدين المندائي وهز ثقة المؤمنين به، إضافة لما يتعرضون له من ضغوط كبيرة من بقية الأديان والمنظمات التابعة لها، بما يملكون من موارد مالية ضخمة وإمكانات لوجستية وإعلامية هائلة لدعم عملهم لمحاولات تفتيت الطائفة.

طبعًا هناك أسباب أخرى دفعت الشباب المندائي، والتي أجبرتهم ظروفهم القسرية، وخاصة المهجرين من وطنهم الأول في العراق وإيران، أن يتزوجوا من منتمين إلى أديان أخرى، إما لغرض الحصول على الإقامة في تلك البلدان وطلبًا للعيش والأمان... أو أن المنظمات الدينية ساعدتهم بشكلٍ أو بآخر على تسهيل هجرتهم أو توظيفهم في بلدان المهجر... وطبعًا هناك أسباب أخرى للمروق إلى دين آخر.

كذلك فإن عددًا من المندائيين المهجرين إلى دول المهجر قد يكون الدين المندائي غير معروف في مجتمعاتها، فيدعي مثلاً أنه من أتباع يوحنا المعمدان ، أو أنه من جماعة "جون بابتست"، أي من المعمدانيين بداعي الاندماج مع المجتمع الجديد، وبالتالي يقل ارتباطه الحقيقي مع دينه وطائفته المندائية... ولا ننسى ما حدث مع الأسرى العراقيين من الأقليات الدينية في الحرب العراقية الإيرانية، وخاصةً الصابئة المندائيين، حيث أجبرتهم ظروف الأسر القاسية على الإدعاء أنهم مسلمين خوفًا من التفرقة الدينية ومعاملتهم بقسوة، أو إكراههم على الدخول إلى الإسلام ونطق الشهادة وختانهم، كما حدث للكثيرين منهم.

كما لعب ضعف الوعي الديني، وعدم إتقان اللغة المندائية قراءةً وكتابةً، وقلة المعلومات الدينية، والإمكانات المادية المحدودة في النشر والترجمة الدينية؛ وخاصةً في المراحل الزمنية السابقة وقبل أن تبدأ مرحلة الترجمة للكتب الدينية

إلى اللغة العربية في بداية التسعينات من القرن المنصرم، وعدم تخصيص رجال الدين الوقت الكافي لإلقاء المحاضرات الدينية وتنوير أبناء الطائفة حول الدين المندائي... كل هذه العوامل أثرَّت تأثيرًا بالغًا في أبناء الطائفة عمومًا؛ والشباب بصورة خاصة.

وعليه نحتاج من مثقفي الطائفة في هذه الأوقات أن يمدوا يد العون والإسناد إلى أبناء طائفتهم في المساهمة في بناء المجتمع المندائي، والمحافظة على أصالته، وإيجاد الحلول الناجعة لجميع مشاكله بعد الهجرة القسرية إلى دول المهجر.

opeikan.com

▪ رجال الدين ، ودورهم التاريخي
في الحفاظ على الدين والمندائيين

منذ نشوء الخليقة على الأرض، والإنسان مجبولٌ على الشك والتساؤل والبحث والخوف من المجهول، فهو دائمًا وأبدًا يبحث عن من ينير له العتمة، ليشع الإيمان والأمان في قلبه، فأرسل الحي العظيم الشرائع السماوية إلى الأنبياء والمرسلين لتنظم له حياته، بدءًا من نبينا آدم، وشيتل، وسام، ويهيا يهانا، أخر الأنبياء – مباركة أسماؤهم – ، فأصبحت هناك حاجة ماسة إلى رجال دين مؤمنين ، ينشرون العدل والمحبة ، وينيرون الطريق للصابئة المندائيين في التوجه إلى الهيي ربي قدمايي لطلب الرحمة والمغفرة وتحقيق الأماني في حياة كريمة هانئة، وتجنيب النفس البشرية الامتحانات القاسية في منفاها الأرضي... وهكذا بدأ عمل المؤمنين الصابرين من رجال الدين في ترسيخ العقيدة والاحتكام إلى قوانينها لتنظيم الحياة الروحية والاجتماعية للبشرية.

والدين المندائي بذرة الأديان الأولى على الأرض، تفتحت أوراقه البيضاء ليشعَّ نورًا أزليًا وبهجة للمؤمنين ، وكان نبينا آدم – مبارك اسمه – أول الأنبياء والمرسلين، استلم العهد وكتب ووثَّق رسالة الإيمان لتكون شريعة لذريته لتسير على هداه في نشر المحبة والسلام وعبادة خالق الأكوان.

وهكذا ، استمرت الحياة ، ورجال الدين المندائيون ماضون في أداء رسالتهم الإيمانية بكل تفانٍ وإخلاص، رغم ما مرَّ بهم من حِقب ودارات تموج بالمآسي والويلات ، نتيجة الأطماع والشهوات الدنيوية والتعصب الأعمى ، ومجتمعات متخلفة أَلِفتْ الظلمة والظالمين.

وها نحن وسط حقبة سوداء تمر على طائفتنا المسالمة وديننا النوراني ، وفي أخطر هجمة بربرية زعزعت كيان هذه الطائفة الطيبة ، وتفرق الأهل بعيون

حزينة وقلوب منكسرة في أرجاء المعمورة، لا ذنب لهم إلا أنهم مسالمين، طيبين، يحبون الحياة والضياء... ولكن ذلك لا يروق للجهلة والظالمين الذين ساموا طائفتنا العذاب من حقد وضغينة، وقتل وشتيمة، ومن نهب وسلب... فهم غنيمة كما تعلموا ولقنوا بأفكارهم السوداء التي تمازجت مع جشعهم وطمعهم، وكانت النتيجة أن هذه الأمة أصحاب الأرض والتاريخ في مهب الريح.

وهنا يبدأ الدور التاريخي لرجال ديننا الغياري، وهم المؤتمنون على هذه الأمة التي تمر بأوقات عصيبة، وتحتاج من يأخذ بيدها، بعد أن تفرقت وأصبحت هشة وسهلة الاختراق روحيًا وفكريًا واجتماعيًا، بتأثير من مجتمعات متعددة، حيث مورست ضدهم شتى الأساليب لتغيير ديانتهم وتراثهم، وخاصةً عن طريق منظمات وهيئات ذات باع طويل في جذب المحتاجين وضعيفي الإيمان.

لهذا، فأمام رجال الدين عدة جبهات تحتاج إلى جهود جبارة وخطط رصينة لمواجهتها.

- أولى الجبهات : تعزيز وترسيخ الإيمان في نفوس أبناء الطائفة، وحثهم على الصمود بوجه الشر... فهي معركة تحتاج إلى الديمومة للتواصل والعبور إلى بر الأمان، وسلاح هذه المعركة هو الإيمان بشريعتنا السمحة ونبل أهدافها وديمومتها، وبها تتوحد القلوب وتتآلف النفوس، ويستطيع رجل الدين أن يكون مؤثرًا لإرجاع القلوب الحائرة نتيجة الصدمات التي تلقاها أبناء الطائفة، أو ارتمائهم بأحضان العوالم المادية ومغرياتها، أو تأثرهم بالأفكار الإلحادية ... وذلك بأساليب تربوية ورعاية متميزة تحفز الرعية لإحياء التواصل الروحي مع الشريعة والدين، وبث العزيمة في أداء الطقوس الدينية وتعظيم المناسبات الدينية.

- ثاني الجبهات : البدء بكتابة دستور متكامل لشريعتنا من قوانين ترعي شؤون الرعية، والتي تجيب على كل التساؤلات المشروعة لأبناء الطائفة، خصوصًا بعد التقدم الهائل في العلوم بمختلف مناحي الحياة، وما يحتاجه

الفرد من شرائع وقوانين تتلاءم مع العقيدة المندائية ، وتواكب التغييرات الهائلة في هذا الزمن لتهدي المؤمنين إلى طريق الحق ورعاية شؤونهم الحياتية والروحية... لقد مرَّت فترة طويلة امتدت لقرون لم تستحدث فيها تشريعات تتزامن مع التغيرات ولا تتقاطع مع الأصول التشريعية للدين المندائي ، وهنا يكمن الدور المهم لرجال الدين لإبراز مكنونات هذه الشريعة النورانية وفلسفتها الروحية والمادية ، واستنباط الأحكام من هذا الخزين والاجتهاد من المتوارث من أبنائنا ومعلمينا ، ومن روح وعظمة تراثنا ، حيث تصبح هذه النصوص الموحدة لجميع أبناء الطائفة لعلاج أي تساؤل أو مشكلة تواجه الرعية في شؤونهم الدينية والدنيوية... إنها مسؤولية كبرى وعلى رجال الدين مواجهتها بكل جهد ومثابرة لأنها ركن أساسي في ديمومة الشريعة والدين ، والرد بذلك على كيد الحاقدين بأن عقيدتنا نابضة منذ فجر التكوين.

- ثالث الجبهات : تحرك رجال الدين نحو العوائل المندائية لتحفيزهم نحو التكاتف والتحابب والتلاحم ونبذ الفرقة ، بعد الهزات العنيفة التي نالت منهم وتفرق شمل الأهل والأحبة في جميع الدول... وهنا يأتي دور رجل الدين في بث روح العزيمة والقوة والتخفيف من معاناة الغربة ومشاعر الحزن والفراق ، وليكون قريبًا منهم يستمع إلى مشاغلهم وهواجسهم وإيجاد الحلول المناسبة لمشاكلهم ، وهذا التواصل يولد حوافز للالتقاء والتوحد ، وهذا ما يبتغيه رجال الدين وما كلفوا به من ، الهيي ربي قدمايي ، لرعاية الدين والمندائيين.

- رابع الجبهات : دحض كل الدعاوى الباطلة لأعداء الدين الصابئي المندائي من الحاقدين والجهلة والمارقين ، فيكفي صمتًا عن ظلمهم وجهلهم... فالسكوت وعدم مقارعة أباطيلهم بالحجة والبرهان هو إثمٌ كبير... ويأتي ذلك عن طريق تفعيل الدراسات اللاهوتية ، وتفسير النصوص والبُوث المباركة ،

وما تصبو إليه هذه النصوص، ونشر ما ترمز إليه الطقوس المندائية حول فكرة التوحيد في ديانتنا، وتأثير الفلسفة اللاهوتية المندائية على الأديان والطوائف الأخرى، مثل نشوء الخليقة، والرشامة (الوضوء)، والدرجات الكهنوتية، والصباغة (التعميد)، والصوم، واللوفاني (الوجبات الطقسية)، والصدقة، وغيرها المئات مما احتوته البوث والطقوس والتراث المندائي لفائدة البشرية جمعاء.

ويأتي دور رجال الدين في هذا المجال بتكثيف جهودهم في توسيع مدارك أبناء الطائفة الفكرية والروحية نحو عظمة دينهم، وغنى شريعتهم، والتصدي للحاقدين والمارقين بهذا الكم الهائل من العلوم والتراث لشريعتنا، لنقول: نحن أول الموحدين على وجه البسيطة، سنبقى كذلك مؤمنين، أيادينا مرفوعة نحو السماء للدعاء للهيي ربي قدمايي لا يفصلنا عنه حجر أو وتد، لا نار ولا قبر وصنم... نعم هذه شريعتنا بياض ونور وضياء.

هذه هي الجبهات التي تنتظر رجال ديننا المؤمنين الصادقين، وهم أهلٌ لها، يتقدمون الصفوف في مهمة صعبة، ولكن بالإرادة والعزيمة التي لا تفتر يستطيعون تجاوز الصعاب...

والأهم من ذلك...

هل نستطيع نحن أبناء الطائفة مساعدة أنفسنا، ومد يد العون والمساعدة والمساندة لبعضنا البعض، لنرتقي من جديد، وننسى الجراح والمآسي، ونجدِّد روحنا الوثَّابة نحو الرقي والتألق والضياء... وبذلك نساهم مع رجال ديننا الأوفياء لعقيدتهم في كتابة التاريخ من جديد ؟